

مكتبة القانون الأولى باللغة العربية  
مكتبة الكامل

# أبحاث كرويسيتي



[www.liilas.com](http://www.liilas.com)  
[www.Chassey.com](http://www.Chassey.com)

## خِداَع المَرَايَا



الأجبال  
للترجمة والنشر  
4766, Boulevard

دار التراث الجامعية  
www.arkulth.com  
Durr El-Rateb  
Cairo, Egypt



# Agatha Christie



They Do it  
with Mirrors

الآنسة ماربل تذهب للعيش في قصر  
يفي واسع أقيم فيه مشروع إصلاح  
تضم نحو مئتين من الأحداث المنحرفين  
الذين يسعى أصحاب المشروع إلى تأهيلهم.

لقد جاءت الآنسة ماربل إلى هذا  
مكان الغريب استجابة لطلب من واحدة  
من صديقات دراستها القديمت، بعدما  
سيطر على هذه الصديقة شعور غريب  
الخطر على أختها المقيمة في هذا القصر.

والآن تقع الجريمة. هل هذا هو الخطر  
الذي كانت تخشاه السيدة فان ريدوك؟  
ما الذي ستفعله الآنسة ماربل؟



[www.liilas.com](http://www.liilas.com)

رواية جديدة من روايات الكاتبة العملاقة  
التي تُعتبر أعظم مؤلفة في التاريخ من  
حيث انتشار كتبها وعدد ما يبيع منها  
من نسخ، وهي -بلا جدال- أشهر من  
كتب قصص الجريمة في القرن العشرين  
وفي سائر العصور. وقد تُرجمت رواياتها  
إلى معظم لغات العالم وقارنت  
طُبِعَ منها ألفي مليون نسخة!

Chassey

الأجبال

للترجمة والنشر

ALJAL Publishers



www.alkottob.com

دار الفيلسوف  
Dar El-Filosoph

## الفصل الأول

تراجعت السيدة فان ريدوك قليلاً عن المرأة، وتنهدت، ثم تمتت قائلة: حسناً، هذا لا بأس به. هل ترينه مناسباً يا جين؟ نظرت الأنسة ماربل إلى الثوب المبتكر الوارد من دار أزياء لانغانيللي وقالت باستحسان: يبدو لي ثوباً جميلاً جداً! كررت السيدة فان ريدوك: "الثوب جيد"، ثم تنهدت وقالت لخادمتها: انزعيه عني يا ستيفاني.

وقفت السيدة فان ريدوك أمام المرأة تتأمل وجهها الذي تخفيه طبقة من المساحيق والأصباغ ويشده التندليك المستمر، والذي كاد يبدو فتيماً عندما ينظر إليه المرء من مسافة بعيدة قليلاً. أما شعرها فبدا أقرب إلى الزُرقة منه إلى الشَّيب، وكان مصففاً بكل عناية. كان من المستحيل عملياً - عند النظر إلى السيدة فان ريدوك - أن يتخيل المرء حقيقة شكلها في الأحوال الطبيعية، فقد فعلت بنفسها كل ما يستطيع المال أن يفعله، معززة ذلك بالحِمْية والتندليك والتمارين الدائمة.

—حقاً— شكلي الحقيقي! جين، أريد أن أتكلم معك.

انحنيت الآنسة ماربل قليلاً للأمام، واكتسى وجهها بتعبير الاستعداد للسماع. بدت —على نحو ما— كأنها شخص وُضع في غير مكانه في غرفة النوم المزخرقة لهذا الجناح الفندقى الغالى، فقد كانت ترتدى ملابس سوداء عتيقة الطراز، وتحمل معها حقيبة تسوق ضخمة، وبدت كسيدة تقليدية كلياً.

قالت روث: إنني قلقة يا جين بشأن كاري لويز.

الآنسة ماربل: كاري لويز؟

كررت الاسم وهي تفكر؛ فقد أخذها الاسم بعيداً في الماضي، إلى مدرسة البنات الداخلية في فلورنسا. تذكرت نفسها... الفتاة الإنكليزية البيضاء المحمرة، وتذكرت الأختين مارتين، الأمريكيتين اللتين كانتا تثيران اهتمام الفتاة الإنكليزية بسبب طريقة كلامهما الغريبة الطريفة وأسلوبهما الصريح المباشر وحيويتهما. أولاهما، روث، الطويلة المتلهفة التي تضج بالحماسة والحيوية... والثانية، كاري لويز، الرقيقة النواقة صعبة الإرضاء.

سألت روث صديقتها القديمة: متى رأيتهما آخر مرة يا جين؟

الآنسة ماربل: أوه، لم أرها منذ سنتين طويلة طويلة، منذ خمسة وعشرين عاماً على الأقل. ولكننا ما نزال نتبادل بطاقات المعايدة في الأعياد بالطبع.

نظرت روث فان ريدوك إلى صديقتها مازحة وقالت: هل تظنين يا جين أن كثيراً من الناس يمكن أن يحزروا أننا —أنت وأنا— من نفس العمر عملياً؟

أجابت الآنسة ماربل بإخلاص وتأکید: ولا للحظة واحدة، أنا واثقة من ذلك... أخشى أنني أبداً بعمرى الحقيقي باليوم والساعة!

كانت الآنسة ماربل بيضاء الشعر ذات وجه لطيف متغضن تتناوب فيه الحمرة والبياض، وعينين زرقاوين بريشتين غامقتين. بدت عجوزاً حلوة جداً، ولكن أحداً لم يكن ليطلق على السيدة فان ريدوك صفة عجوز حلوة جداً.

قالت السيدة فان ريدوك: "إنك تبدين بعمرى الحقيقي فعلاً يا جين". ثم ابتسمت وقالت: وهكذا أنا أيضاً، وإن كان بطريقة مختلفة، إذ يقول الناس عني: "عجيب! كيف تحافظ تلك الشمطا، على شكلها؟"، ولكنهم يعرفون حق المعرفة أنني عجوز شمطا! ولكم —والله— أشعر أنني كذلك!

ثم رمت بجسمها على الكرسي المكسو بالساتان، وقالت تخاطب عمامتها: هذا حسن يا ستيفاني، يمكنك الانصراف.

طوت ستيفاني الثوب وخرجت.

قالت روث فان ريدوك: ستيفاني الطيبة العجوز. ما زالت معي منذ أكثر من ثلاثين سنة، وهي المرأة الوحيدة التي تعرف

مع أصدقائه القدامى؛ إذ يفترض أنه سيراهم دون تخطيط عاجلاً أو آجلاً، ولا يفتقد الأصدقاء مثل هذه اللقاءات العفوية إلا إن كانوا يتحركون في ميادين ومسارات مختلفة. ولم يحدث أن التقت طرق جين ماربل بطرق كاري لويز... هكذا، ببساطة، جرت الأمور.

الآنسة ماربل: لماذا أنت قلقة على كاري لويز يا روث؟

روث: إن ذلك -بطريقة ما- هو أشد ما يقلقني؛ فانا لا أعرف سبب قلقي!  
- أهي مريضة؟

- إنها رقيقة جداً، كما كانت دوماً. ولا يسعني أن أقول بأن صحتها أسوأ من المعتاد، باعتبار أنها تعيش كما نعيش كلنا تماماً.

- أهي تعيسة؟

- أوه، كلا.

كلا، لم يكن ممكناً أن تكون التعاسة هي السبب، هذا ما فكرت فيه الآنسة ماربل، فمن الصعب تصور كاري لويز تعيسة، ومع ذلك فقد مرت عليها فترات في حياتها لا بد أنها كانت فيها تعيسة. إلا أن صورتها كامرأة تعيسة لم تكن لترى بوضوح. مرتبكة؟ نعم.. متشككة؟ نعم.. أما الحزن الشديد... فكلنا.

إن الصداقة لشيء غريب! صداقتها هي (جين ماربل أيام شبابه) والأمريكيتين. لقد افترقت بهن طرق الحياة آنذاك بأسرع ما يكون، ومع ذلك يدوم الحب القديم، وتبقى الرسائل من وقت لآخر، وتبادل التحيات في الأعياد. ومن الغريب أن روث -التي كان بيتها (أو بيوتها بالأحرى) في أمريكا- هي الأخت التي اعتادت رؤيتها مرات أكثر بكثير مما رأت كاري لويز. ولكن كلا، ربما لم يكن ذلك غريباً؛ إذ أن روث -كأغلب الأمريكيين من أبناء طبقتها- كانت عالمية التوجه، تأتي في كل عام أو عامين إلى أوروبا ساعية من لندن إلى باريس إلى شاطئ الريفييرا قبل أن تعود ثانية إلى وطنها، وكانت حريصة دوماً على انتزاع بضعة دقائق تقضيها مع أصدقائها القدامى.

وقد حصلت لقاءات كثيرة كهذه في مطاعم مثل كلاريدج أو السافوي أو بيركلي أو دورتمستر، حيث يتم تناول وجبة نادرة غريبة، واستعادة الذكريات العاطفية، ثم كلمة وداع مؤثرة عجلى. ولكن روث لم تجد وقتاً أبداً لزيارة قرية سينت ميري ميد. والواقع أن الآنسة ماربل -بدورها- لم تتوقع قط مثل هذه الزيارة. فلكل امرئ في حياته إيقاع، وكان إيقاع حياة روث سريعاً، بينما الآنسة ماربل قانعة لحياتها بالإيقاع البطيء، المتمهل.

وهكذا فإن الأمريكية روث هي التي رأتها الآنسة ماربل كثيراً، بينما لم ترَ كاري لويز (التي تعيش في إنكلترا) منذ أكثر من خمسة وعشرين عاماً. وذلك -على غرابته- طبيعي تماماً، فعندما يعيش المرء في نفس البلد لا يشعر بحاجة لترتيب لقاءات

جاءت كلمات روث فان ريدوك في محلها تماماً، إذ قالت:  
لقد عاشت كاري لويز دوماً خارج هذا العالم تماماً... إنها لا  
تعرف شيئاً عنه، وربما كان هذا ما يقلقتني.

بدأت الآنسة ماربل حديثها بالقول: "إن ظروفها..."، ثم  
توقفت وهزت رأسها نفيًا وقالت: كلا.

روث: كلا، إن الأمر يتعلق بها هي. لقد كانت كاري لويز  
دوماً -من بيتنا نحن- هي من يملك مُثلاً عليا. وبالطبع فقد كان  
من السائد عندما كنا شباباً أن يحمل المرء مُثلاً عليا، وكلنا حملنا  
مثل هذه القيم، وكان ذلك أمراً جيداً ومناسباً بالنسبة لفتيات  
شابات. أنت أردت يا حين أن تذهبي لتريض مرضى الحذام،  
وأردت أنا أن أصبح معلمة... ويتجاوز المرء -عادة- كل هذه  
الترهات. أحسبني أستطيع القول إن الزواج يطرد عن المرء كلَّ  
هذه الأمور. على أي حال، أنا لم أخسر كثيراً بسبب الزواج!

وفكرت الآنسة ماربل بأن روث كانت تعبر بقولها الأخير  
عن الأمر بطريقة مخففة؛ فهي قد تزوجت ثلاث مرات، اقترنت  
في كل واحدة منها برجل غني جداً، وقد زادت سلسلة الطلاقات  
المتتالية من حسابها المصرفي دون أي تعكير لمزاجها.

قالت روث فان ريدوك: بالطبع كنت دوماً صلبة ولم توقعني  
الحادثات. لم أنتظر كثيراً من الحياة، ولم أنتظر -بالنأكد-  
كثيراً من الرجال، ولقد استفدت تماماً من كل هذه التجارب،

ولا أحمل لأحد ضغينة. فأنا وتومي ما نزال صديقين ممتازين،  
ويوليوس غالباً ما يستشيرني في أحوال السوق.

ثم تحهم وجهها وأضافت: وأظن أن ذلك هو ما يقلقتني  
بشأن كاري لويز؛ فقد كان لديها ميل دائم -كما تعلمين-  
للزواج برجال مهوسين.

- مهوسين؟

- أقصد أشخاصاً متمسكين بمثل عليا. كانت كاري لويز  
دوماً سهلة الوقوع بسرعة في المثل العليا. كانت تقف هناك  
كأحمل ما تكون الفتيات... لم تتجاوز السابعة عشرة من عمرها،  
وتصغي وعيناها مفتحتان باتساع صحن صغير للعجوز غولبراندسن  
وهو يسهب في الكلام عن خططه ومشاريعه للجنس البشري.  
كان فوق الخمسين وتزوجته، وهو الأرملة ذو العائلة والأبناء  
البالغين... كل ذلك بسبب أفكاره الإنسانية. اعتادت أن تجلس  
لتصغي إليه مسحورة، تماماً مثل ديزدمونة وعطيل، إلا أنه لم  
يوجد -لحسن الحظ- أياغو ليفسد الأمور بينهما، ولم يكن  
غولبراندسن على أية حال ملوثاً، فقد كان سويدياً أو نرويجياً.

هزت الآنسة ماربل رأسها بتأمل. لقد كان لاسم غولبراندسن  
أهمية دولية. ذلك الرجل الذي مكنته فطنته الحادة في مجال  
الأعمال ونزاهته المطلقة من بناء ثروة هائلة أصبح معها حسب  
الإنسانية والسعي لخيرها هو الحل الوحيد لاستفادها. وما زال  
لاسمة أهمية كبرى؛ إذ تكفي الإشارة إلى «صندوق غولبراندسن»

«ومنح غولبراندسن الدراسية لأغراض البحوث» و«الملاجئ الخيرية لغولبراندسن»، والأكثر شهرة من ذلك كلمة «الكلية» التعليمية الضخمة المخصصة لأبناء العمال.

روث: إنها لم تتزوجه لئلا كما تعلمين. كان من شأنني أنا أن أتزوجه لهذا الاعتبار لو قُدِّر لي أبداً أن أتزوجه. ولكن ليست كاري لويز من يفعل ذلك. ولست أدري ما الذي يحدث لو أنه لم يمِت وهي في الثانية والثلاثين. فالثانية والثلاثون عمر جيد بالنسبة لأرملة، إذ تكون ذات خبرة وتجربة، ولكنها ما تزال قابلة للتكيف.

هزت العانس التي تصغي إليها رأسها بلطف بينما استعاد ذهنها صور أرامل عرفتهن في قرية سينت ميري ميد.

روث: لقد كنت حقاً في أسعد حالاتي من أجل كاري لويز عندما تزوجت جوني ريبستاريك. لقد كان هو -هذه المرأة- مَنْ تزوجها لئلا. وإن لم يكن الأمر تماماً كذلك فإنه -على الأقل- لم يكن ليتزوجها لو لم يكن لديها أي مال. لقد كان جوني رجلاً ذنياً أنانياً كسولاً محباً للملذات، ولكن ذلك آمن كثيراً من المهوروسين بمثل عليا. كان كل ما أراده جوني هو أن يعيش برغد. أراد لكاري لويز أن تذهب إلى أفضل صالونات الشعر، وأن تمتلك اليخوت والسيارات وتمتتع معه. وهذا النوع من الرجال يكون مأموناً جداً. أعطيه الراحة والترف والرفاهية تحديه يتمسح بك كقطة ممتنة ويصبح رائعاً جداً معك. إنني لم

أحمل أبداً على محمل الجد تراثه حول تصميم المشاهد والعمل المسرحي. ولكن كاري لويز كانت تهتز طرباً لذلك، فقد رأيت في عمله ذاك فناً من طراز رفيع، ودفعته دفعاً إلى العودة إلى تلك الأجواء، وبعدها سيطرت عليه تلك المرأة اليوغسلافية الفظيعة واختطفته معها. لم يكن حقاً يريد الذهاب، ولو أن كاري لويز انتظرت وكانت أكثر تعقلاً لكان من شأنه أن يعود إليها.

الآنسة ماربل: هل اهتمت كثيراً بالأمر؟

- ذلك هو الأمر المضحك، فلا أظن حقاً أنها اهتمت. كانت سعيدة تماماً بالأمر كله، ولكن ذلك من عاداتها، فهي دوماً سعيدة. وقد حرصت على الطلاق منه بحيث يستطيع الزواج بتلك المخلوقة، بل عرضت إيواء الصبيين من زواجه الأول في بيتها، لأن ذلك أفضل لاستقرارهما. وهكذا كان مصير جوني المسكين... اضطر للزواج بتلك المرأة، فعاش ستة أشهر فظيعة معها، وبعدها قادت به سيارة على شفير جُرف أثناء نوبة غضب مجنون. لقد قالوا: إنه كان حادثاً، ولكنني أعتقد أنه الغضب والعُصاب لا غير!

توقفت السيدة فان ريدوك، ثم تناولت امرأة وحدثت بوجهها كمن يبحث عن شيء ما. تناولت لقط حواجبها وانتزعت شعرة ثم تابعت حديثها: وما الذي فعلته كاري لويز بعد ذلك سوى زواجها بذلك المدعو لويس سيروكولد؟ وهو مهووس آخر... رجل آخر ذو مثل عليا، أوه، إنني لا أقول بأنه غير متعلق

بها، بل هو كذلك كما اعتقد، ولكنه مصاب -هو الآخر- بنفس الداء، في رغبته بنحسين حياة كل الناس نيابة عنهم. وما من أحد يستطيع -في الواقع- أن يحسن حياتك إلا أنت.

الآنسة ماربل: لا أدري.

روث: إلا أن لهذه الأمور بالطبع موضة، تماماً كالموضة في الملابس، ففي الأفكار الإنسانية الخيرة موضة أيضاً. كانت الموضة هي التعليم في أيام غولبراندسن. ولكن هذه الموضة بطلت الآن، فقد تدخلت الدولة في الموضوع وصار الجميع ينظرون إلى التعليم كحق ثابت لهم، وهم لا يرون فيه إنجازاً كبيراً عندما يحصلون عليه! أما في هذه الأيام فإن «جنوح الأحداث» هو آخر صرعة؛ فالكل مهتم -لحدّ الجنون- بأولئك المجرمين الصغار أو المجرمين الواعدين. عليك أن تري عيني لويس سيروكولد لتتبعان خلف عدستي نظارته السميكتين وقد جن حماساً! إنه واحد من أولئك الرجال ذوي الإرادة القوية جداً، ممن يحبون العيش على ثمرة موز وقطعة خبز محمصة، ويضعون كل طاقاتهم في خدمة «قضية». وتتغمس كارلي لوييز في ذلك كعادتها دائماً! ولكنني لا أحب ذلك يا جين. لقد عقد «مجلس الأوصياء» اجتماعات عديدة، وتم تحويل البيت كله لخدمة هذه الفكرة الجديدة. أصبح الآن مؤسسة تدريب لأولئك المجرمين الشباب، مليئة بالمحللين والأطباء النفسانيين وما شابه ذلك. وهناك تعيش كارلي لوييز مع زوجها لويس يحيط بهما هؤلاء الصبية المنحرفون الذين قد لا يكونون طبيعيين تماماً. والمكان مليء،

بالمدرّبين المهنيين والأساتذة والمتحمسين، ونصفهم مجنون تماماً. إنهم مهووسون جميعاً تسيطر عليهم فكرة واحدة، وصغيرتي كارلي لوييز وسط ذلك كله!

توقفت قليلاً ثم حدثت يائسة بالآنسة ماربل.

قالت الآنسة ماربل بصوت فيه أثر للحيرة والارتباك: ولكنك لم تخبريني -بعد- يا روث بالذي تخافينه فعلاً.

- لقد قلت لك: إنني لا أعرف! وهذا ما يقلقني. لقد كنت عندها هناك في زيارة خاطفة. وشعرت -طوال الوقت- بوجود خطأ ما... خطأ في الجو العام، في البيت، وأنا واثقة بأنني لست مخطئة. أنا حساسة تجاه الأجواء العامة، وقد كنت دوماً كذلك. ألم أعبرك -من قبل- كيف حرصت يوليوس على بيع «الشركة المتحدة للحبوب» قبل حصول الكارثة؟ ألم أكن مُحققة في حدسي عندها؟ نعم، يوجد شيء ما، ولكنني لا أعرف ماذا ولماذا... لا أعرف إن كان ذلك لدى أولئك المجرمين الشباب الفظيعين، أو أنه أقرب إلى العائلة. لا أستطيع تحديد ماهيته، فلدينا لويس الذي اكتفى بالحياة من أجل أفكاره دون ملاحظة ما يجري حوله، وكارلي لوييز -باركها الله- لا ترى أبداً ولا تسمع ولا تفكر في أي شيء، إلا أن تعجب بذلك المنظر الجميل أو بذاك الصوت البديع أو بتلك الفكرة الرائعة. وهذا لطف وعذوبة ولكنه ليس موقفاً عملياً؛ إذ يوجد شيء اسمه الشر... وأنا أريد منك يا جين أن تذهبي مباشرة إلى هناك وتعرفي ما هي القضية بالضبط.



هفت الآنسة ماربل: أنا؟ ولماذا أنا؟

روث: لأن لك أنفأ لا يخطئ في مثل هذه الأمور. كنت دوماً تميزين بذلك؛ كنت دوماً مخلوقة عذبة بريئة المظهر يا حين، ولكنك - طوال الوقت وفي دخيلة نفسك - لم يكن لشيء أن يفاجئك أو يدهشك أبداً، كنت دوماً تتوقعين الأسوأ.

تمت الآنسة ماربل: إن الأسوأ غالباً ما يكون صحيحاً.

روث: كيف تأتي لك أن تحملي مثل هذا الإيمان الضعيف بالطبيعة البشرية؟ لا أستطيع تصور ذلك، وأنت التي تعيشين في قرية جميلة وادعة حيث العالم القديم النقي.

- أنت لم تسكني قرية يا روث. إن ما يجري في قرية نقية وادعة ربما أدهشك.

- آه، ربما. ولكن قصدي هو أن تلك الأمور لا تدهشك أنت، فهل تذهبين إذن إلى «ستوني غيتس» وتحدين ما القضية؟

- ولكن سيكون فعل ذلك من أصعب الأمور يا عزيزتي.

- لا، لن يكون كذلك. إذا تماكنت نفسك بحيث لا يطرير صوابك غضباً مني فسأعبرك بأني هيات الأرضية لذلك من قبل.

وتوقفت السيدة فان ريدوك... نظرت إلى الآنسة ماربل بشيء من الفلق، ثم بدأت تشرح ببعض العصبية: أنا واثقة أنك ستعترفين بأن الأحوال ساءت في هذا البلد بعد الحرب الأخيرة،

ساءت بالنسبة للناس ذوي الدخل الثابت المحدود، أي لأناس مثلك يا حين.

- أوه، نعم في الواقع. ولولا لطف ابن اختي ريموند، بل لطفه الكبير حقاً، لما كنت أدري فعلاً أين سأكون!

- لا عليك من ابن أختك، لأن كاراي لويز لا تعرف شيئاً عنه، وإن كانت تعلم فهي تعرفه كاتباً ولا تعرف أنه ابن أختك. ولقد قدمت لها القضية على النحو التالي. قلت لها: "المشكلة هي أن الأحوال صعبة جداً بالنسبة للعزيرة حين، وأنها - أي أنت - لا تكاد تجد أحياناً ما يكفي لطعامها، وهي - بالطبع - ذات كبرياء يمنعها من طلب المساعدة من أصدقائها القدامى". وقلت: "إن المرء لا يستطيع اقتراح تقديم نقود كمساعدة، ولكن فترة استراحة طويلة لطيفة في محيط جميل، مع صديقة قديمة ومع كثير من الطعام الغني المتوخ، وانعدام الهموم والقلق...".

وتوقفت روث فان ريدوك قليلاً، ثم أضافت بتحدٍ: هيا الآن... اغضبي مني إن أردت أن تغضبي.

فتحت الآنسة ماربل عينيها الزرقاوين الغامقتين بدهشة محببة وقالت: ولماذا عساني أغضب منك يا روث؟ لقد كانت هذه الحجة مدخلاً عبقرياً ومقبولاً تماماً، وأنا واثقة بأن كاراي لويز قد استجابت.

روث: هي ستكيب لك رسالة، وربما وجدت الرسالة قد

وصلت حين تعودين. أخبريني بصدق يا جين: ألسنت تشعرين بأنني تصرفت بحرية لا يمكن غفرانها في هذا الموضوع؟ أئن تمناعي...

ثم ترددت في المضي بحديثها فأكملت الأنسة ماريل سؤال صديقتها وعبرت -بحذر- عما جال بخاطرها قائلة: أئن تمناعي في الذهاب إلى منزل «ستوني غيتس» تحت باب الصدقة والإحسان، وباعذار زائفة قليلاً أو كثيراً؟ أبدأ، لن أمانع إن كان ذلك ضرورياً. أنت تعتقدين بأن ذلك ضروري، وأنا أميل إلى الاتفاق معك في ذلك.

حدقت بها السيدة فان ريدوك وقالت: ولكن لماذا؟! ما الذي سمعته وجعلك تتفقين معي؟

- لم أسمع شيئاً. إنه مجرد اقتناعك أنت بذلك... وأنت لست امرأة كثيرة التوهم يا روث.

- صحيح، ولكنني لا أملك أي شيء محدد يصلح دليلاً لتأكيد حدسي.

قالت الأنسة ماريل وهي تأمل: أتذكر ذات صباح وأنا في المتجر، وكنت أقف خلف غريس لأميل مباشرة فشعرتُ بقلق متزايد بشأنها. كنت واقفة بوجود مشكلة ما... ومع ذلك كنت عاجزة تماماً عن تفسير ذلك. إن ذلك شعور من أكثر المشاعر إزعاجاً، ويكون -عادة- محمداً أكيداً جداً.

- وهل كان في الأمر مشكلة فعلاً؟

- أوه، نعم. كان والدها الأدميرال العجوز قد غدا -منذ فترة- غريب الأطوار تماماً، وفي اليوم التالي هاجمها بمطرقة الفحم وهو يصرخ بأنها «روح شريرة جاءت منكرة على صورة ابنته»، وكاد أن يقتلها. وقد أبعده -بعد ذلك- إلى مصحة عقلية وشفيت هي بعد أشهر في المستشفى، ولكنها كانت قاب قوسين أو أدنى من الموت.

- وهل كان لديك ذلك الإحساس المسبب في ذلك اليوم في متجر البقالة؟

- أنا لا أسمى ذلك إحساساً؛ فقد كان مبنياً على حقيقة. إن هذه الأمور تكون -عادة- مبنية على حقائق، مع أن المرء لا يدرك تلك الحقائق في حينها. لقد كانت ترتدي قبعة في ذلك اليوم بشكل مقلوب، وكان ذلك ذا مغزى عميق فعلاً لأن غريس لأميل كانت أكثر النساء دقة وتأنفاً ولم تكن أبداً شاردة الذهن، وكانت محدودة جداً -في الواقع- الظروف التي قد يفوتها في ظلها أن تلاحظ طريقة وضعها للقبعة استعداداً للخروج. وفي ذلك اليوم تحديداً كان والدها قد رماها بقطعة رخام من تلك التي توضع فوق الأوراق كيلا تتطاير، فأصابته المرأة فهشمتها، فأخذت هي قبعتها على عجل وارتدتها وخرجت بسرعة من المنزل. كانت حريصة جداً على الإبقاء على المظاهر وأن لا يسمع الخدم بأي شيء من ذلك، وكانت تعزو تلك الأعمال

- نعم، كافيًا لي لمعرفة المشكلة.

- يا جين الغالية! إن لديك ثقة كبيرة بنفسك... أليس كذلك؟

بدأت الآنسة ماربل وكأنّ في صوتها بعض التأنيب. قالت:  
أنت وثقت بي يا روث، أو هكذا تقولين. أستطيع فقط أن أؤكد  
لك بأنني سأسعى لأكون جديرة بثقتك.

\* \* \*

إلى «مزاج البحارة عند بابا العزيز». إنها لم تدرك بأن عقله كان مضطرباً تماماً، مع أنه كان ينبغي لها أن تدرك ذلك بوضوح؛ فقد كان دائماً يشكو لها من أعداء له أو من عمليات تجسس عليه، وهذه كلها من الأعراض المعتادة للاضطراب العقلي.

حذقت السيدة فان ريدوك بصديقتها باحترام وقالت: ربما لم تكن قرينتك يا جين، تلك المسماة سينت ميري ميد، ذلك المعتزل الرفي الهادئ الوادع الذي كنت دوماً أنخيله.

- إن الطبيعة البشرية - يا عزيزتي - متماثلة كثيراً أينما كانت. الفرق الوحيد هو أن مراقبتها عن كثب في المدينة مسألة أكثر صعوبة.

- وهل ستذهبين إلى ستوني غيتس؟

الآنسة ماربل: سأذهب إلى ستوني غيتس. ربما كان في ذلك بعض الإححاف بحق ابن أختي ريموند؛ أعني أن يقال بأنه لا يعيلني أو يساعطني. ولكن ريموند العزيز في المكسيك الآن، وسيبقى هناك ستة أشهر. ومن الآن حتى يعود ينبغي أن تكون تلك القضية قد انتهت.

- ما هي القضية التي ستنتهي؟

- لا يمكن أن تكون دعوة كارلي لويز لإقامة غير محددة. ثلاثة أسابيع، أو ربما شهر. سيكون ذلك كافيًا.

- كافيًا لك لاكتشاف الأمر الخطأ؟

## الفصل الثاني

قبل أن تعمد الأنسة ماربل إلى استقلال قطار عودتها إلى قرية سينت ميرري ميد - في رحلة يوم الأربعاء المخفضة - جمعت بعض المعلومات والحقائق بأسلوب دقيق وعملي.

الآنسة ماربل: لقد تراسلنا (أنا وكاري لويز) عند الضرورة، ولكن مراسلتنا اقتصرت - إلى حد بعيد - على تبادل البطاقات في المناسبات. إن ما أُرغب بمعرفته - يا عزيزتي روث - هو الحقائق المجردة فقط، بالإضافة إلى إعطائي فكرة حول مَنْ سأواجههم من ساكني ستوني غيتس.

روث: حسناً، أنت تعلمين بزواج كاري لويز بغولبراندسن. لم يتنج عن زواجهما أطفال، وقد تأثرت كاري لويز كثيراً لذلك. كان غولبراندسن أرمل عندما تزوجته وله ثلاثة أبناء بالغين، وقد تبنى الاثنان أخيراً طفلةً أطلقا عليها اسم بيبا، وكانت طفلة حلوة صغيرة لم تتجاوز العامين عندما تبناها.

- ومن أين هي؟ وما هي خلفيتها؟

- أوه، حقاً يا حين إنني لا أذكر، هذا إن كنت أعرف أصلاً. ربما كانت من مؤسسة للثبني، أو أنها كانت طفلة غير مرغوب فيها سمع بها غولبراندسن. لماذا تسألين؟ أنتعقدين أن ذلك مهم؟

- حسناً، يرغب المرء -دوماً- في معرفة الخلفية إذا صح التعبير. ولكن استمري أرجوك.

- ما حدث بعد ذلك هو أن كاري لويز أدركت أنها ستضع طفلاً في نهاية المطاف، وقد فهمت من الأطباء بأن ذلك شائع تماماً.

هزت الأنسة مازيل رأسها وقالت: نعم، أعتقد ذلك.

روث: لقد حدث ذلك على كل حال، وهو حدث بطريقة مضحكة، إذ أنه دفع كاري لويز إلى حالة من الارتباك... إن كنت تفهمين ما أعنيه. كانت في الأيام الأولى طبعاً شديدة الفرح، ولكنها كانت قد بذلت حياً مخلصاً للطفلة بيبا بحيث شعرت بأنها مدينة لها بالاعتذار لحدوثها والاستعاضة عنها إذا صح التعبير. وبعد ذلك وضعت طفلتها ميلدريد التي كانت -بالفعل- طفلة لا حظ لها من الحاذية والجمال؛ فقد جاءت شبيهة بعائلة غولبراندسن الذين كانوا يتصفون بالمصادقية والجدارة، ولكنهم كانوا بالإنكايد ديممي الشكل. كانت كاري لويز حريصة دوماً على عدم التفریق في معاملتها بين الطفلة المتبناة وطفلتها هي إلى الحد الذي أعتقد أنها مالت معه إلى المبالغة في تدليل بيبا وتحامل

ميلدريد. واعتقدت أحياناً بأن ميلدريد كانت تغضب من ذلك. ولكنني -على أية حال- لم أكن أراهم كثيراً. وقد كبرت بيبا لتصبح فتاة جميلة جداً، فيما أصبحت ميلدريد فتاة عادية لا حاذية لها.

توفي إيريك غولبراندسن حين كانت ميلدريد في الخامسة عشرة وبيبا في الثامنة عشرة. وعندما بلغت بيبا العشرين تزوجت المركز الإيطالي سان سيفيريانو... آه، لقد كان مركزياً حقيقياً وليس مغامراً أو شيئاً كذلك. كان ينتظر أن تصبح بيبا وريثة، وذلك طبيعي، وإلا ما كان ليتزوجها، أنت تعرفين طبيعة الإيطاليين! (ولقد ترك غولبراندسن مبلغاً متساوياً لكل من ابنته الحقيقية وابنته بالثبني). أما ميلدريد فقد تزوجت معلماً اسمه ستريت، وهو رجل لطيف ولكنه كان يصاب بركام مزمن، وكان يكبرها بعشر سنوات أو خمس عشرة سنة، وأعتقد أن زواجهما كان سعيداً تماماً. وقد مات ستريت في العام الماضي، وعادت ميلدريد إلى ستوني غيتس لتعيش مع والدتها.

ولكنني تسرعت كثيراً في روايتي للأحداث وأغفلت زواجاً أو زواجين آخرين، ولذلك سأعود لهما. فقد تزوجت بيبا زوجها الإيطالي، وكانت كاري لويز سعيدة تماماً بذلك الزواج، فقد كان غويدو سان سيفيريانو ذا أخلاق حسنة ووسامة أخاذة، وكان رياضياً جيداً. ولكن بعد عام من الزواج توفيت بيبا خلال ولادتها طفلتها الأولى، وكانت تلك مأساة فظيعة تركت سان سيفيريانو

لها تقيراً في السن ويعيش حياة مستقيمة جداً، ولكنه كان مهووساً مع ذلك؛ إذ كان مغرماً بالاهتمام بإصلاح المجرمين الأحداث.

ثم تهندت روث فان ريدوك وقالت: كما قلت لك قبل قليل يا جين، إن في هذه الأعمال الخيرية موزات. في زمان غولبراندسن كانت الموضة التعليم، وقبل ذلك كانت الموضة السائدة هي مطابخ الحساء الجماعية للفقراء.

هزت الأتسة ماربل رأسها موافقة وقالت: نعم، حقاً؛ حساء رأس العجل الذي كان يُعطى للمرضى. كانت أمي تقوم بذلك.

- هذا صحيح.. تغذية الجسم تراجعت لتسود تغذية العقل، وأصيب الجميع بالهوس تجاه قضية تعليم الطبقات الدنيا. وها قد مضى ذلك أيضاً. وقریباً ستصبح الموضة -على ما أتوقع- ألا تعلمي أطفالك، بل أن تحافظي بعناية على جملهم وأميّتهم حتى سن الثامنة عشرة. لقد كان «صندوق غولبراندسن لتمويل التعليم» يمر -على أية حال- ببعض المضاعف؛ لأن الدولة كانت تتولى هي تحقيق أهدافه وبرامجه بنفسها. وهنا دخل لويس -بحماسة المتقدمة- تجاه التدريب البقاء للأحداث المشرفين. كان هذا الموضوع قد جذب انتباهه لأول مرة في سياق مهنته، إذ كان يدقق بحسابات ارتكب فيها شبان أذكباء عمليات احتيال. وقد أصبح مقتنعاً أكثر فأكثر بأن الأحداث المنحرفين ليسوا أناساً غير أسوياء، وأنهم يتمتعون بعقول وقدرات ممتازة، ولا ينقصهم إلا التوجيه الصحيح.

منحطاً. وقد سافرت كاري لويز كثيراً بين إيطاليا وإنكلترا آنذاك، وقابلت في روما جوني ريستاريك وتزوجته. أما الماركيز الإيطالي فقد تزوج ثانية، وكان مستعداً تماماً للسماح لابنته الصغيرة بأن تُرثي في إنكلترا على يد جدتها بالغة الثراء. وهكذا استقرّ الجميع في ستوني غيتس، جوني ريستاريك وكاري لويز، وابنا جوني واسمهما أليكسيس وستيفن (فقد كانت زوجة جوني السابقة روسية) والطفلة الصغيرة جينا. وبعد ذلك تماماً تزوجت ميلدريد السيد ستريت كما أسلفنا، ثم حدثت تلك المشكلة بين جوني والمرأة اليوغسلافية، وحدث الطلاق. وما زال ابنه يأتيان إلى ستوني غيتس لقضاء عطلتهما، وكانا متعلقين كثيراً بكاري لويز. بعد ذلك، وفي عام ١٩٣٨ كما أظن، تزوجت كاري لويز زوجها الحالي لويس.

صمتت السيدة فان ريدوك لالتقاط أنفاسها، ثم سألت: ألم تلتقي بلويس؟

هزت الأتسة ماربل رأسها بالنفي وقالت: لا، أظن أن آخر مرة رأيت فيها كاري لويز كانت عام ١٩٢٨. وقد اصططحتني وقتها بكل لطفها إلى الأوبرا في كوفنت غاردن.

روث: آه! نعم، حسناً، لقد كان لويس شخصاً مناسباً جداً لها كزوج. كان مديراً لشركة مشهورة جداً لمحاسبين قانونيين، وأعتقد أنه التقاها لأول مرة عند مراجعة بعض القضايا الخاصة بمالية «صندوق غولبراندسن» و«الكلية». كان رجلاً غنياً ومماثلاً

قالت الأنسة ماربل: في ذلك شيء من الصحة، ولكنه ليس صحيحاً كلياً. وإنني أتذكر...

ثم توقفت ونظرت إلى ساعتها وقالت: آه يا عزيزتي، عليّ ألا أضيع قطار السادسة والنصف.

### الفصل الثالث

قالت روث بسرعة: وهل تذهبين إلى ستوني غيتس؟

قالت الأنسة ماربل وهي تأخذ حقيبة تسوقها ومظلتها: إن طلبت مني كاراي لويز ذلك.

روث: ستطلب منك. هل تذهبين؟ عديني يا جين.

ووعدتها جين ماربل.

\* \* \*

نزلت الأنسة ماربل من القطار في محطة ماركت كيندل. مسافرٌ لطيف خلفها أنزل حقيبتها وأعطائها لها. أمسكت بالحقيبة الشبكية وحقيبة يد من الجلد الذي بهت لونه وبعض اللفافات المختلفة الأخرى وتفوهت بتمنات تقدير وشكر: إنه لطف كبير منك... الأمر صعب جداً هذه الأيام؛ فليس يوجد الكثير من الحماليين. إنني أصاب بارتباك كبير عندما أسافر.

ولكن هذه التمنات ضاعت في الضجيج الهادر لصوت مذياع المحطة وهو يعلن بصوت غير مفهوم -رغم علوه- بأن قطار الثالثة والثلاث يقف على الرصيف رقم واحد، وأنه جاهز للانطلاق إلى محطات عديدة غير مفهومة.

كانت ماركت كيندل محطة ضخمة فارغة تصفر فيها الرياح، ولا يكاد المرء يرى فيها المسافرين أو مستخدمي السكة الحديدية. أما تمييزها فيمكن في وجود ستة أرصفة فيها، ورصيف صغير آخر يقف فيه قطار صغير ذو عربة واحدة ينفخ دخاناً بثقة.

كانت الأنسة ماربل ترتدي ثياباً رثة تختلف عما اعتادت

أن تلبسه، وكان من حسن حظها أنها لم تتخلص من ثوبها المنقط القديم. كانت تنظر حولها بحيرة عندما تقدم منها شاب وقال:  
الآنسة ماربل؟

كان في صوته ميزة مسرحية غير متوقعة، كما لو أن تلفظه باسمها كان الكلمات الأولى في دور يمثلها في مسرح الهواة. أضاف الشاب قائلاً: جئت لاستقبالك... من ستوني غيتس.

نظرت إليه الآنسة ماربل باهتمام، كانت -لو أتبح له أن يلاحظ ذلك- عجوزاً رائعة تبدو عاجزة، بعينها الزرقاوين الحادتين. لم تكن شخصية الشاب تناسب تماماً مع صوته. كانت شخصيته أقل أهمية، بل يكاد الإنسان أن يقول: إنها أقل وزناً. وكان جفناه معتادين على الرفرقة بعصبية. قالت له: أوه، شكراً. ليس لدي إلا هذه الحقيبة.

لاحظت بأن الشاب لم يأخذ حقيبتها بنفسه، بل نَقَفَ قطعة من النقد لحمال كان يدرج بعض العلب على عربة أمتعة وقال له: "احمليها لنا رجاء"، ثم أضاف بنقطة وأهمية: إلى ستوني غيتس.

هتف الحمال بابتهاج: حالاً... لن يستغرق ذلك شيئاً.

قال الشاب: "إن القطارات تصبح أسوأ فأسوأ في كل يوم!"، ثم أضاف وهو يقود الآنسة ماربل باتجاه المخرج: أنا إدغار لاوسن، وقد طلبت مني السيدة سيروكولد أن أستقبلك. إنني أعمل مساعداً للسيد سيروكولد في عمله.

مرة أخرى كان في لهجته ذلك الإيحاء الخفي بأن رجلاً مشغولاً ذا أهمية قد أقدم بكل أريحية على تأجيل قضايا مهمة إكراماً لزوجته مستخذيها من باب الشهامة... ومرة أخرى لم يكن الانطباع مقنعاً كلياً، إذ كانت له نكهة مسرحية.

وبدأت الآنسة ماربل تتساءل وتعجب من إدغار لاوسن.

خرجنا من المحطة، وأرشد إدغار السيدة العجوز إلى حيث كانت تقف سيارة فورد قديمة بعض الشيء. قال لها: هل تركيبين بجاني في المقدمة، أم تفضلين المقعد الخلفي؟

وبينما كان يقول ذلك حدث تحولٌ في مجرى الأحداث. اقتربت هادئةً من ساحة المحطة سيارة رولز رويته جديده لامعة ذات مقعدين، وأنت لتقف أمام سيارة الفورد حيث قفزت منها فتاة جميلة جذابة وجاءت إليهما. وبدا ارتداؤها بنظراً قطنياً متسخاً وقميصاً بسيطاً مفتوحاً على الرقبة وكأنه يعزز -بشكل ما- من حقيقة أنها لم تكن جميلة فقط بل مترفة أيضاً. قالت الفتاة: ها أنت هنا يا إدغار.. ظننت أنني لن أستطيع اللحاق بكما في الوقت المحدد. أرى أنك استقبلت الآنسة ماربل... لقد جئتُ أنا لاستقبالها.

ثم ابتسمت للآنسة ماربل بتألق، مبديةً صفاً من الأسنان الجميلة التي تزين وجهها الذي لوحته الشمس. قالت: أنا جينا، حفيدة كاري لويز، كيف كانت رحلتك؟ كريمة ببساطة؟ يا لهذه الحقيبة الشبكية الجميلة! إنني أحب الحقائب الشبكية. سأخذ



الحقبة والمعاطف لتركيبي السيارة بسهولة.

تورد وجه إدغار، وقال محتجاً: اسمعي يا جينا، لقد جئت لاستقبال الآتسة ماربل، وقد تم ترتيب ذلك كله...

لمعت أستانها ثانية بتلك الابتسامة الواسعة الكسلى وقالت: آه، أعرف ذلك يا إدغار، ولكنني فكرت فجأة أنه سيكون جميلاً أن آتي أنا أيضاً. سأخذها معي، وبوسعك أن تحضر حقائبها.

ثم صفتت باب السيارة على الآتسة ماربل، وركضت حولها إلى الجانب الآخر حيث قفزت إلى مقعد القيادة، وهدرت السيارة بسرعة خارج المحطة.

نظرت الآتسة ماربل إلى الخلف ولاحظت وجه إدغار لاوسن ثم قالت: لا أظن يا عزيزتي بأن السيد لاوسن مسرور جداً الآن.

ضحكت جينا وقالت: إن إدغار أبهه فطبع... متبجح دوماً في كل شيء، حتى لتكاديين تظنين حقاً أنه بهم!

سألت الآتسة ماربل: وهو لا بهم؟

جينا: إدغار؟!

كان في ضحكة جينا الازدرالية نبرة غير شعورية من القسوة. أضافت قائلة: أوه، إنه أبهه على أية حال.

الآتسة ماربل: أبهه؟

جينا: كلهم بُهه في ستوني غينس. أنا لا أفصد لويس وجدتي والصبيين، وليس الآتسة بيليفر بالطبع. بل الآخرين. أحياناً أشعر أنني أنا أيضاً أعبدو بلهائه قليلاً من سكتاني هناك. حتى خالتي ميلدريد تخرج لتتمشى وتقدم مع نفسها طوال الوقت!

خرجنا من الطريق المفضي إلى المحطة، وزادت سرعة السيارة على الطريق المنبسط الفارغ. أُلقت جينا نظرة جانبية عجل على رفيقتها وقالت: لقد كنت في المدرسة مع جدتي، أليس كذلك؟ يبدو ذلك غريباً جداً.

عرفت الآتسة ماربل تماماً ما الذي عنته جينا؛ فبالنسبة للشباب يبدو من الغريب جداً أن المعمرين كانوا ذات يوم شباباً، وأن النساء العجائز كن في شبابهن يحدلن شعورهن ويكافحن في دراسة الكسور العشرية والأدب الإنكليزي.

قالت جينا بصوت فيه شيء من الرهبة، دون أن تقصد الإساءة بالتأكيد: لا بد أن ذلك كان قبل وقت طويل جداً.

الآتسة ماربل: نعم، في الواقع. وأظنك تشعرين بذلك معي أكثر مما تشعرين به مع جدتك، أليس كذلك؟

هزت جينا رأسها موافقة وقالت: إنه لذكاء منك أن تقولي ذلك. إن جدتي - كما تعلمين - تعطي المرء انطباعاً غريباً فلا تجعله يحس بعمرها.

الآتسة ماربل: لقد مضى وقت طويل منذ أن رأيتها آخر

مرة، ولا أدري إن كنت سأجدها متغيرة كثيراً.

جينا: شعرها أشيب بالطبع، وهي تنكئ على عصا حين تمشي بسبب التهاب مفاصلها، وقد ساءت حالتها كثيراً مؤخراً. أعتقد أنه...

توقفت فجأة، ثم سألت: هل زرت ستوني غيتس من قبل؟  
الآنسة ماربل: لا، أبداً. ولكنني سمعت كثيراً عنه بالطبع.

قالت جينا بابتهاج: إنه في الواقع فظيح جداً... بناء ضخمة بشع مبني على الطراز القوطي كأنه من بيوت الأشباح! ولكنه ممتع أيضاً في بعض جوانبه، إلا أن كل شيء فيه جادٌ إلى حد الجنون، وتعتبر رجالك بالأطباء النفسيين أينما ذهبت، وهم مستمتعون بعملهم بشكل مجنون، كأنهم قادة كشافه، إلا أنهم أسوأ من ذلك. أما المجرمون الصغار فبعضهم لطيف محبوب. أحدهم عرض علي كيفية فتح الأقفال بوصلة سلك، وصبي آخر ذو وجه ملائكي علمني كثيراً من الطرق في ضرب الناس.

فكرت الآنسة ماربل بإمعان في هذه المعلومة.

جينا: إن السفاحين هم الذين أحبهم أكثر من غيرهم، فيما لا أحب غريبي الأطوار كثيراً. لويس والدكتور ماثيريك يعتقدان بأن الجميع غريبو الأطوار، أي أنهما يعتقدان بأنها رغبات مكبوتة وحياة منزلية غير مستقرة، مثل هروب الأمهات، وغير ذلك من الأمور. وأنا لا أؤمن بذلك حقاً لأن بعض الناس عاشوا حياة منزلية

فظيحة ومع ذلك تمكنا من أن ينشئوا على أحسن حال.

قالت الآنسة ماربل: أنا واثقة أنها مشكلة عويصة جداً.

ضحكت جينا -مبديّة مرة أخرى أسنانها الرائعة- وقالت: إن ذلك لا يقلقني كثيراً. أعتقد أن بعض الناس لديهم مثل هذه اللواغ التي يريدون بها أن يجعلوا العالم مكاناً أفضل. إن لويس مهووس تماماً بكل هذا الأمر وهو سيسافر إلى أيردين في الأسبوع القادم لأن قضية ستعرض على محكمة الشرطة هناك... قضية صبي ذي خمس سنوات.

- بالنسبة للشباب الذي استقبلني في المحطة، السيد لاوسن... إنه يساعد السيد سيروكولد كما أخبرني، فهل هو سكرتيره؟

-- آه، ليس لدى إدغار من العقل ما يكفي ليكون سكرتيراً. إنه أحد القضايا التي يستضيفها ستوني غيتس بالعقل. كان معتاداً على الإقامة في الفنادق والادعاء بأنه شخص مهم، أو طيار مقاتل، وكان يقترض الأموال ثم يهرب إلى مكان آخر. أعتقد أنه مجرد شخص بغيض، ولكن لويس يتبع معهم جميعاً تقليداً معيناً؛ إذ يجعلهم يشعرون بأنهم جزء من العائلة ويكلفهم بهنمات يقومون بها، بغية تشجيعهم على الشعور بالمسؤولية. ولربما قتلنا أحد هؤلاء في يوم ما!

ثم ضحكت بسعادة.

ولكن الآنسة ماربل لم تضحك.

التفتت السيارة وعبرت بوابات مهيبة حيث كان يقف مفوض للحراسة بطريقة عسكرية. ثم مضت السيارة في مر بفضي إلى باب المنزل محاط من جانبيه بشجيرات. كان حال العمر سيئاً، وبدت الحديقة مهملة.

السيدة سيرو كولد: حين!

الآنسة ماربل: عزيزتي كاري لويز!

نعم، كانت كاري لويز التي لا يمكن أن تخطئها العين. الغريب أنها لم تتغير، والغريب أنها ما زالت شابة رغم أنها -وعلى العكس من أخذتها- لم تكن تستعمل المساحيق أو غيرها من الوسائل الاصطناعية التي يُستجدي بها الشباب. كان شعرها أشيب، ولكنه كان دوماً ذا لون أشقر فضي، وهكذا لم يتغير لونه إلا قليلاً. وكان جلد لها محافظاً على هيئته حيث يتناوب فيه الأحمر الوردى مع البياض، رغم ما أصاب ذلك التورد من تغضن. وكان جسمها النحيل كجسم فتاة، ورأسها قد حافظ على ميلانه المتلف كراس طير.

قالت جينا وقد فهمت نظرة رفيقتها: لم يكن في المكان خلال الحرب بستانيون، وبعد أن انتهت لم نكلف أنفسنا عناء استئجار أحد. ولكن المنظر يبدو فظيلاً بعض الشيء بالفعل.

دخلت السيارة في منعطف، وظهر ستوني غيتس بكامل أهبته. كان -كما قالت جينا- صرحاً ضخماً من الطراز القوطي الفيكتوري. وكانت أعمال الخير الإنسانية التي كُرس لها قد أضافت له ملامح جديدة في عدة أجنحة وملاحق أسهمت -رغم عدم اختلافها كثيراً في الطراز- في حرمان البناء إجمالاً من أي انسجام أو معنى.

قالت كاري لويز بصوتها العذب: إنني ألوم نفسي على ما مرَّ من وقت طويل لم أركب فيه. سنوات طويلة مرت دون أن أراك يا جين. يا عزيزتي... كم هو جميل مثلك أن تأتي أخيراً لزيارتنا هنا!

قالت جينا بشغف: إنه شنيع، أليس كذلك؟ تلك هي جدتي على المصطبة الأمامية. ساقني هنا، وتستطيعين أنت أن تذهبي وتقابليها.

صاحت جينا من آخر المصطبة: عليك أن تدخلي يا جدتي؛ فالجو آخذ في البرودة، وستكون جولي غاضبة.

تقدمت الآنسة ماربل عبر المصطبة الأمامية باتجاه صديقيتها القديمة. بدا الجسم الصغير النحيل -عن بعد- فتياً على نحو غريب رغم العضا التي كانت تنكم علىها ورغم تقدمها الطيء، والمؤلم بعض الشيء. كانت في هيئتها تلك كفتاة تقرم بتقليد مبالغ فيه للعجائز.

أطلقت كاري لويز ضحكها الصغيرة وقالت: كلهم قلقون عليّ بهذا الشكل، مرددين بأنني امرأة عجوز!

الآنسة ماربل: وأنت لا تشعرين أنك عجوز؟

## العادات المنظمة.

كارى لويوز: طبعاً ليس بوسعك ذلك يا غالتي جولي. إنني لأعجب لماذا تحاولين أصلاً ترتيب ذلك! أين ستضعين الأتسة ماربل؟

جولي: في الغرفة الزرقاء. هل أرشدتها إليها؟

كارى لويوز: نعم، أرشدتها من فضلك. ثم اصحبها بعد ذلك لتناول الشاي، سنتناول الشاي في المكتبة اليوم كما أظن.

كانت للغرفة الزرقاء ستائر ثقيلة من القماش الثمين المطرز ذات لون سماوي. وفكرت الأتسة ماربل بأن عمر هذه الستائر لا بد أن يكون خمسين سنة. كان الأثاث ضخماً ثقيلًا من خشب الماهوغاني الأحمر، وكان السرير ضخماً من الخشب ذاته.

فتحت الأتسة بيليفر باباً يفضي إلى حمام ملحق بالغرفة، وكان الحمام حديثاً على غير المتوقع ذا لون أرجواني فاتح وفيه الكثير من الكروم المبهّر. قالت الأتسة بيليفر بتعجبهم: لقد ركب جون ريستاريك في البيت عشرة حمامات عندما تزوج كارى. وأنايب المياها هي الشيء الوحيد تقريباً الذي تم تحديثه، ولم يكن ليصغي لأي مقترح بإجراء تغييرات على الأمور الأخرى. قال بأن البيت كله يعتبر مثلاً كاملاً لقطعة فنية تدل على عصر معين. هل سبق لك أن تعرفت إليه؟

الأتسة ماربل: كلا، لم أقابله أبداً؛ فأنا والسيدة سيروكولد

كارى لويوز: كلا، لا أشعر بذلك يا جين، رغم كل أوجاعي وآلامي التي أملك منها الكثير. ما زلت أشعر من الداخِل وكأنني فتاة مثل جينا. وربما كان الجميع كذلك، تُريهم المرأة مقدار شيخوختهم فلا يصدقونها. يبدو لي وكأنه لم تمض إلا بضعة أشهر على وجودنا معاً في فلورنسا. هل تذكرين فراولين شويك وحذاءها العجيب؟

ضحكت العجوزتان معاً من أحداثٍ وقعت منذ ما يقرب من نصف قرن. سارتا معاً حتى باب جاني، وعند الباب قابلتهما سيده نحيلة في أواسط عمرها. كانت ذات أنف يدل على العجرفة وشعر قصير، وقد ارتدت ثوباً صوفياً حسن التفصيل. قالت بحدة: هذا جنون مطبق منك يا كارى... أن تتأخري إلى هذا الحد في الخارج. إنك عاجزة تماماً عن الاعتناء بنفسك. ما الذي سيقوله السيد سيروكولد؟

قالت كارى بضراعة: لا تُعنّفيني يا جولي.

ثم عرّفت الأتسة ماربل بالأتسة جولي بيليفر قائلة: أعرفك إلى الأتسة بيليفر التي هي -ببساطة- كل شيء بالنسبة لي... المرضة، والجلاّد، وكلب الحراسة، والسكرتيرة، ومدبرة المنزل، والصديقة المحلصة جداً.

نشقت جولي بيليفر بأنفها الضخم الذي صار طرفه وريداً علامة الانفعال والعاطفة، ثم قالت: إنني أفعل ما بوسعي فعله. هذا بيت من المعجانيين، فليس بوسعك أن ترتبي أي نوع من

لم نلتقي إلا نادراً جداً، رغم أننا كنا دائماً نتراسل.

قالت الأنسة بيليفر: "لقد كان شخصاً مقبولاً... لم يكن جيداً بالطبع، ولكن وجوده في البيت ذو تأثير مفرح؛ فله سحر عجيب، والنساء يُحببته أكثر من غيرهن، وقد كان ذلك سبب دماره في النهاية. لم يكن -حقاً- من نوعية كاري". ثم أضافت وهي تستعيد أسلوب حديثها العملي: ستتولى الخادمة فك وإفراغ حقيبتك. هل تريدان أن تغسلي يديك قبل تناول الشاي؟

وعندما جاءها الجواب بالإيجاب أخبرت الأنسة ماربل بأنها ستكون بانتظارها في أعلى الدرج.

دخلت الأنسة ماربل الحمام فغسلت يديها وجففتها بقليل من العصية بالمنشفة الجميلة ذات اللون الأرجواني، ثم نزعَت قبعتها وعدلت من شعرها الأشيب الناعم. بعد ذلك فتحت الباب ووجدت الأنسة بيليفر بانتظارها تنقدها عبر الدرج الضخم المظلم ثم عبر الصالة الضخمة المعتمة حتى غرفة وصلت رفوف الكتب فيها إلى السقف وفيها نافذة ضخمة تطل على بحيرة اصطناعية.

كانت كاري لويز تقف قرب النافذة، فانضمت إليها الأنسة ماربل وقالت: يا لهذا المنزل المهيّب! شعرت أنني سأضيع فيه.

كاري لويز: نعم، أعرف ذلك؛ إنه من طراز سخيف حقاً. لقد بنى هذا البيت واحدٌ من أقطاب صناعة الحديد الأثرياء، وسرعان ما أفلس بعد ذلك. ولا أعجب لذلك؛ فقد كان في هذا البيت ما يقرب من أربع عشرة غرفة معيشة، وكلها ضخمة جداً.

لم أستطع أن أفهم أبداً لماذا يطلب الناس أكثر من غرفة جلوس واحدة. بالإضافة إلى كل غرف النوم الضخمة تلك، حيث يتوفر حيز هائل لا ضرورة له. إن غرفة نومي فظيعة في اتساعها حتى إن عليّ أن أقطع طريقاً طويلاً من سريري لأصل إلى طاولة الزينة. وفي البيت ستائر ضخمة ثقيلة ذات لون قرمزي غامق.

سألت الأنسة ماربل: ألم تعلمي على تحديثه وتغيير ديكوراته؟

بدت كاري لويز مندهشة قليلاً على نحو غامض ثم قالت: لا، إنه -إجمالاً- كما كان عندما سكنته لأول مرة مع إيريك. أعيد طلاؤه بالطبع، ولكنهم يطلونه دوماً بنفس اللون. هذه الأمور لا تهتم كثيراً، أليس كذلك؟ ما أعنيه هو أنني لم أكن لأجد مبرراً لنفسي في صرف كثير من المال على مثل هذه الأمور في وقتٍ توجد فيه كثير من الأمور الأكثر أهمية.

- ألم تحرّ تغييرات أبداً في هذا المنزل؟

- أوه، بلى، كثير من التغييرات. نحن لم نترك إلا العيني الذي يشكل وسط البيت كما هو، أي الصالة الكبرى والغرف التي حولها وفوقها، فقد كانت تلك أفضل الغرف وكان جوني (زوجي الثاني) منتمساً كثيراً لها وقال بأن ذلك الجزء من العيني ينبغي عدم المساس به أو تغييره، وقد كان فناناً ومصمماً يعرف هذه المسائل. أما الجناحان الشرقي والغربي فقد أعيد تشكيلهما بالكامل، حيث قُسمت كل الغرف بقواطع، فتوفرت لدينا مكاتب وغرف نوم لهيئة التدريس وغير ذلك. الفتيان جميعهم في منى

«الكليّة»، بوسعك أن تريه من هنا.

- ظلت تردد بأن المرء لا يعرف شيئاً عنه. كان الشاب من منطقة الغرب الأوسط في أمريكا، ولم يكن يملك شيئاً من المال، ولم تكن له مهنة بالطبع. في كل مكان مئات من الشباب من أمثاله، فلم تجد فيه روث شاباً مناسباً لحينا. ولكن الزواج تم على أية حال. ولقد سعدت كثيراً عندما قبلت جينا دعوتي لتأتي لزيارتنا هنا مع زوجها؛ فالكثير يحدث هنا، وتوجد وظائف من مختلف الأنواع، فإن كان وولتر يريد التخصص في الطب أو نيل أية شهادة أو غيرها فبوسعك أن يقوم بذلك في هذا البلد، فهذا في النهاية بيت جينا. من المفرح أنها عادت، وأن يكون معنا هنا شخص بكل هذا الدفء والمرح والحيوية.

هزت الأنسة ماربل رأسها بالموافقة ونظرت ثانية من خلال النافذة إلى الشابين الواقفين، ثم قالت: وهما زوجان رائعان جداً أيضاً، ولا يدهشني وقوع جينا في غرامه!

كاراي لويز: أوه، ولكن ذلك... ذلك ليس وولي!

سادت فجأة نبرة حرج أو تحفظ في صوت كاراي لويز، ثم أضافت: ذلك هو ستيف، الابن الأصغر لجوني ريستاريك. فعندما مات جوني لم يبقَ للصبيين مكان يقضيان فيه إجازتهما، ولذلك فأنا أستقبلهما دوماً هنا. إنهما يعتبران هذا البيت بيتهما، وستيف مقيم هنا بشكل دائم الآن. إنه يدير فرع الدراما لدينا، إذ أن لدينا مسرحاً ومسرحيات تمثل، ونحن نشجع كل المواهب الفنية. يقول لويس إن كثيراً من جرائم الأحداث تلك سببه النزعة

أظلت الأنسة ماربل نحو ميان ضخمة مبنية بالأجر الأحمر تظهر من خلف حزام من الأشجار. ثم وقعت عينها على موضوع أقرب إليها فابتسمت قليلاً وقالت: كم هي جميلة جينا!

تهلل وجه كاراي لويز وقالت برفقة: نعم، أنيست رائعة الجمال؟ من الرائع أنها عادت ثانية إلى هنا. لقد أرسلتها إلى أمريكا في بداية الحرب، إلى روث. هل حدثتلك روث عنها؟ - لا، بل اكتفت بذكرها لي.

تهتدت كاراي لويز وقالت: المسكينة روث! كانت قلقة جداً من زواج جينا، ولكنني قلت لها مراراً وتكراراً بأنني لا ألوم جينا أبداً. إن روث لا تدرك - كما أدرك أنا - بأن الاعتبارات القديمة وخرافات الفوارق الطبقية قد زالت، أو أنها - في أحسن الأحوال - تسير نحو الزوال. كانت جينا تؤدي بعض واجباتها أثناء الحرب والتقت بهذا الشاب الذي كان في سلك البحرية وله سجل حربي جيد جداً. وبعد أسبوع تزوج الاثنان، وجاء الأمر كله بشكل سريع بحيث لم يُتَح وقتٌ لتبحث في كونيهما حقاً مناسبين لبعضهما البعض. ولكن هكذا تجري الأمور هذه الأيام؛ فالشباب يتمنون لحبيبتهم، وقد نرى نحن بأنهم طاشون في كثير من أفعالهم، ولكن علينا أن نتقبل قراراتهم. ومع ذلك فإن روث كانت قلقة كثيراً.

- ألم تعتبر الشاب مناسباً؟

الاستعراضية، فمعظم هؤلاء الصبية قد عاشوا حياة بيتية تعيسة محيطة، وأعمال السطو والسرقة هذه تجعلهم يشعرون بأنهم أبطال. إننا نشجعهم على كتابة مسرحياتهم الخاصة والتمثيل فيها، وعلى تصميم ورسم مشاهدهم وديكوراتهم الخاصة. وستيف مسؤول عن المسرح، وهو بالغ الحماسة والتوقد. ومن العجب أن تري ما أدخله من حياة على هذه الممارسة كلها.

قالت الأنسة ماربل ببطء: فهمت.

قبل أن تستطيع كاري لويز أن تحيب بشيء، جاء زوجها من الصالة وفي يديه بعض الرسائل المفتوحة.

كان لويس سيروكولد رجلاً قصيراً، ليس في مظهره ما يلفت النظر بشكل خاص، ولكن كانت له شخصية تميزه على الفور. كانت روث قد قالت عنه مرة بأنه أشبه بمولّد كهرباء منه بإنسان، وقد كان من عادته أن يركز بشكل كامل على ما يشغل انتباهه، ولا يلقى بالاً للأشياء أو الأشخاص المحيطين به.

كان نظرها عن بُعد جيداً (كما كان يعرف كثيرٌ من جيرانها في قرية سينت ميري ميد)، وقد رأت بكل وضوح الوجه الوسيم الأسمر لستيف ريستاريك وهو يقف مواجهاً لحنينا ومتحدثاً بلهفة. أما وجه جينا فلم تستطع رؤيته، إذ أن الفتاة كانت تعطي ظهرها لها، ولكنها لم تكن لتخطئ فهم التعبير الظاهر على وجه ستيف ريستاريك.

الآنسة ماربل: إنه أمر لا يعنيني، ولكنني أفترض أنك تدركين يا كاري بأنه يحب جينا.

بدت كاري لويز منزعجة وقالت: أوه، كلا، كلا... إنني آمل أن لا يكون كذلك!

الآنسة ماربل: لقد كنتِ خيالية بعيدة عن الواقع على الدوام يا كاري لويز. ليس في ذلك أدنى شك!

\* \* \*

## الفصل الرابع

قال: إنها صفعنة سيئة يا عزيزتي. فذلك الفتى، حاكي فلينت، عاد ثانية للألاعبة. وكنتُ ظننتُ حقاً أنه جادٌ في الاستقامة هذه المرة لو أتاحت له فرصة مناسبة، فقد بدا جاداً كثيراً في ذلك. تعلمين أننا عرفنا أنه كان دوماً متعلقاً بالنقطارات والسكك الحديدية، واعتقدنا كلانا -أنا ومافيريك- بأنه لو حصل على عمل في هذا المجال فإنه سيكسر نفسه له ويُفلح. ولكن القصة تكررت... سرقات بسيطة من مكتب الطرود... ولم تكن المسروقات حتى مما يمكن أن يحتاجه أو يبيعه. وهذا يظهر أن

الأمر - لا بدّ - سيكولوجي. لم نصل حقاً إلى جذر المشكلة...  
ولكنني لن أمتسلم.

كاراي لويز: لويس، أعرفك إلى صديقتي القديمة... حين  
ماربل.

الشباب موريس يعمل بشكل رائع جداً، وهم مقتنعون به تماماً،  
بل إنهم في الواقع سوف يمنحونه ترقية في الشهر القادم. كنت  
أعرف دوماً أن كل ما يحتاجه ذلك الشاب هو تحمل المسؤولية،  
بالإضافة إلى فهم عميق لقضية التعامل مع المال وما تعنيه.

ثم التفت إلى الأنسة ماربل وقال: إن نصف هؤلاء الصبية  
لا يعرفون ما هي النقود، فهي تمثل عندهم الذهاب إلى السينما  
أو إلى سباق الكلاب، وهم أذكيا، وماهرون في الأرقام، ويجنون  
متعة في التلاعب بها. حسناً، إنني أؤمن... كيف أعبر عن ذلك؟  
أؤمن بإشغالهم دوماً بهذا الموضوع الذي يرحبهم (بتدريهم  
على المحاسبة بالأرقام) بأن أظهر لهم كل السحر الداخلي للمال  
إذا صح التعبير. أعطيتهم الخبرة والمهارة، ثم المسؤولية بعد ذلك،  
حيث أدعهم يتعاملون مع المال بشكل رسمي. لقد تحققت  
نجاحاتنا الكبرى بتلك الطريقة، ولم يخذلنا إلا اثنان من أصل  
ثمانية وثلاثين فتى. كان أحدهما رئيس المحاسبين في شركة  
أدوية، وهو مركز ذو مسؤولية...

ثم توقف ليقول لزوجته: الشاي في الداخل يا عزيزتي.

كاراي لويز: فننت أننا سنشره هنا، هكذا قلت لجلي.

لويس: بل إنه في الصالة، والآخرون كلهم هناك.

كاراي لويز: فننتهم سيخرجون جميعاً.

شبكت كاراي لويز ذراعها بذراع الأنسة ماربل ومضت معاً

قال السيد سيروكولد وهو شارد الذهن: تشرّفنا بمعرفتك.  
إنني سعيد جداً... سيقاضونه بالطبع. إنه فتى لطيف، ليس ذا ذكاء،  
متميز ولكنه لطيف حقاً. بينه الذي انحدر منه لا يوصف. أنا...

توقف عن الحديث فحأة، ثم اتبه ليولي اهتمامه للضيافة:  
آنسة ماربل... إنني سعيدة جداً بقدمك للإقامة معنا لفترة.  
سيشكل ذلك تغييراً كبيراً بالنسبة لكاراي؛ أن تستضيف صديقة  
قديمة من الأيام الخوالي تستطيع معها تبادل الذكريات. إنها تُعطي  
وقفاً كبيراً هنا من عدة أوجه؛ ففي قصص هؤلاء الأطفال المساكين  
كثير مما يحزن. إننا نأمل حقاً أن تبقى معنا لوقت طويل.

شعرت الأنسة ماربل بمغناطيسية الرجل، وأدركت مدى  
الحاذية التي لا بد أن صديقتها شعرت بها تجاهه. لم تشكل لحظة  
أن لويس سيروكولد كان من الرجال الذين يولون القضايا اهتماماً  
أكثر مما يولونه للناس. وكان ذلك سيثير ويزعج بعض النساء،  
إلا كاراي لويز.

تناول لويس سيروكولد رسالة أخرى وقال: على أية حال  
فلدينا بعض الأخبار الجيدة. هذه الرسالة من بنك ويلتشر حيث



ضحكت جينا وبدت مسرورة فرحة. دخل إدغار لاوسن وجلس قرب لويس، وعندما تحدثت إليه جينا تظاهر بعدم الاستجابة.

وجدت الآنسة ماربل أن الحو كنه مربك، وأسعدتها أن تعود إلى غرفتها وتضطجع بعد تناول الشاي.

على مائدة العشاء كان أناس إضافيون أيضاً، منهم الطبيب الشاب مافيريك الذي كان طبيياً نفسياً أو عالماً نفسياً... فلم تكن الآنسة ماربل متأكدة تماماً من الفرق بين الاثنين، وكان حديثه - الذي انصب كلياً على الجمعية بمصطلحات مهنية - غير مفهوم بالنسبة للآنسة ماربل. وأيضاً كان يوجد شاهان يضع كلاهما نظارة ولهما مراكز في الجانب التعليمي، ورجل يدعى باومغارتن وهو المشرف على العلاج بواسطة العمل والإشغال، بالإضافة إلى ثلاثة شباب شديدي الحياء كانوا يمضون فترة «أسبوع الاستضافة» الخاص بهم. وقد همست جينا في أذن الآنسة ماربل بأن أحدهم (وهو ذو الشعر الأشقر والعينين شديدي الزرققة) هو «خبير ضرب الناس».

لم تكن وجبة العشاء وجبة شهية بشكل خاص، فقد طبخت دون اهتمام، وقُدِّمت دون اهتمام. وكان الحضور يرتدون تشكيلة متنوعة من الملابس، فقد ارتدت الآنسة بيليفر ثوباً أسود ذا ياقة عالية، وارتدت ميلدريد ثوب سهرة و فوقه سترة صوفية، وارتدت كاري لويز ثوباً من الصوف الرمادي، فيما تألفت جينا بطراز

إلى القدوة. الخبير، بدأ تقديم الشاي، طبقاً غير مستخدم مع هذا السحيط. كانت لورني الشاي مكمومة كيفما تفق على إحدى النصواني وقد احتضنت فيها تلك الأكوام البيضاء العملية مع بقايا أنفوس شاي من صوازي ووكينغهام الفاخر. وكانت معها بعض قطع الكعك الرخيص الذي لا يدل منظره على أنه صحي.

كانت امرأة مسنة نحسب في أواسط عمرها ذات شعر أنسيب نحسب خلف طاولة الشاي. قالت كاري لويز: هذه ميلدريد يا جين، ابنتي ميلدريد. أنت لم تريها منذ كانت طفنة صغيرة.

كانت ميلدريد مسررت أكثر منحتن استجماً مع المنزل مع رنهم للآنسة ماربل حتى الآن. بدت مفتحة جميلة ثمقلت. وكانت قد تزوجت وهي في ثواخر الثلاثينات من عمرها وهي لأن ثرملة. وبتت تصاعداً مثل أرملة. محترمة، وبينة فليلاً. كانت امرأة بيحة ذات وجه ضخم يحمي من الشمس وعينين بليانين. وفكرت الآنسة ماربل بأن ميلدريد طفنة بيحة جداً.

قالت كاري لويز: وهذا وولني شداً زوج جينا.

كان وولني شداً ضخم الحجة ذات شعر ينحسب على رأسه مثل فرشاة، وتعلو وجهه تعابير متحمسة. أحنى رأسه للآنسة ماربل بشكل أحمق ومضى يحسب قومه بالكعك، وسرعان ما دخلت جينا مع ستيفن ريساتريك، وكانا كلاهما مبتهجين.

قال ستيفن: جينا لديها فكرة رائعة تحتص بخلفية المسرح أندرين يا جينا؟ إن لديك إحساساً مريحاً بالتصميم المسرحي!

الكفاية بذهابي إلى المحطة.

كارى لويز: كان عليها أن تحبرك... ولكنني أعتقد أنها  
قررت الذهاب في آخر لحظة.

إدغار لاوسن: أنت تدركين - يا سيده سيروكولد - بأنها  
جعلتني أبدو أحمق تماماً! أحمق تماماً!

قالت كارى لويز مبتسمة: لا، لا ينبغي أن تفكر هكذا.

- أنا أعرف بأنني غير مطلوب ولا مرغوب. إنني أعني  
ذلك تماماً، ولو أن الأمور كانت مختلفة، ولو كان لدي مكان  
المناسب في الحياة...

- هيا يا إدغار، لا تستهلك نفسك دون داع. إن جين ترى  
أن استقبالك لها كان أمراً في غاية اللطف من جانبك. جينا تتابها  
دوماً تلك الأفكار المفاجئة، وهي لم تكن تقصد إزعاجك.

- لا، بل كانت تقصد ذلك. لقد فعلت ذلك عن قصد...  
بعبة إذلائي.

- أوه يا إدغار...

- أنت لا تعرفين نصف الأشياء التي تجري هنا يا سيده  
سيروكولد. حسناً، لن أقول المزيد الآن إلا "طابت ليلتكم".

خرج إدغار وصفق الباب خلفه، فيما زفرت الآنسة بيليفر  
بقوة وقالت: أخلاق سيئة!

ثياب فلاحية. أما وولي فلم يغير ملباسه، ومثله ستيفن ريستاريك.  
وارتدى إدغار بذلة أنيقة زرقاء غامقة. وكان لويس سيروكولد  
يرتدي سترة العشاء التقليدية، وقد اكتفى بالقليل جداً من الطعام،  
بل بدا عليه أنه لا يكاد يلاحظ ما في صحته.

بعد العشاء مضى لويس والدكتور مافيريك إلى مكتب  
الأخير، ومضى المشرف على العلاج بواسطة العمل والإشغال  
مع المتعلمين إلى مأوى خاص بهما، وعاد نشبان «الحالات»  
الثلاثة إلى الكلية، ومضت جينا وستيفن إلى المسرح ليناقشا  
فكرة جينا حول خلفية خشبية المسرح. كانت ميلدريد تنسج رداءً  
لا يُعرف نوعه، فيما كانت الآنسة بيليفر ترتق بعض الحوار،  
وقد جلس وولي في كرسي مائل قليلاً إلى الخلف وهو يحدق  
في الفراغ. تحدثت كارى لويز والآنسة ماربل عن الأيام الخوالي،  
وبدا حديثهما خيالياً على نحو غريب.

وجده إدغار لاوسن بدا عاجزاً عن إيجاد حيزٍ خاص به.  
كان يجلس ثم ينهض قلقاً، ثم قال بصوت عالٍ بعض الشيء:  
أتساءل إن كان عليّ أن أذهب إلى السيد سيروكولد؛ فربما  
احتاجني.

قالت له كارى لويز بلطف: أوه، أنا لا أظن ذلك... كان  
يريد التحدث في بعض الأمور مع الدكتور مافيريك هذا المساء.

قال إدغار: إذن فلن أتدخل بالتأكيد! لم أكن لأذهب إلى  
مكان لا يريدني فيه أحد، فقد أضعت اليوم من الوقت ما فيه

قالت كارى لويز بشكل مبهم: إنه حساس جداً!

قعقت ميلدريد بإبرتي النسيج اللتين تمسّحت بهما في يدها وقالت: إنه حقاً شاب كرهه جداً، ليس عليك أن تتحملي سلوكاً كهذا يا أمي.

قالت أمها: لويس يقول إن الأمر خارج عن سيطرة الشاب.

أجابت ميلدريد بحدة: بوسع كل الناس أن يتصرفوا بوقاحة. أنا ألوم جينا كثيراً بالطبع... إنها طائشة تماماً في كل أمر تتولاه وليس لها عمل إلاّ إثارة المتاعب. يوماً تشجع الشباب، وفي اليوم التالي توبخه وتزدرية. فما الذي توقعينه من هذا السلوك؟

تكلم وولني هذا لأول مرة تلك الليلة قائلًا: ذلك الشاب أبله. هذا كل ما في الأمر... أبله!

\* \* \*

حاولت الأتسة ماربل في غرفة نومها -في تلك الليلة- أن تراجع في عقلها نمط الحياة والأمور في ستوني غيتس، ولكن ذلك لم يزل مختلطاً مشوشاً؛ ففي هذا المنزل تيارات وتيارات مقابلة متعاكسة، ولكن كان من المستحيل الحزم إن كان وجود تلك التيارات قادراً على تفسير قلق روث فان ريدوك. لم يبدو للأتسة ماربل بأن كارى لويز كانت متأثرة -بأي شكل- بما يجري حولها. كان ستيفن يحب جينا، وقد تكون جينا بادلت له الحب أو لا تكون، وكان واضحاً أن وولني هذا لم يكن يتمتع

بالإقامة في المنزل. ولكن كل هذه المسائل قد تحدث (وهي تحدث بالفعل) في كل الأماكن وفي أغلب الأوقات. لم يكن فيها -لسوء الحظ- أي شيء استثنائي، فمثل هذه المسائل تنتهي في المحاكم بالطلاق على أمل أن يبدأ الجميع حياة جديدة. ومن الواضح أن ميلدريد تغار من جينا وتكرهها. وفكرت الأتسة ماربل بأن ذلك كان طبيعياً تماماً.

واسترجعت الأتسة ماربل ما قالته لها روث فان ريدوك عن نحبة أمل كارى لويز نتيجة عُقمها، ثم تبنيها للصغيرة بيبا وإدراكها -في النهاية- أنها كانت حاملاً بطفل سيأتي. كان طبيب الأتسة ماربل قال لها: "تحدث الأمور على هذا النحو في بعض الأحيان، وربما كان السبب في ذلك أن التوتري يخف بعد التبنى". وقد أضاف الطبيب بأن ذلك يكون عادة من سوء حظ الطفل المتبنى.

ولكن الأمر لم يجرِ على هذا النحو في هذه الحالة؛ فالسيد غولبراندسن وزوجته أغرماً بالطفلة الصغيرة، بيبا، التي كانت قد احتلت في قلبهما مكانة ثابتة يصعب معها أن تزاح جانباً بسهولة. كان غولبراندسن أباً منذ زمن، ولم تكن الأبوة لتعني له شيئاً جديداً. وكانت بيبا قد هدأت وأمنعت من توفى كارى لويز وحببتها للأمومة. وكان حملها بابنتها صعباً ومزعجاً، وكانت ولادتها عسيرة ومطوّلة. ربما لا تكون كارى لويز (التي لا نأبه أبداً بالواقع) قد أحبت أول مواجهة لها مع هذا الواقع.

وهكذا وجدت فنانان صغيرتان كبيرتان، إحداهما جميلة

وكان لويس سيروكولد - كما هو واضح - سعيداً بكل جوارحه، كان مثالياً قادراً على ترجمة مُثله إلى إجراءات عملية. ولم تجد الأتسة ماربل في أي من هذه الشخصيات ما اعتقدت أنها ستجده مما أوحى به كلمات روث. بدت كاري لويز آمنة، بعيدة، منحرفة في قلب الدوامية، كما كان شأنها طوال حياتها. فما الذي شعرت به روث - إذن - في هذا الجو ورأته شاذاً خاطئاً؟ وهل تشعر به هي، حين ماربل، أيضاً؟

ماذا عن باقي الشخصيات الخارجية التي تقف على هامش الدوامية؟ المشرف على العلاج بالإشغال، والمعلمين، والطبيب الوائق الشاب مافيريك، والأحداث الثلاثة ذوي الوجوه الوردية والعيون البرية... وإدغار لاوسن؟

وهنا، وقبل أن يغلبها النوم، توقفت أفكار الأتسة ماربل لتتأمل وتقلب الفكر في شخصية إدغار لاوسن. لقد ذكّرها إدغار بأحد ما أو بشيء ما. كان فيه شيء شاذ قليلاً بالفعل، بل ربما أكثر من «قليل». كان إدغار يفتقر إلى التوافق والانسجام، نعم، تلك هي العبارة، أليس كذلك؟ ولكن المؤكد أن ذلك لم يكن ليؤثر في كاري لويز، ولا ينبغي له أن يؤثر فيها.

استبعدت الأتسة ماربل ذلك في عقلها.

إن ما يقلقها كان أبعد من ذلك.

\* \* \*

محببة والأخرى قبحة وبلدة، الأمر الذي كان أيضاً طبيعياً تماماً كما فكرت الأتسة ماربل؛ ذلك أن الناس حين يتبنون طفلة فإنهم يختارونها جميلة. ومع أنه كان بالإمكان أن تكون ميلدريد محظوظة وتأتي شبيهة بعائلة مارتن التي أنجبت الجميلة روث والناعمة الرقيقة كاري لويز، إلا أن الوراثة قضت أن تشابه عائلة أبيها غولبراندسن، العائلة التي تميزت بالضخامة والبلادة والقبح الشديد. وبالإضافة إلى ذلك، فإن كاري لويز كانت مصممة على أن لا تشعر الطفلة المتبناة أبداً بالفرق في موقعها، وفي غمرة حرصها على ذلك كانت تبالغ في دلال بيبا إلى حدٍ يبلغ أحياناً عدم إنصاف ميلدريد.

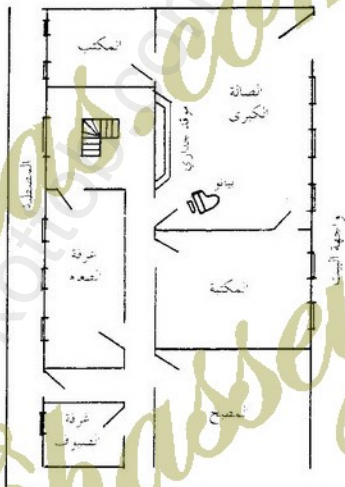
وقد تزوجت بيبا وذهبت إلى إيطاليا، وظلت ميلدريد الامة الوحيدة في البيت لبعض الوقت. ولكن بيبا توقفت بعد ذلك، فجات كاري بانبتها إلى ستوني غيتس، وغادرته ميلدريد مرة أخرى. ثم كان زواج كاري لويز الحديد واحتفاظها بولندي ريسناريك. وفي عام ١٩٣٤ تزوجت ميلدريد السيد ستريت، عالم الحضارات القديمة الذي يكبرها بنحو خمسة عشر عاماً، وسافرت لتعيش في جنوب إنكلترا. ويقال إنها كانت سعيدة، ولكن المرء لا يعرف إن كانت كذلك بالفعل. لم ترزق بأطفال، وها هي الآن هنا، عادت إلى نفس المنزل الذي نشأت فيه. ومرة أخرى لم تكن سعيدة فيه تماماً (كما فكرت الأتسة ماربل).

وولي وحيننا وستيفن وميلدريد والأتسة بيليفر كانوا جميعاً ممن يحبون سيادة نظام مفروض، ولكنهم عاجزون عن فرضه.

## الفصل الخامس

صباح اليوم التالي خرجت الأنسة ماربل إلى حدائق المبنى في تملص لطيف من مضيفتها. وقد شعرت بالأسى لحال تلك الحدائق التي كانت ذات يوم مشروغاً طموحاً يتضمن مجاميع من شجيرات اللورود، ومنحدرات عشبية مستوية، وحواجر كثيفة من النباتات العشبية، وأسيجة شجرية مترامية تحيط بحديقة ورود رسمية. أما الآن فقد كان كل شيء مهسلاً إلى حد بعيد؛ فالمرجج العشبية تم جزؤها بشكل سيء، أعترق، وانحواجر ملبنة بالأعشاب الضارة التي تجامد أزهار متشابكة في الحياة معها، والمعمرات مهملة تعلوها الطحالب. أما حدائق المطبخ المسمورة بحاجة من الأجر الأحمر فقد كانت -بالمقابل- مزدهرة ومعنى بها بشكل جيد، وأغلب الظن أن ذلك كان بسبب المنفعة المرجوة منها. وهكذا أيضاً كان جزء كبير مما كان ذات يوم مرجحاً عشبياً وحديقة زهور قد سيح وغزل كساحات للتنس ولألعاب البولينغ.

أدارت الأنسة ماربل نظرها على الحواجر العشبية وقرقرت لسانها غيظاً؛ ثم اقتنعت إحدى النباتات الضارة المزدهرة. وبينما كانت تقف والنبته في يدها ظهر إدغار لارسن، وعندما رأى



مخطط لمنزل «ستوني غيتس»

كان بالقرب منهما مقعد من مقاعد الحديقة فأنحازت  
الآنسة ماربل إليه وجلست، ووقف إدغار أمامها متجهماً. قالت  
بهيجة: أنا واثقة أن السيد سيروكولد يعتمد عليك كثيراً.

قال: "لا أدري. إنني -حقاً- لا أدري". ثم توجهم وجلس  
بقربها دون تفكير تقريباً، وأضاف قائلاً: أنا في وضع صعب جداً.

- بالطبع.

جلس الشاب محدقاً أمامه ثم قال فجأة: هذا سرّي جداً.

- بالطبع.

- لو كانت لي حقوقي...

- نعم؟

- يمكنني أن أعيرك على كل حال.. أنت لن تشيعي هذا  
الأمر. أنا واثق من ذلك، أليس كذلك؟

- أوه، بالطبع لن أفعل ذلك.

ولاحظت أنه لم ينتظر تأكيدها بل مضى قائلاً: إن أبي...  
في الواقع إن أبي رجل مهم جداً.

هذه المرة لم تكن بحاجة لقول أي شيء، لم يكن عليها  
إلا الإصغاء.

قال: "لا أحد يعرف بالأمر سوى السيد سيروكولد، فذلك

الآنسة ماربل توقف متردداً. ولم يكن في نية الآنسة ماربل أن تدبر  
يفلت، فنادت به بسرعة، وعندما أتى سألته إن كان يعرف مكان  
أدوات البيستنة.

قال إدغار بشكل غامض بأن يستأنباً في مكان ما يعرف  
الإجابة عن ذلك، فقالت الآنسة ماربل: من المؤسف جداً رؤيا  
هذا الحاجز مهملاً إلى هذا الحد. أنا مغرمة كثيراً بالحدائق.

وبما أنه لم يكن في نيته أن تدع إدغار يذهب بحثاً عن  
أية أدوات ضرورية، فإنها تابعت حديثها بسرعة: هذا هو كإ  
ما تستطيع امرأة عجوز لا فائدة منها أن تفعله. لا أعتقد أنك  
قد شغلت نفسك بمسألة كالحداثق يا سيد لاوسن؛ فلديك كثير  
من العمل الحقيقي والمهم لتفعله، ما دمت في موقع مسؤولية هذا  
مع السيد سيروكولد. لاشك أنك تجد الأمر كله في غاية المتعة  
أحباب بسرعة تصل حدّ اللهفة: نعم، نعم... إنه مستع.

قالت الآنسة ماربل: ولا شك أنك تقدم عوناً عظيماً للسيد  
سيروكولد.

تجهم وجهه وقال: "لا أدري... لا يمكنني الجزم، فالعبرة  
في ما خلف ذلك كله...". ثم توقف. راقبته الآنسة ماربل بإمعان.  
كان شاباً ضئيلاً مشيراً للشفقة في بذلة غامقة أنيقة، شاباً ليس من  
شأن كثير من الناس أن ينظروا إليه مرتين أو أن يتذكروا إن كانوا  
قد نظروا إليه أصلاً...

- كما نعلمين - قد يصرّ بمرکز والندی إذا انشرت القصة. ان  
التفت نحوها، وانتسم انتسامه حزينة حلينة وقال: أتدرين، انني  
اين ونستون تشتربل.  
- آه... فيمت!  
وقد فيمت بالفعل. تذكرت قصة حزينة بعض الشيء في  
قربتها سينت ميري ميد، والطريقة التي انشرت بها.

ومضى إدغار لاوس في حديثه. وكان حديثه مأثوفاً مثل  
مشهد مسرحي: كانت توجد أمياب، فاني لم تكن حرة طليقة.  
زوجها كان في مصح عقلي، ولم يكن صلاحها منه ممكناً، و  
تكن مسألة الزواج واردة أبداً. أنا حقاً لا ألومهما، أو أنني اعتقد  
-عني الأفل- أنني لا ألومهما... فقد فعل دوماً كل ما يوسعه أن  
يقعه، بالسرّ طبعاً. ومن هنا نشأت المشكلة. إن له أعداء، وقد  
يقفون ضدي أيضاً. وقد تمكنوا من الفصل بيننا. إنهم يراقبوني  
ويتحسسون عني أينما ذهبت ويحعون للأمور تعاقب علي.

ثم مضى بعيداً، أنيقاً، ضئيل القيمة، يرثي لحاله. راقبته  
الآنسة ماربل وتعجبت...

وأناها صوت يقول: هراء، مجرد هراء.

كان وولتر هُذ يقف بجانبها. كانت يدها تعوصان عميقاً  
في جيبه، وكان مقطباً وهو يحدق بحسم إدغار المبتعد. قال:  
أي نوع من الرفقة هذا؟ كلهم مجانين، كلهم على الإطلاق!

لم تقل الآنسة ماربل شيئاً، ومضى وولتر قائلاً: ذلك الشاب  
إدغار... ما الذي فهمته منه؟ يقول إن أباه هو اللورد مونتغمري.  
لا يبدو لي ذلك محتملاً. ليس مونتغمري بالتأكيد... فذلك لا  
يتسجم مع كل ما سمعته عنه.

هزت الآنسة ماربل رأسها أسفاً وقالت: لوه، يا عزيزي...  
يا عزيزي.

- في لندن كنت أدرس الطب، فتلاعبوا بامتحاناتي وبنوا  
إجاباتي. أرادوا أن أرسب... لا حقوتي في الشوارع... قالوا لي  
أشياء لصاحبة المنزل لذي أسكنه. إنهم يتعقبوني أينما ذهبت!  
قالت الآنسة ماربل مهذبة: ولكن لا يمكنك أن تجزم بذلك.

- كلا، لا يبدو ذلك محتملاً كثيراً.

- لقد قال لحينا شيئاً مختلفاً تماماً... بعض السخافات حول كونه حقاً وريث عرش روسيا! قال إنه ابن دوقٍ كبير. يا الهي! ألا يعرف من يكون أباه.

- أحسبه لا يدري، وربما كانت تلك هي المشكلة.

جلس وولتر بجانبها رامياً جسده على المقعد، ثم أعاد عبارته الأولى: "كلهم هنا مجانين!"

سالته الأتسة ماربل: ألا تحب الإقامة في ستوني غيتس؟

تحبهم وجه الشاب وقال: إنني -ببساطة- لا أفهم شيئاً، هذا كل ما الأمر! لا أفهم. انظري إلى هذا المكان... التركيبة كلها... إنهم أغنياء لا يحتاجون مالا، فلديهم منه الكثير. ولكن انظري إلى الطريقة التي يعيشون بها... أوإن صينية متصدعة أثرية تختلط بأوانٍ رخيصة بشعة. لا يوجد هنا خدم مناسبون كخدم الطبقات العليا، مجرد استجار بعض الخدمات المؤقتة بين الحين والآخر. المفروشات والسائتر وأغطية الكراسي كلها من الساتان وغيره من الأقمشة الرديئة، وهي تتمزق كل مُمزق! أباريق شاي فضية ضخمة صفراء صدئة من قلة التنظيف والعناية. والسيدة سيروكولد لا تهتم بشيء! انظري إلى الثوب الذي ارتدته ليلة أمس... مفتوق تحت ذراعها، ويكاد يكون مهترئاً، ومع ذلك فيوسعها أن تذهب إلى محل وتطلب ما تشاء، في شارع بوند أو أي مكان آخر. أهو المال؟ إنهم يملكون منه الكثير.

صمت قليلاً وجلس يدرس أفكاره، ثم قال: أنا أفهم أن يكون المرء فقيراً. ليس من عيبٍ كبير في ذلك إن كان المرء شامياً وقوياً ومستعداً للعمل. أنا لم أمتلك أبداً مالاً كثيراً، ولكنني كنت مستعداً تماماً للعمل للوصول إلى ما أريد. كنت أريد فتح ورشة لإصلاح السيارات. جمعت بعض المال، وتحدثت مع جينا في الأمر، وقد أصغت إليّ وبدأ أنها تفهمني. لم أكن أعرف كثيراً عنها. كل أولئك الفتيات في الملابس العسكرية متشابهات، أعني أنك لا تستطيعين أن تعرفي -من النظر إليهن- من منهن لديها مال ومن منهن بدون مال. كنت قد ظننت أنها أعلى مني درجة، ربما نتيجة التعليم... ولكن لم يبدو ذلك أمراً مهماً. وقعنا في الحب كلانا، ثم تزوجنا. كان لدي مبلغ من المال وفرته، وكان لدي جينا بعض المال أيضاً كما أخبرتي. كنا نريد أن نؤسس محطة وقود عند عودتنا إلى الوطن، وبدت جينا راغبة في ذلك. كنا مجرد طفلين أبليهن جُنّ أحدهما حباً بالآخر. بعد ذلك بدأت عائلة جينا المتعجرفة تلك بإثارة المشاكل... وأرادت جينا أن تأتي إلى هنا، إلى إنكلترا، لرؤية جدتها. حسناً، بدأ ذلك أمراً طبيعياً ومشروعاً تماماً؛ فقد كان هذا هو وطنها، وكنت أنا توافقاً لرؤية إنكلترا على أية حال. لقد سمعت الكثير عنها، وهكذا جئنا. مجرد زيارة، هذا ما ظننته.

ازدادت تقطية وجهه لتصبح عبوساً، ومضى قائلاً: ولكن الأمور لم تجر على هذا النحو، فقد علقنا في هذا الجو المحنون. ويقولون لنا: لماذا لا تبقون هنا، وتجعلون هذا وطنكم؟ يوجد



كانت قوية عملياً. نعم... أشهد أنها كانت قوية.

ثم نهض قائلاً: أنا أسف على الحديث معك بهذه الطريقة.

لأول مرة رأته الآنسة ماربل يتسهم. كانت ابتسامة جذابة جداً، وتحول وولتر هذَّ فجأة من شاب متحيم فطبع إلى شاب وسيم يتمتع بالحاذبية. أضاف قائلاً: اعتقد أنني اضطررت للتفتيس عما في صدري، ولكن الأمر السيء هو أنني اخترتك أنت لذلك.

قالت الآنسة ماربل: لا تقل هذا يا فتاي العزيز. إن لي ابنٌ أعت أنا أيضاً، إلا أنه بالطبع أكبر منك بكثير.

وذهب ذهنها -للحظات- للتفكير في الكاتب العصري المتطور ريموند ويست، ابن أختها، ولم يكن من مجال لتخيل تناقض أكبر من تناقضه مع شخصية وولتر هذَّ.

قال وولتر: ها قد أتتك رفقة أخرى. تلك السيدة لا تحبني، ولذلك سأنصرف. إلى اللقاء يا سيدتي، وشكراً على الحديث.

ومشى بعيداً بينما راقبت الآنسة ماربل ميلدريد وهي تتقدم عبر المرحج الأخضر للانضمام إليها.

\* \* \*

قالت ميلدريد بعدما جلست على المقعد وهي تلهث بعض الشيء: أرى أنك ابتليت بذلك الشاب الفضيع. أية مأساة تلك!

الكثير من الوظائف لي... وظائف! إنني لا أريد وظيفة أضعم فيها فتیان العصابات الخنوى وأساعدهم في لعب الأطفال... ما معنى هذا كله؟ إن هذا المكان يمكن أن يكون رائعاً، رائعاً بالفعل. ألا يقدر الناس الذين يملكون المال مقدارَ حظهم؟ ألا يدركون بأن معظم الناس لا يستطيعون امتلاك مكان رائع كهذا فيما هم يمتلكون هذا المنزل؟ أليس من الخنوق المطبق أن ترفض حظك عندما يأتيك؟ أنا لا أرى بأساً في العمل إن كان المرء مضطرباً. ولكنني سأعمل بالطريقة التي أريدها وبالعمل الذي أريده. وسأعمل للوصول إلى هدف محدد. إن هذا المكان يشعرني وكأنني قد علقت بشبكة عنكبوت. وجينا... لا أستطيع فهم جينا. إنها ليست الفتاة التي تزوجتها هناك في أمريكا. إنني لا أستطيع. لا أستطيع فهم أي شيء! بل لا أستطيع التكلّم معها الآن. تيباً!

قالت الآنسة ماربل بلطف: أنا أفهم تماماً وجهة نظرك.

رماها وولتر بنظرة سريعة ثم قال: أنت الشخص الوحيد الذي فتحت فمي أمامه وتكلّمت معه حتى الآن. إنني أصممت معظم نوقت كالآخرس. لا أدري ما هو الشيء الذي فيك والذي جعلني أنكس! أنت إنكليزية تماماً. بكل ما في الكلمة، ولكنك تذكّرني - أريفة ما - بعمتي يسي هناك في أمريكا.

الآنسة ماربل: ذلك رائع جداً.

استبهر وولتر يقول متأملاً: إن لديها عقلاً رائعاً. تبدو من الضعف بحيث يخيل إليك أن بوسعتك كسرهما إلى نصفين، ولكنها

كثيراً وأنه جزع تماماً لموتها أشد الجزع.

- لقد تظاهر بالجزع دون شك. لا أستطيع أن أفهم كيف شجعت أمي زواجها بأجنبي. أحسب أن ذلك نابع من الهوس الأمريكي المعتاد بالألقاب.

قالت الآنسة ماربل بهدوء: لقد اعتقدت دوماً بأن العريزة كاري لويز كانت أبعد ما تكون عن زخارف الدنيا في موقفها من الحياة.

ميلدريد: أوه، إنني أعرف ذلك، ولا أطين عليه صبراً. أنت لا تستطيعين - يا عمّة جين - أن تصوّري بدّع أمي ونزواتها ومشاريعها المثالية وما الذي كان يعنيه كل ذلك. إنني أتكلم عن معرفة طبعاً؛ فقد نشأت في وسط كل ذلك.

وقع تعبير «العمّة جين» على أذن الآنسة ماربل مسبباً شيئاً من الصدمة الحقيقية لها، لكن ذلك كان هو التقليد في تلك الأيام، فهدايا الأعياد التي كانت ترسلها لأطفال كاري لويز كانت تكذب عليها دوماً "مع حب العمّة جين"، وقد كانوا يفكرون فيها باعتبارها «العمّة جين»، هذا عندما كانوا يفكرون فيها أساساً، وهو الأمر الذي افترضت الآنسة ماربل أنه لم يكن كثير الجدول.

نظرت بتأمل إلى المرأة الكهله الجالسة إلى جانبها، إلى الفم المزوم بشدة، والخطوط العميقة من قبل الأنف نزولاً، وللى الكفين المطبقين بإحكام على بعضهما البعض، ثم قالت بلطف: لا بد أنك عشت... طفولة صعبة.

- زواج جينا، كان كل ذلك نتيجة إرسالها إلى أمريكا لقد قلت لوالدتي - في ذلك الحين - إن هذا القرار كان أبعد ما يكون عن الحكمة، فهذه مقاطعة هادئة تماماً، حتى إننا لم نذكر نتعرض لأية غارات هنا. إنني أكره كثيراً الطريقة التي يستند بها الكثير من الناس للذعر والخوف على عائلاتهم، وعلى أنفسهم أيضاً في أغلب الأحيان.

قالت الآنسة ماربل وهي تتأمل: لا بد أن من الصعب على المرء أن يقرر ما هو التصرف الصحيح، أعني عندما يتعلق الأمر بالأطفال. فمع وجود احتمالات غزو ممكن، كان يوجد احتساز تربيتهم في ظل نظام ألماني، بالإضافة إلى خطر القنابل.

ميلدريد: كل ذلك كان هراء. لم يراودني أبداً أدنى شك بأننا سننتصر، ولكن أمي كانت دوماً غير عقلانية إذا تعلق الأمر بجينا. كانت الطفلة تُدلل وتفسد بكل طريقة. لم يكن من دواعي أبداً لأخذها من إيطاليا في المقام الأول.

- إن أباهما لم يُبد أي اعتراض كما فهمت، أليس كذلك؟  
- أوه، سان سفيريانو! أنت تعرفين طبيعة الإيطاليين؛ لا يهمهم شيء غير المال. وهو كان قد تزوج بيبي من أجل مالها بالطبع.

- يا إلهي! وأنا التي كنت أعتقد دوماً أنه كان متعلقاً بها

- ربما كانوا يببالغون في دلالتها لهذا السبب بالذات.

- بل لقد أحبها أكثر مني، وهي الطفلة التي لم يرد لها أبواها الحقيقيان، أو التي كانت -على الأغلب- غير شرعية.

وصمتت قليلاً ثم تابعت: وقد برزت تلك الحصال في جينا، أليس يُقال إن «العرق دساس»؟ وهنا عرق سيء. يستطيع لويس أن يتبنى ما يشاء من النظريات حول البيئة وتأثيراتها، ولكن العرق دساس. انظري إلي جينا مثلاً.

- جينا فتاة لطيفة جداً.

- ولكن ليس بسلوكها. الجميع -ما عدا أمي- يلاحظون كيف تتغازل مع ستيفن ريسناريك. أمر مقرف تماماً... هكذا أسميه. صحيح أنها أقدمت على زواج مؤسف جداً، ولكن الزواج زوج، وعلى المرء أن يكون مستعداً للالتزام به. وهي التي اختارت -في نهاية المطاف- أن تزوج ذلك الشاب الفظيع.

- أهو فظيع إلى هذا الحد؟

- أوه أيتها العمة العزيزة جين. إنه يبدو لي -بالفعل- وكأنه رجل عصايات حقيقي، وهو في غاية النكد والوقاحة. إنه لا يكاد يفتح فمه، ويبدو دوماً أحرق غراً.

قالت الأتيسة ماربل بلطف: أعتقد أنه تعيس.

- لا أعرف حقاً سبباً يدعو لتعاسته، أعني ما عدا سلوك

توجهت ميلدريد بعينها المتهافتين الثمتمنتين وقالت: أوبر، ابني سبعة جداً إذ وجدت أحداً يقترّر ذلك. الناس لا يدورون حقاً ما يتعرض له الأطفال. لقد كانت بيبي -كما تعلمين- هي الطفلة النجمية. كانت أكبر مني أيضاً، وكانت دوماً محطّ الانتباه والعناية. والدي ووالدتي كلاهما شععاها على أن تفرض نفسها وتبهاى رغم أنها لم تكن بحاجة إلى أي تشجيع في هذا الصدد. وكنت أنا دوماً الطفلة الهادئة. كنت خجولة، فيما لم تكن بيبي تعرف ما هو الحجل. يمكن لطفل أن يعاني كثيراً يا عمة جين.

- نعم، أعرف ذلك.

- "ميلدريد غبية جداً"... هذا ما كانت بيبي تقول دوماً.

ولكنني كنت أصغر منها، ومن الطبيعي أن لا يُتوقع مني أن أجاريها في الدروس. إن من الظلم للغاية أن توضع أختها دوماً أمامها. كان الناس يقولون لأمي: "يا لتهذه لطفلة الرائعة"، ولكنهم لم ينتبهوا لي أبداً. وكانت بيبي هي التي اعتاد أبي أن يمزح ويلعب معها. كان ينبغي على شخص ما أن يدرك قسوة ذلك علي. كل الانتباه والعناية كانت تنصرف إليها، ولم أكن كبيرة بما فيه الكفاية لأدرك بأن العبرة تكمن في الشخصية.

ارتجفت شفتها، ثم تصلبت ثانية، ومضت قائلة: وقد كان ذلك ظلاماً، ظلاماً حقيقياً. كنت ابنتهما الحقيقية، ولم تكن بيبي سوى ابنة البني. كنت أنا طفلة البيت، فيما كانت هي... لاشيء.

جينا. لقد هُيئَ كل شيء له هنا. وقد اقترح لويس عدة طرق يمكنه بها أن يؤدي عملاً مفيداً، ولكنه يفضل أن يتسكع دون عمل.

ثم انفجرت قائلة: آه، إن هذا البيت لا يُحتمل.. لا يحتمل أبداً. لويس لا يفكر إلاً بهؤلاء المجرمين الشباب المخيفين، وأمي لا تفكر إلاً فيه. كل ما يفعله لويس صحيح. انظري إلى حال الحديقة، والأعشاب الضارة، وهذا النمو الزائد. والبيت، ليس فيه شيء يُنجز بشكل صحيح. أوه، أنا أعرف أن الحصول على طاقم خدم مسانئة صعبة هذه الأيام، ولكن يمكن الحصول على طاقم. وليس ذلك كله بسبب أي نقص في الأموال، بل لمجرد أن أحداً لا يهتم. لو كان هذا بيتي أنا...

ثم توقفت، فقالت الأتيسة ماربل: أوحشى أن علينا -جميعاً- أن نواجه حقيقة أن الظروف قد تغيرت. هذه المبانى الضخمة تشكل مشكلة كبرى. لا بد أنه كان مُحزناً لك -نوعاً ما- أن تعودتي لتجدي كل شيء مختلفاً. هل تفضلين العيش هنا على العيش في بيت خاص بك؟

توردت وجنتا ميلدريد وقالت: إن هذا هو بيتي في نهاية المطاف. كان بيت والدي، وما من شيء يستطيع تغيير ذلك. إن لي حقاً في العيش هنا إن اخترت ذلك، وقد اخترت ذلك بالفعل. فقط لو أن أُمِّي لم تكن صعبة الطباع إلى هذا الحد! إنها لا تقبل حتى شراء ملابس مناسبة لنفسها. إن ذلك يقلق جولتي كثيراً.

الأتيسة ماربل: كنت بصدد سؤالك عن الأتيسة جولتي.

- يا للارتياح الذي يحققه وجودها هنا! إنها تحب أُمِّي كثيراً، وقد رافقتها منذ أمد بعيد، فقد جاءت في زمن جون ريستريك. وأعتقد أنها كانت رائعة خلال تلك المشكلة المحزنة كلها. أظنك قد سمعت بأنه هرب مع امرأة يوغسلافية فظيعة، مخلوقة مشردة إلى أبعد الحدود، وقد تصرف والدتي بكل هدوء وجلال عبر تلك المحنة كلها. انفصلت عنه بأهدأ شكل ممكن، بل بلغ بها الأمر أن استقبلت أولاده خلال عطلاتهم، ولم يكن هذا أمراً ضرورياً على الإطلاق، إذ كان بالإمكان القيام بترتيبات أخرى. لم يكن وارداً -بالطبع- أن يُترك الأولاد ليذهبوا إلى أبيهم وإلى تلك المرأة. على كل حال، استضافتهم أُمِّي هنا. وقد وقفت الأتيسة بيليفر إلى جانب والدتي خلال كل تلك المحن، وكانت طوداً شامخاً صلباً. إنني أعتقد -أحياناً- أنها جعلت أُمِّي تغدو أكثر ضباية وبعداً عن الواقع، وذلك نتيجة لقيامها بكل الأمور العملية بنفسها، ولكن لا أدري ماذا كانت أُمِّي ستفعل بدونها!

توقفت، ثم قالت بنبرة فيها بعض الدهشة: ها هو لويس.. يا للغرابة! إنه نادراً ما يخرج إلى الحديقة.

تقدم السيد سيروكولد نحوهما بنفس أسلوبه الذي يعتاده في كل شيء، والتميز بالتركيز على أمر واحد فقط لا يرى غيره. بدأ أنه لا يلاحظ وجود ميلدريد لأن الأتيسة ماربل كانت الوحيدة في ذهنه. قال يخاطبها: إنني أسف جداً. لقد أردت أن آخذك في جولة في مؤسستنا لترى كل شيء. كاري طلبت مني ذلك، ولكنني -لسوء الحظ- مضطر للسفر إلى ليفربول بسبب قضية

ذلك الفصبي ومكتب طرود السمك الحديدية. سيصبحك مافيرينز في تلك الجولة، وسيكون هنا بعد دقائق، أما أنا فلن أعود حتى بعد غد... سيكون أمراً رائعاً إن استلطنا إقناعهم بعدم تقديمه للمحكمة.

نهضت ميلدريد وذهبت، ولم يلاحظ لويس سيروكولد ذهابها. كانت عيناه الجادتان تحدقان بالأنسة ماربل من خلال نظّارته السميكة، ومضى قائلاً: تعلمين أن القضاة يتبنون دوماً تقريباً وجهة نظر خاطئة. يكونون أحياناً بالغي القسوة، ولكنهم يكونون أحياناً بالغي الرأفة أيضاً. وإن حكم علي هؤلاء الصبية بأحكام لا تتجاوز بضعة أشهر فإنها لا تكون رادعة لهم، بل ربما يشعرون بنوع من الإثارة ويتباهون بذلك أمام صديقاتهم. ونكر حكماً قاسياً غالباً ما يجعلهم أكثر رزانة ورسانة، إذ يندر كون بان اللعبة لا تساوي تعبها. أو من من الأفضل عدم قضائهم فترة سجن على الإطلاق، والاستعانة عن ذلك بالتدريب الإصلاحي. أو التدريب البناء كما نفعل هنا...

قاطعتها الأنسة ماربل قائلة: سيد سيروكولد، أنت مقتنع تماماً بحالة السيد لاوسن؟ أهو... أهو طبيعي تماماً؟

ظهر تعبير امتعاض على وجه لويس سيروكولد وقال: أمر أن لا يكون قد انتكس. ما الذي كان يقوله؟

الأنسة ماربل: قال لي إنه ابن ونستون تشرشل!

السير سيروكولد: طبعاً، طبعاً.. تصريحاته المعتادة. نقه

كان طفلاً غير شرعي، وربما تكونين قد خمنت ذلك. إنه ولد مسكين، وذو جنود متواضعة جداً. ولقد جاءني بتزكية من إحدى الجمعيات في لندن، حيث كان قد اعتدى على رجل في الشارع بحجة أنه كان يتحسس عليه، وهو تصرف نموذجي في مثل حالته (كما سيخبرك الدكتور مافيريك). درست سيرته المرضية... كانت والدته من طبقة فقيرة في بلايموث، وكان أبوه بحاراً التقى صدفة بأمه، حتى أنها لا تعرف اسمه! طفل رُبي في ظروف صعبة، ثم بدأ يلقى القصص حول أبيه ثم حول نفسه لاحقاً.

كان يرتدي بذلات عسكرية ويضع نياشين لا يحق له وضعها، وكان كل ذلك من الأعراض النموذجية لحالة كحالته. ولكن مافيريك يقدر أن تطور حالته تيشر بخير، ذلك إن استلطنا أن نمنحه ثقة بنفسه. لقد أعطيته مسؤولية هنا؛ حاولت أن أجعله يدرك بأن العبرة ليست في أصل الرجل ومنبته بل في شخصه وما هو عليه. حاولت أن أمنحه الثقة بقدراته الخاصة، وقد كان التحسن ملحوظاً، وكنت سعيداً جداً به. والآن تخبريني بأنه...

توقف وهز رأسه أسفاً. وسألت الأنسة ماربل: ألا يُحتمل أن يكون خطيراً يا سيد سيروكولد؟

- «خطيراً؟» لا أعتقد أنه أبدى أية ميول انتحارية.

- ليس الانتحار ما أعنيه... لقد حدثني عن أعداء وعن اضطهاد يتعرض له. اعذرني، ولكن أليس هذا مؤشراً خطيراً؟

قال: لا أعتقد - حقاً - بأن الأمر وصل إلى هذا المستوى،

شريف ولا يلقون بالأ لفكرة القيام بشيء من الجهد والعمل.  
لماذا لا نفكر في الصبية الشرفاء المتحدرين من بيوت شريفة  
متواضعة؟ لماذا لا يقوم أحد بشيء من أجلهم؟ أكل ما في الأمر  
أن النزاهة ليست مما يثير اهتمام مهوسين من طراز السيد  
سيروكولد والدكتور مافيريك وكل العصابة الآخرين من أنصاف  
المتحمسين العاطفيين ممن يقيمون هنا. لقد نشأت أنا وإخوتي  
نشأة صعبة يا آنسة ماربل، ومع ذلك لم يكن يُسمح لنا بالتذمر  
والنوح. عالم هش رخو... هذا هو شأن العالم في هذه الأيام!

كانتا قد اجتازتا الحديقة وعبرتا من بوابة السياج، واقتربتا  
من البوابة المقوّسة التي رَقَمها أيريك غولبراندسن من قبلُ لتصبح  
مدخلاً للكَلِيَّة التي أنشأها، وهي مبنى شنيع من الآجر الأحمر.

خرج الدكتور مافيريك لاستقبالهما، وقد بدا هو نفسه  
(كما اقتنعت الآنسة ماربل) شاذاً بشكل واضح. قال: شكراً  
لك يا آنسة بيليفر. والآن يا آنسة... أه! نعم، الآنسة ماربل، أنا  
واثق أنك ستجدين عملنا هنا مثيراً وأنتك ستعجبين بطريقتنا الرائعة.  
إن السيد سيروكولد رجل ذو بصيرة ورؤية عظيمة. ويقف وراءنا  
في ذلك السير جون سيتلويل، رئيسي السابق. كان يعمل في  
وزارة الداخلية حتى أحيل إلى التقاعد، وقد كان نفوذه عاملاً  
حاسماً في الشروع بهذا العمل. إنها مشكلة طيبة، وهذا ما نسعى  
إلى حمل السلطات القانونية على فهمه. لقد تكسر الاعتراف  
بالطب النفسي أثناء الحرب، وهو الأمر الإيجابي الوحيد الذي  
نتج عن الحرب. والآن أريدك أن تري بداية تناولنا للمشكلة.

ولكنني سأكلم مافيريك. لقد كانت حالته - حتى الآن - تبشر  
بخير... تبشر بكل خير.

نظر إلى ساعته ثم قال: عليّ أن أذهب. آه، ها هي عزيزتنا  
جولي. ستولوى هي مسؤوليتك.

قالت الآنسة بيليفر وهي تقترب برشاقة وخفة: السيارة  
واقفة بالباب يا سيد سيروكولد. وقد اتصل الدكتور مافيريك من  
المعهد، وقلت له إنني سأخذ الآنسة ماربل إليه هناك، سينظرنا  
عند البوابة.

السيد سيروكولد: شكراً لك. عليّ أن أذهب، أين حقيبتى؟  
الآنسة بيليفر: إنها في السيارة يا سيد سيروكولد.

أسرع السيد سيروكولد مبتعداً، وقالت الآنسة بيليفر وهي  
تشبعه بنظراتها: في يوم ما سيقع هذا الرجل ميتاً في مكانه. إنه  
لمما ينافي الطبيعة البشرية أن لا يرتاح المرء؛ وإنه لا ينام إلا أربع  
ساعات في الليلة.

- إنه يكرس نفسه بشغف لقضيته.

- إنه لا يفكر أبداً في أي شيء آخر، ولا يحس بضرورة  
رعاية زوجته أو العناية بها بأي شكل. إنها مخلوقة رقيقة - كما  
تعليمين يا آنسة ماربل - وينبغي أن تلقى حياً وعناية. ولكن شيئاً  
في هذا البيت لا يلقى اهتماماً أو رعاية إلا هذا الجمع من الصبية  
المتذمرين النالحين الذين يريدون العيش برفاهية وبشكل غير

نظرت الآنسة ماريل إلى الناسى لثرى الكلمات لتي حُفرت .  
عملي القوس فوق الضمحل الضخم: "امتعدوا: لأمن... أنتم ب  
من تدخلون هنا".

## الفصل السادس

كان يوماً متعباً بشكل عام. وفكرت الآنسة ماريل: "إن  
الحماسة بحد ذاتها يمكن أن تكون أمراً مرهقاً جداً".

انتابها شعور غامض بعدم الرضا عن نفسها وعن ردود  
أفعالها. كان في المنزل نمط تحري عليه الأمور، بل ربما عدة  
أنماط، ومع ذلك فإنها لم تستطع رؤية لمحة واضحة لهذا النمط  
أو تلك الأنماط. وقد تركز كل قلق غامض أحست به حول  
شخصية إدغار لاوسن المثيرة للشفقة رغم غموضها... لو أنها  
-فقط- تستطيع أن تعثر في ذاكرتها على النظرير المناسب له.

رفضت -جاهدة- فكرة مقارنة إدغار بذلك الساعي شارذ  
الذهن الذي كان يعمل على شاحنة السيد سيلكيرك، أو بتلك  
القضية الغريبة جداً حول الرداء الخفيف الداخلي.

كان في إدغار لاوسن أمرٌ شاذ لم تستطيع أن تضع إصبعها  
عليه، أمر أبعد من الحقائق والملاحظة والمعترف بها. ولكن  
الآنسة ماريل لم تفهم أبداً كيف يمكن لذلك الشذوذ أو الخطأ  
في إدغار لاوسن -كائناً ما كان- أن يؤثر في صديقتها كاري

قال الدكتور مافيريك: أليس هذا رائعاً؟ نبيست هذه حقاً  
الملاحظة الصحيحة التي تبني إثارتها؟ ليس المطلوب توبيخ  
هؤلاء الضبية أو معاقبتهم لأن ذلك هو ما يسعون إليه بلهفة أغلب  
وقتهم، أعني العقاب. نريد أن نجعلهم يحسون بمدى قيمتهم.

الآنسة ماريل: مثل إدغار لاوسن؟

الدكتور مافيريك: إنه قضية ممتعة. هل تحدثت إليه؟

- بل هو الذي تحدث إلي. ألا ترى أنه ربما كان محتوباً  
بعض الشيء؟

ضحك الدكتور مافيريك باهتاج وقال وهو يدعوها للدخول:  
كلنا مجانين يا سيدتي العزيزة، وهذا هو سر الوجود... كلنا  
مجانين بعض الشيء.

\* \* \*

فتحت المرأة عينين زرقاوين صافيتين مندهشتين وأضافت:  
وما الذي عساه يقلقني يا حين؟

- أغلينا يملك قلقه ومخاوفه. أنا لذيّ مخاوفي وهموسي...  
البرقات المضرة بالنباتات مثلاً، وصعوبة رتق الألبسة الكتانية  
بشكل جيد، وعدم قدرتي على الحصول على سكر النبات لصنع  
حلويات الفاكهة... كثير من الأمور الصغيرة. يبدو من غير الطبيعي  
إلاّ تكون لديك هموم ومخاوف على الإطلاق.

- أحسب أن لذيّ منها دون شك.. لويس يعملُ بلا كلل  
ولا ملل، وستيفن ينسى وجبات طعامه وهو يكدح في المسرح،  
وجينا نزقة متقلبة، ولكنني لم أكن -قط- قادرة على تغيير الناس،  
ولست أرى كيف بوسعك أن تغيريهم. ولذلك فليس من حكمةٍ  
في القلق، اليس كذلك؟

- ميلدريد ليست سعيدة جداً أيضاً، أليس كذلك؟

- أوه، كلا، ميلدريد لا تسعدُ أبداً. وهي لم تكن سعيدة  
عندما كانت طفلة. على العكس تماماً من بيبا التي كانت متألقة  
دوماً.

- ربما كان لدى ميلدريد أسباب لعدم سعادتها؟

أجابت كاري لويز بهدوء: بسبب الغيرة؟ نعم، ربما...  
ولكن الناس لا يحتاجون فعلاً لسبب حتى يشعروا بما يشعرون  
4. بل إنهم -ببساطة- خلقوا هكذا. ألا تظنين ذلك يا حين؟

لويز؛ ففي ظل الأنماط المضطربة للحياة في ستوني غيتس تؤثر  
متاعب ورغبات الناس في بعضها البعض. ولكن أياً منها لا يؤثر  
في كاري لويز (بحدود رؤية الأنسة ماربل).

كاري لويز... أدركت الأنسة ماربل -فجأة- بأنها هي  
وحدها التي تستعمل هذا الاسم، ما عدا روث الغائبة الآن. فقد  
كان زوجها يدعوه كارولين، وكانت الأنسة بيليفر تدعوه  
كارا، وكان ستيفن ريستاريك يدعوه -عادة- مادونا. وكان  
وولي يدعوه -رسمياً- السيدة سيروكولند، بينما اختارت جينا  
مناداتها غراندام، وهي كلمة منحوتة من كلمتين تعنيان السيدة  
العظيمة والحدّة الأم.

أيمكن أن تكون أهمية أو مغزى ما في الأسماء المختلفة  
التي تم إيجادها لكارولين لويز سيروكولند؟ هل كانت بالنسبة  
لهم جميعاً مجرد رمز وليست شخصاً حقيقياً؟

في صباح اليوم التالي، عندما جاءت كاري لويز -وهي  
تجر رجليها قليلاً- وجلست على مقعد الحديدية قرب صديقتها  
وسألتهما عما تفكر به، أجابت الأنسة ماربل بسرعة: أفكر بك يا  
كاري لويز.

- في أي شيء مني تفكرين؟

- أخبريني بصدق... هل من شيء يقلقك هنا؟

- «يقلقني»؟



جداً. ترديني أن أشتري ملابس رائعة وأحيط نفسي بمظاهر الترف، وهي تعتقد أن على الجميع أن يضعوتي في مقدمة اهتماماتهم ويقفوا لخدمتي طائعين. وهي الشخص الوحيد الذي لم يتأثر أبداً بحماسة لويس لمشروعه، فصيبتنا المساكين كلهم -في نظرها- من الشباب المجرمين المدللين، ولا يستحقون أن ينصرف إليهم أي عناء. وهي تعتقد أن هذا البيت رطب وسيء بالنسبة لمرض الروماتيزم عندي، وأن عليّ أن أذهب إلى مصر أو أي مكان آخر دافئ وجاف.

- هل تعانيين كثيراً من الروماتيزم؟

- لقد تقادم المرض مؤخراً لدي، وأجد صعوبة في المشي. تصيبُ ساقيّ تشنجاتٍ رهيبية. آه، على كل، إن للعمر تبعاته! وارتسمت ثانية على وجهها تلك الابتسامة الفاتنة الساحرة.

خرجت الآنسة بيليفر من الباب الزجاجي المغضي إلى الحديقة وأسرعت باتجاههما. ثم قالت: وصلنا توابقياً يا كارا.. أبلغونا إياها بالهاتف، تقول: "يصل بعد ظهر اليوم كريستيان غولبراندسن".

بدت كاري لويز مندهشة تماماً وقالت: كريستيان؟ لم أكن أعرف أنه في إنكلترا!

قالت الآنسة بيليفر: أظن أن عليّ أن أعيدَ جناح الغرف المبطنة بخشب البلوط؟

وخطرت في ذهن الآنسة ماريبل -بسرعة- صورة الآنسة مونكريف التي كانت تستعدها أمٌ مستبعدة عاجزة، وكانت الابنة المسكينة تنوق للسفر ورؤية العالم. واستعادت في ذهنها كيف فرحت قرية سينت ميري ميد عندما دفت السيدة مونكريف في ساحة الكنيسة وغدت ابنتها حرة أخيراً ومعها دخلٌ لا بأس به. وكيف أن الآنسة مونكريف -وقد بدأت رحلاتها- لم تذهب أبعد من بلدة هيريس حيث مرت لزيارة واحدة «من أقدم صديقات أمها»... وهناك تأثرت كثيراً لبلوى عجوز موسومة بالمرض إلى الحد الذي جعلها تلغي كل حجوزات سفرها وتتولى السكنى في دارة العجوز لكي تُضطهد من جديد وتتوء بالأعمال وتتشوق بحزن -مرة أخرى- إلى مباحج الدنيا. وفكرت الآنسة ماريبل بأن قصة مونكريف تثبت رأي كاري لويز، فأجابتها: أظن أنك على حق يا كاري لويز.

- إن كوني خالية من الهموم يعود -في جزء منه- إلى جولي بالطبع. جولي العزيزة.. جاءت للعمل عندي عندما كنت أنا وجوني قد تزوجنا لتونا، وكانت رابعة منذ البداية. إنها تعتنى بي كما لو كنت طفلة أو عاجزة تماماً. إنها مستعدة لتعمل أي شيء من أجلي.. أشعر أحياناً بالخجل التام. أعتقد حقاً بأن جوني مستعدة حتى لقتل شخص من أجلي يا جين. أليس قول ذلك أمراً فظيلاً؟

- إنها مخلصه كثيراً بالتأكيد.

ضحكت كاري لويز وقالت: إنها تغدو -أحياناً- ساحظة

- نعم، رجاء يا جولي، وبذلك لن يضطر لاستعمال الدرج.  
هزت الأنسة بيليفر رأسها موافقة وقلت عائدة إلى المنزل.

كارى لويز: كريستيان غولبراندسن هو ابن زوجي السابق.  
إنه الابن الأكبر لإيريك، وهو أكبر مني بستين. إنه أحد القيمين  
على المعهد، بل هو القيم الرئيس عليه. كم هو مزعج أي يكون  
لويس غائباً، إذ أن كريستيان لا يكاد يبقى أكثر من ليلة وحنة  
هنا، فهو رجل غارق حتى أذنيه بالمشاغل والأعمال، ومن المؤكد  
أنه توجد أمور يريد الرجلان أن يناقشها معاً.

وصل كريستيان غولبراندسن عصر ذلك اليوم في وقت  
تناول الشاي. كان رجلاً ضخماً ذا تقاسيم عريضة ثقيلة وطريقة  
في الكلام بطيئة ومنهجية، وقد حيا كارى لويز بكل الحب والود  
قائلاً: وكيف هي حال عزيزتنا كارى لويز؟ لا يبدو عليك أنك  
كبرت يوماً واحداً، مجرد يوم.

ثم وقف ينظر إليها متبسماً ويداه على كتفيها. وفجأة شدته  
يداً من كُمِّ كريستيان!

التفت وقال: آه، ميلدريد، كيف حالك يا ميلدريد؟

- لم أكن أبداً على ما يرام مؤخراً.

- مع الأسف، هذا خبر سيء.

كان بين كريستيان غولبراندسن وأخته لأبيه ميلدريد شبهة

كبير. كان بينهما فارق ثلاثين سنة تقريباً، وكان يمكن - بسهولة -  
أن يُنظر إليهما كوالد وابنته. وقد بدت ميلدريد نفسها مسرورة  
بشكل خاص بوصوله، فقد طغت عليها البهجة والحماسة وغلبت  
عليها الثرثرة، فمضت تتحدث بشكل متكرر - طوال النهار - عن  
«أخي» و«أخي كريستيان» و«أخي السيد غولبراندسن».

التفت غولبراندسن إلى جينا وقال: وكيف هي جينا الصغيرة؟  
أما زلت هنا - إذن - أنت وزوجك؟

جينا: نعم، لقد استقرنا تماماً هنا، أليس كذلك يا وولي؟  
وولي: هكذا يبدو.

بدت عينا كريستيان غولبراندسن الصغيرتان الحادثتان  
وكانهما تزنان وولي بسرعة، وقد بدا وولي كعادته كئيباً نكيداً  
غير ودود.

كريستيان: ها أنا ذا مع العائلة كلها مرة أخرى.

كان صوته يُظهر بشاشة وأريحية مقصودة، ولكن الأنسة  
ماربل فكرت بأنه - في الحقيقة - لم يكن يشعر بالبشاشة والأريحية  
بشكل خاص. كان في شفتيه شيء من التحهم، وفي أسلوبه  
وطريقة تصرفه ما ينم عن شاغل معين يشغله. وعندما تم تعريفه  
بالأنسة ماربل رماها بنظرة حادة نافذة وكأنه يزن ويقوم هذه  
القادمة الجديدة.

كارى لويز: لم نكن نعرف أنك في إنكلترا يا كريستيان.

المتعمنة منها إلى الآخرين واحداً واحداً، يتفحصهم بنوع من التقويم الخفي الذي بدا غريباً بشكل خاص.

بعد تناول الشاي انسحبت الأتسة ماربل بحذق وكياسة من بين المجموعة وذهبت إلى المكتبة، ولكن ما فاجأها بعض الشيء - بعدما جلست وأخرجت الحياكة التي كانت تعمل بها- هو دخول كريستيان غولبراندسن وجلسه بجانبها.

كريستيان: أعتقد أنك صديقة قديمة جداً لعزيتنا كاري لويز، أليس كذلك؟

- كنا في مدرسة واحدة في إيطاليا يا سيد غولبراندسن، منذ أمد بعيد بعيد.

- آه! نعم. أنت مغرمة بها؟

أحابه الأتسة ماربل بحرارة: نعم، بالفعل.

- وهذا شأن الجميع كما اعتقد. نعم، إنني أعتقد -حقاً- بأن الجميع يحبونها. ولا غرابة في ذلك؛ فهي امرأة فائنة وعزيزة جداً. لقد كنا نحبها دوماً أنا وإخوتي منذ تزوجها والذي. كانت عندنا أختاً عزيزة غالية، وكانت زوجة مخلصة لوالدي ووفية لكل أفكاره. لم تكن تفكر أبداً في نفسها، بل كانت تضع مصلحة الآخرين في المقدمة.

الأتسة ماربل: لقد كانت دوماً مثالية.

- مثالية؟ نعم، نعم، هذا صحيح. ولذلك فربما لم تكن

كريستيان: نعم، لقد حثت بشكل مفاجئ بعض الشيء.

- من المؤسف جداً أن لويس مسافر. كم ستبقى معنا هنا؟

- كنت أنوي المغادرة غداً. متى سيعود لويس؟

- غداً عصراً، أو في المساء.

- يبدو أن عليّ -إذن- أن أبقى ثلثية أخرى.

- لو أنك أخبرتنا فقط...

- يا عزيتي كاري لويز، لقد تمت ترتيبات قدمومي بشكل مفاجئ تماماً.

- هل تبقى لرؤية لويس؟

- نعم، من الضروري أن أراه.

كانت الأتسة بيليفر قد قالت للأتسة ماربل بأن كريستيان غولبراندسن والسيد سيروكولد كليهما من الأوصياء على «معهد غولبراندسن»، وأن الوصيين الآخرين هما أسقف كرومر والسيد غيلفروي. فالمفترض -إذن- أن حضور كريستيان كان لعمل يخص معهد غولبراندسن. وبدا أن الأتسة بيليفر تفترض ذلك شأنها شأن الباقين، ولكن الأتسة ماربل لم تطمئن لذلك.

لمرة أو مرتين وجه كريستيان العجوز نظرة تفكير حائرة إلى كاري لويز في وقت لم تكن فيه منتبهة له... نظرة حيرت صديقة كاري لويز التي كانت تراقب كل شيء. وقد حول نظرتة

تقدّر حقاً الشر الموجود في هذا العالم.

نظرت إليه الأنسة ماربل مندهشة. كان وجهه شديد الصرامة والعبوس. سأل: أخبريني، كيف هي صحتها؟

شعرت الأنسة ماربل بالدهشة مرة أخرى. قالت: تبدو لي في أحسن حال لولا التهاب المفاصل أو الروماتيزم.

- الروماتيزم؟ نعم. وقلبيها؟ هل قلبها سليم؟

ازدادت دهشة الأنسة ماربل وقالت: نعم، حسب معلوماتي. ولكنني -حتى يوم أمس- لم أكن قد رأيتها منذ سنوات طويلة. إن أردت أن تعرف حالتها الصحية فعليك أن تسأل واحداً من سكان هذا المنزل، كالآنسة بيليفر مثلاً.

كريستيان: الأنسة بيليفر. نعم، الأنسة بيليفر، أو ميلدريد؟  
الآنسة ماربل: «أو ميلدريد»... كما تقول.

شعرت الأنسة ماربل بعارض خفيف من الحرج، وكان كريستيان غولبراندسن يندقق في نظراته بإمعان شديد، ثم قال: ليست بين الأم والابنة عواطف كبرى، ما رأيك بذلك؟  
- نعم، لا أعتقد بوجود مثل هذه العواطف.

- نعم، إنه لأمر مؤسف. ابتها الوحيدة، ولكن هذا هو الوضع. حسناً، بالنسبة لهذه الأنسة بيليفر، أعتقدون أنها متعلقة بكاري لويز بالفعل؟

الآنسة ماربل: نعم، جداً.

- وهل تعتمد كاري لويز على هذه الأنسة، بيليفر؟

- أعتقد ذلك.

كان كريستيان متجهماً، وقال كمن يحدث نفسه: عندنا الصغيرة نجينا، ولكنها صغيرة جداً... أمر صعب!

ثم توقف وعاد ليقول بهدوء: من الصعب أحياناً أن يعرف المرء ما هو الخيار الأفضل الذي ينبغي القيام به. إنني حريص تماماً على ألا يصيب تلك السيدة العزيزة أي أذى أو تعاسة. ولكن الأمر ليس سهلاً، ليس سهلاً على الإطلاق.

في تلك اللحظة دخلت ميلدريد إلى الغرفة وقالت: آه، أنت هنا يا كريستيان... كنا نتساءل عن مكانك. يريد الدكتور مايفريك أن يعرف إن كنت تريد أن تراجع أي أمر معه.

كريستيان: أتعتن ذلك الدكتور الشاب الجديد؟ لا، لا... سأنتظر إلى أن يأتي لويس.

ميلدريد: إنه ينتظر في مكتب السيد لويس. هل أخبره؟

كريستيان: بل سأبادل معه كلمتين شخصياً.

وأسرع كريستيان بالخروج. نظرت ميلدريد خلفه، ثم حدثت بالآنسة ماربل وقالت: إنني لأتساءل إن كانت توجد مشكلة ما. ليس أبداً كهدهه... هل قال شيئاً؟

الآنسة ماربل: لقد سألتني فقط عن صحة والبدنك.

ميلدريد: صحتها؟ ولماذا يسألك عن ذلك؟

كانت ميلدريد تتحدث بحدّة ووجهها الضخم المربع يتورد بشكل غير لائق.

الآنسة ماربل: إنني حقاً لا أدري.

قالت ميلدريد: "إن صحة أُمّي جيدة تماماً... بل جيدة إلى حد مدهش بالنسبة لامرأة في مثل عمرها، بل إنها أحسن من صحتي إذا لم أبالغ". ثم توقفت لحفظة قبل أن تضيف: أرجو أن تكوني قد أخبرته بذلك؟

- إنني لا أعلم أي شيء عن الأمر. لقد سألتني عن قلبها.

- قلبها؟

- نعم.

- ليس في قلب أُمّي مرض، لا شيء فيه مطلقاً!

- إنني سعيدة بأن أسمع منك ذلك يا عزيزتي.

- يا إلهي! من هو الذي أدخل مثل هذه الأفكار الغريبة

في رأس كريستيان؟

الآنسة ماربل: لا أدري.

\* \* \*

## الفصل السابع

مضى اليوم التالي دون أية حوادث تذكر، ومع ذلك فقد بدت للآنسة ماربل علامات توتر داخلي. أمضى كريستيان غولبراندسن صباحه مع الدكتور مايفريك في التجول في المعهد وفي مناقشة النتائج العامة للسياسة المتبعة فيه. وفي وقت مبكر من عصر ذلك اليوم اصططحته حيناً في جولة بالسيارة، ولاحظت الآنسة ماربل بعد ذلك بأنه أفتع الآنسة بيليفر أن تريح شيئاً ما في حدائق المنزل. وبدا لها أن ذلك لم يكن إلا حجة لتأمين حديث عاص وجهاً لوجه مع تلك المرأة العيوس. وهنا أيضاً، إن كانت زيارة كريستيان المفاجئة لا علاقة لها إلا بالعمل فلماذا هذه الرغبة في صحبة الآنسة بيليفر، طالما أن الأخيرة لا تتدخل إلا في الجانب الخدمي المنزلي من ستولني غيتس؟

ولكن، في كل ذلك، كان بوسع الآنسة ماربل أن تفتنع نفسها بأنها عيالاتها لا أساس لها. ولكن الحدث الوحيد المُقلق الذي حدث في ذلك اليوم كان في حوالي الساعة الرابعة عصراً. كانت قد لفتت عُدّة حياتها وخرجت إلى الحديقة في جولة مشي قصيرة قبل موعد تناول الشاي. وإذا كانت تدور حول

وبدا إدغار لاوسن يرتحف من رأسه حتى أخصص قدميه.  
 كان كلامه أقرب إلى النحيب: أن أتق بشخص ما! أن أصدقه...  
 وكان الأمر كذباً، كذباً كله... كذباً يهدف إلى إبعادي عن  
 كشف الحقيقة. لا أستطيع تحمل ذلك؛ إنه تصرف شرير جداً...  
 لقد كان الشخص الوحيد الذي وثقت به، لا أكشف الآن أنه كان  
 يقف خلف الأمر كله طوال الوقت. هو الذي كان عدوي، وهو  
 الذي يقف خلف ملاحظتي والتجسس علي! ولكنه لن يستطيع  
 أن يفلت بفعلته بعد الآن. لسوف أتكلم، وسأقول له بأنني أعرف  
 ما كان يفعله.

الآنسة ماربل: ومن «هو» هذا؟

نهض إدغار منتصباً بكامل قامته. كان من شأنه أن يبدو  
 مهيباً يدعو إلى التعاطف والشفقة، ولكنه لم يبدو - عملياً - إلا  
 سخيفاً. قال: إنني أتحدث عن والذي.

- الفيسكونت مونتغمري... أم تعني ونستن تشرشل؟

وماها إدغار بنظرة ازدراء وقال: لقد جعلوني أظن ذلك،  
 لمجرد إبعادي عن تخمين الحقيقة. ولكنني أعرف الآن... لقد  
 حصلت على صديق، صديق حقيقي. صديق يخبرني بالحقيقة  
 ويجعلني أدرك تماماً كيف تم خداعي. حسناً، إن علي والذي  
 أن يصفي حساباه معي... سأقذف أكاذيبه في وجهه! سأتحداه  
 بالحقيقة. وسنرى ماذا سيكون جوابه علي ذلك.

ثم توقف فجأة ومضى راكضاً ليختفي في الحديقة.

شجرة وردٍ نمت وانتشرت دون اتساق ووجدت أمامها إدغار  
 لاوسن يمشي وهو يدمدم مع نفسه وقد أوشك أن يصطدم بها.  
 قال بسرعة: عفواً، أنا آسف.

ولكن الآنسة ماربل أحفلها التعبير الغريب الظاهر في عينيها  
 المحدثتين، وسألته: هل تشعر بسوء يا سيد لاوسن؟

إدغار: حسناً؟ كيف لا أشعر بسوء؟ لقد تعرضت لصدمة...  
 صدمة رهيبه!

الآنسة ماربل: صدمة من أي نوع؟

نظر الشاب خلفها نظرة خاطفة، ثم أرسل نظرة قلبي حادة  
 إلى كل جانب، وقد أدى تصرفه هذا بالآنسة ماربل إلى أن تشعر  
 بشيء من العصبية والقلق. وأخيراً نظر إليها بارتياح وقال: هل  
 يستحسن أن أنجرك؟ لا أدري... إنني حقاً لا أدري. لقد كنت  
 موضع مراقبة مشددة.

حزمت الآنسة ماربل أمرها، فأمسكت بذراعه بقوة وقالت:  
 لماذا لا نمشي قليلاً في هذا الممشى؟ ليس فيه أشجار أو أغصان  
 قريبة، فلا يمكن لأحد أن يسترق السمع علينا.

إدغار: نعم، نعم. أنت محقة.

سحب نفساً عميقاً، وأحنى رأسه وقال كلماته التالية بما  
 يشبه الهمس: لقد كشفت شيئاً، كشفاً رهيباً.

عادت الآنسة ماربل إلى المنزل متحممة الوجه. تذكرت قول الدكتور مافريك: "كلنا مجانين بعض الشيء يا سيدتي العزيزة"... ولكن بدا لها أن الأمر في حالة إدغار قد مضى أبعد قليلاً من ذلك.

\* \* \*

عاد لويس سيروكولد من سفره في انسادسة والنصف مساءً. أوقف السيارة عند البوابة، ومشى عبر الحديقة إلى البيت. ورأت الآنسة ماربل -وهي تنظر من نافذتها- كريستيان يخرج لاستقباله، وبعد أن تبادل الرجلان التحيات دارا وبدأ يذرعان المصطبة الأمامية جيئة وذهاباً.

كانت الآنسة ماربل قد حرصت على أن تحضر معها منظرها انخاض بمراقبة الطيور، وقد وجدت له عملاً في هذه اللحظة. ترى هل كان سرب من الخنثاسين يطير في أحمة الأشجار البعيدة تلك أم لم يكن؟

وعندما نزلت بالمنظار قليلاً، لاحظت بأن كلا الرجلين كانا يبدوان قنقين بشكل جدي. مدت الآنسة ماربل جسمها إلى الخارج قليلاً، ووصلتها بين الحين والآخر نطف من الحديث. ونو قدر لأي واحد منهما أن ينظر إلى الأعلى لئلا له واضحاً أن امرأة شديدة الولوج بمراقبة الطيور تركز انتباهها على نقطة أبعد ما تكون عن حديثهما.

كان كريستيان يقول: كيف نوفر على كاري لوزير معرفة...؟ وفي المرة التالية حين كانا يمران تحتها كان لويس هو الذي يتحدث: لو أمكن إخفاء الأمر عنها. أوافقك على أنها هي الشخص الذي ينبغي التفكير فيه...

ووصلت نطف باهتة أخرى للآنسة ماربل المصغية: «خطير بالفعل»... «غير مبرر»... «مسؤولية كبيرة يصعب تحملها»... «ربما كان علينا أن نستعين بمشورة خارجية»...

وأخيراً سمعت الآنسة ماربل كريستيان غولبراندسن يقول: أحم، لقد أصبح الجو بارداً... ينبغي أن ندخل.

أدخلت الآنسة ماربل رأسها من النافذة والحيرة ترسم على محياها. كان ما سمعته أكثر تشظياً من أن يعاد جمعه وترتيبه بسهولة، ولكنه أفاد في تأكيد الخشية المبهمة التي كانت تتزايد تدريجياً في داخلها من وجود مشكلة ما، والتي كانت روث فان ريدوك واثقة تماماً من وجودها. كائناً ما كان الأمر الشاذ في منزل ستوني غيتس فإنه يؤثر -بالتأكيد- في كاري لوزير.

\* \* \*

كان العشاء في تلك الليلة وجبة متكلفة بعض الشيء كأمر لا بد منه. بدا كلٌّ من لويس وكريستيان شاردين غارقين في أفكارهما الخاصة، وقد حملق وولتر هُذ أكثر من عادته، ولم يبدُ لدى جيئا وستيفن -هذه المرة- كثير مما يقولانه. وكان

أكثر من حافظ على سير الحديث الدكتور مافيريك الذي دخل في نقاش طويل متخصص مع السيد بومغارتن، أحد مسؤولي العلاج عن طريق العمل.

وعندما انتقل الجميع إلى الصالة بعد العشاء اعتذر كريستيان مباشرة عن البقاء معهم قائلاً إن لديه رسالة هامة عليه أن يكتبها، وأضاف: ولذلك -إن كنت تسمحين لي يا عزيزتي كاري لويز- سأذهب الآن إلى غرفتي.

كاري لويز: ألدريك هناك كل ما نحتاجه؟ حولي؟

كريستيان: نعم، نعم، كل شيء موجود. لقد طلبت آلة طباعة، وقد وضعت واحدة في غرفتي. لقد كانت الآتسة بيليفر في منتهى اللطف واليقظة.

ثم غادر الصالة الكبرى من الباب الأيسر الذي يفضي بالخارج منه إلى مقدمة الدرج ثم إلى ممر ينتهي بجنح يضم غرفة نوم وحماماً. وعندما خرج قالت كاري لويز: ألن تنزلي إلى قاعة المسرح الليلة يا جينا؟

هزت الفتاة رأسها بالنفي، ثم مضت وجلست قرب النافذة المطلة على باحة المنزل والممشى الأمامي المفضي إليه. ألقى ستيفن نظرة عليها ثم مشى إلى حيث البيانو الضخم فجلس إليه ثم داعب مفاتيحه بوق بالغة مصدراً لحناً صغيراً غريباً حزيناً. أما خبيرا العلاج عن طريق العمل (وهما السيدان بومغارتن وليسي) والدكتور مافيريك فقد تمنوا للحاضرين ليلة سعيدة وغادروا.

نقر وولي زرّ مصباح القراءة فأضاء، وفي اللحظة ذاتها انطفأت نصف أضواء الصالة مع صوت طقطقة، فومجر مغضباً وقال: هذا المفتاح السخيف عاطل دائماً... سأذهب وأضع فيوزاً جديداً.

غادر القاعة، وتمتصت كاري لويز قائلة: إن وولي بارع جداً بالأدوات الكهربائية والأمور المشابهة. هل تذكرين كيف أصلح آلة تحميلص الخبز تلك؟

ميلدريد: يبدو أن ذلك هو كل ما يفعله هنا. أمي، هل تناولت شرباك المقوي؟

بدأت الأنسة بيليفر منزعجة، ثم قفزت قائلة: "أعترف أنني نسيت شرايها تماماً الليلة". ثم مضت إلى غرفة الطعام، وسرعان ما عادت حاملة كأساً صغيراً فيه سائل يعميل لونه للحمرة قليلاً.

ابتسمت كاري لويز قليلاً، ومدت يداً طائفة، ثم قبضت وجعها اشمئزازاً وقالت: يا له من شراب فظيع، ومع ذلك لا يدعني أحد أنساه!

بعدها قال لويس فجأة على غير توقع: لا أظن أن عليك تناوله يا عزيزتي. لست واثقاً أنه يوافقك حقاً.

ثم أخذ الكأس من الأنسة بيليفر يهدوء، ولكن بتلك الطاقة المنضبطة التي كانت تبدو دوماً واضحة فيه، ووضعها على مائدة السيدان الضخمة.

قالت الأنسة بيليفر بحدة: "أنا لا أستطيع أن أتفق معك



في ذلك أبداً يا سيد سيروكولد، فلقد تحسنت صحة السيدة سيروكولد كثيراً من..."، ثم سكنت فجأة ودارت بحدّة.

انفتح الباب الأمامي بدفعة قوية جعلته يرتطم ويتأرجح، ودخل إدغار لاوسن إلى الصالة الواسعة ضعيفة الإنارة بأسلوب ممثلي شهير يظهر على خشبة المسرح معلناً نجاحه. وقف في وسط الصالة، وأخذ في وقفته وضعاً معيناً مثيراً.

أوشك موقفه أن يكون سخيفاً، ولكنه لم يكن سخيفاً تماماً. قال بأسلوب مسرحي: وهكذا وجدتك، آه يا عدوّي!

قال ذلك للسيد لويس سيروكولد، الذي بدا مندهشاً قليلاً وقال: لماذا يا إدغار؟ ما هي القضية؟

إدغار: أنت من يقول لي ذلك... أنت؟! أنت تعرف ما هي القضية، لقد كنت تخدعني، وتتجسس عليّ، وتعمل مع أعدائي ضدي.

أمسك لويس بذراعه وقال: الآن هيا، هيا يا طفلي العزيز، لا تتفعل... أخبرني عن كل شيء بهدوء... تعال إلى مكثي.

قاده عبر الصالة، ثم عبر باباً إلى اليمين أغلقه خلفه. بعد ذلك سُمع صوت آخر، صوت حاد لمفتاح أدير في القفل. نظرت الأنسة بيليفر إلى الأنسة ماربل وقد حظوت في عقولهما الفكرة نفسها؛ وهي أن لويس سيروكولد لم يكن هو الذي أدار المفتاح.

قالت الأنسة بيليفر بحدّة: ذلك الشاب يوشك أن يفقد

عقله باعتقادي... إنه أمر لا يؤمن له.

ميلدريد: إنه شاب مختل كلياً وحاد تماماً لكل ما تم عمله من أجله، ينبغي عليك يا أمي أن تعترضى بقوة.

تمتت كاري لويز مع زفرة خفيفة: ليس منه أذى في الواقع. إنه مغرم بلويس، مغرم جدا به.

نظرت إليها الأنسة ماربل باستغراب، إذ لم يظهر أي «غرام» في الطريقة التي واجه بها إدغار زوجها لويس قبل دقائق، بل كانت تلك الطريقة أبعد ما تكون عن الغرام. وتساءلت - كما تساءلت من قبل - هل كانت كاري لويز تدير ظهرها للواقع بشكل متعمد؟

قالت جينا بحدّة: كان في جيبه شيء... أعني في جيب إدغار. كان يعبث به.

تمتم ستيفن وهو يرفع يديه عن مفاتيح البيانو: لو كنا في فيلم سينمائي لكان ذلك الشيء مسدساً بالتأكيد.

سعلت الأنسة ماربل وقالت كالمعتدّة: فلننتك تعرف... لقد كان ذلك مسدساً بالفعل.

من خلف الباب الموصل لمكتب لويس، كان يمكن تمييز أصوات الاثنین بوضوح. أما الآن فقد أصبحت تلك الأصوات فجأة مسموعة بشكل واضح. كان إدغار لاوسن يصرخ بينما حافظ صوت لويس سيروكولد على نبرته المعقولة الهادئة. كان

للقلق يا جينا. إن إدغار يحب لويس. إنه -فقط- يستعرض نفسه مسرحياً، هذا هو كل ما في الأمر.

انطلق صوت إدغار من خلف الباب في ضحكة لم تملك الأتمة ماربل إلا أن ترى فيها ضحكة جنون مؤكدة.

- نعم... إن لديّ مسدساً، وهو محشو أيضاً. كلا... لا تتكلم، لا تتحرك، عليك أن تسمعي. أنت من بدأ هذه المؤامرة ضدي... والآن ستدفع ثمناً لها.

سُمع صوت كأنه طلق ناري جعل الجميع يهفولون، ولكن كاري لويز قالت: لا شيء من هنا، إنه في الخارج... من مكان ما في الحديقة.

ومن خلف الباب الموصد كان إدغار يرغي بصوت صارخ عال: إنك تجلس هناك نائلاً إليّ... تنظر إليّ متظاهراً بعدم الاهتمام. لماذا لا تركز علي ركبتيك وتطلب الرأفة؟ سأطلق النار... إنني أحذرك. سأطلق النار وأقتلك! أنا ابنك... ابنك المحترق الذي لا تعترف به... أردت أن تخفيني بعيداً، بل ربما بعيداً عن هذا العالم كله، وضعت جواسيسك ليلاحقوني، ليقتنوا أثري كالكلاب، حكمت ضدي الدسائس. أنت، والدي! إنني مجرد لقيط، ليس كذلك؟ مجرد لقيط. ما برحت تملأ رأسي بالكاذيب متظاهراً باللطف معي. لن أدعك تعيش.

وتناهت مرة أخرى سلسلة من الكلمات البيضية الفاحشة.

إدغار يصيح: كذب، كذب، كذب، كذب، كل شيء كاذب... أنت هو والدي، وأنا ابنك. لقد حرمتني من حقوقي. كان يفترض أن أملك أنا هذا المنزل. أنت تكرهي وتريد التخلص مني!

سُمت همهمات تهدئة من لويس، ثم ارتفع الصوت الهستيري أعلى من السابق مطلقاً نعتاً بذيئة. بدأ أن إدغار يفقد بسرعة سيطرته على نفسه، وتناهت كلمات متفرقة بين الحين والآخر من لويس: "أهدأ... على رسنك... أنت تعرف أن كل ذلك غير صحيح".

ولكن تلك العبارات بدت غير قادرة على تهدئة إدغار، بل -على العكس- زادت هيجاناً. كان الجميع في الصالة صامتين جامدين، يصغون بانتباه إلى ما يجري خلف الباب الموصد لمكتب لويس.

صاح إدغار: سأجعلك تصغي إلي. سأنتزع ذلك التعبير المترفع عن وجهك. وأنا أقول لك إنني سأنتقم... سأنتقم لكل ما جعلتني أعاني منه.

تأهى الصوت الآخر جافاً مقتضباً، يختلف عن نبرات لويس العاطفية المعتادة: ضع ذلك المسدس جانباً!

صاحت جينا بحدة: سيقنله إدغار... إنه محتون... ألا نستدعي الشرطة أو نفعّل شيئاً؟

قالت كاري لويز بلطف وهي لم تزال على هذونها: لا داعي

ما الذي يحدث هنا؟

أجابته ميلدريد والدموع في عينها: ذلك الشاب المحتون  
الفضيح أطلق النار على السيد سيروكولد.

- رجاء.

كانت المتكلمة كاري لويز، التي نهضت واقتربت من باب  
المكتب، ثم نَحَتْ ستيفن جانباً بكل لطف قائلة: دعني أكلمه.  
نادت برقة بالغة: إدغار... إدغار. دعني أدخل، رجاء يا إدغار.

سمعوا صوت المفتاح يدخل في القفل، ثم دار فيه وانفتح  
الباب ببطء. ولكن من فتحه لم يكن إدغار، بل لويس سيروكولد.  
كان يتنفس بصعوبة كما لو أنه كان يركض، ولكنه - ما عدا  
ذلك - لم يكن متأثراً. قال: الأمر على ما يرام يا عزيزتي. الأمر  
تماماً علي ما يرام.

قالت الآنسة بيليفر بحفاوة: ظننا أن النار قد أطلقت عليك.

قطب لويس جبينه، ثم قال بشيء من الحدة والخشونة:  
بالطبع لم تُطلق علي النار.

كانوا قادرين الآن على رؤية ما في المكتب. كان إدغار  
منهاراً قرب المكتب ينسج ويشهق، والمسلس ملقى على الأرض  
حيث سقط من يده.

ميلدريد: ولكننا سمعنا الطلقات.

في وقت ما خلال هذا المشهد سمعت الآنسة ماربل الآنسة  
بيليفر تقول: "يجب أن نفعل شيئاً"، ثم غادرت الصالة.

بدأ أن إدغار سكت قليلاً لاسترداد أنفاسه، ثم صرخ بعدها:  
إنك ستموت، ستموت الآن. خذ هذه أيها الشيطان... وهذه!

ودوّت طلقتان حادثان، ليس في الحديقة هذه المرة، بل  
خلف الباب الموصد بالتأكد. صاح أحدهم (ظلت الآنسة ماربل  
ميلدريد): آه، يا إلهي! ماذا نفعل؟

سمع صوت عبيطة ثقيلة من داخل الغرفة، ثم تناهى صوت  
يكاد يكون أشد فظاعة من الأصوات مسابقة، كان صوت تشيح  
ثقيل بشيء. تقدم أحدهم متجاوزاً الآنسة ماربل وبدأ يهز الباب  
ويقرعه. كان ذلك ستيفن ريسناريك الذي صرخ: افتح الباب...  
افتح الباب.

عادت الآنسة بيليفر إلى الصالة وفي يدها مجموعة مفاتيح،  
وقالت بأنفاس متقطعة: حارب بعضاً من هذه المفاتيح.

في تلك اللحظة أصابت المصاييح التي أطفأها التماس  
الكهربائي، وعادت الصالة ثانية إلى الحياة بعد ظلمتها المخيفة.

بدأ ستيفن ريسناريك بنحرة المفاتيح، وسمعوا زنين المفتاح  
الداخلي يقع على الأرض داخل الغرفة بينما كان ستيفن يحارب  
المفاتيح. وفي الداخل استمر ذلك التشيح العنيف اللئيم. أما  
وولتر هُدُ العائد - بنكاسل - إلى الصالة فقد وقف باهتاً وسأل:

السيد سيروكولد: آه! نعم، لقد أطلق طلقتي.

ميلدريد: وأخطأك؟

لويس سيروكولد: بالطبع أخطأني.

لم تعتبر الآنسة ماربل وجود أي داع لاستعمال كلمة «بالطبع»؛ فما من شيء طبيعي في ذلك. لا بد أن الطلقات قد أطلقت من مدى قصير جداً.

قال لويس بعصبية: أين مافريك؟ إنه الشخص الذي نحتاجه.

الآنسة بيليفر: سأناديه. هل اتصل بالشرطة أيضاً؟

لويس: الشرطة؟ كلا بالتأكيد.

ميلدريد: علينا بالطبع أن نتصل بالشرطة؛ إنه شاب خطير.

لويس: هراء... إنه فتى مسكين. هل يبدو خطيراً؟

في تلك اللحظة لم يكن إدغار يبدو خطيراً، بل بدا يافعاً مثيراً للشفقة وللإشمئزاز لبعض الشيء. كان صوته قد فقد نبرته التي حرص على اكتسابها. ناح قائلاً: لم أقصد القيام بذلك. لا أدري ماذا أصابني لأقول كل ذلك الهراء... لا بد أنني جنتت.

زفرت ميلدريد ازدياءً.

إدغار: لا بد أنني كنت حقاً مجنوناً. لم أقصد ذلك. رجاءً يا سيد سيروكولد... إنني حقاً لم أقصد ذلك.

ربت لويس سيروكولد على كتفه وقال: لا بأس يا ولدي.

لم تقع أضرار.

إدغار: كان من الممكن أن أقتلك يا سيد سيروكولد.

مشى وولتر هذَّ عبر الغرفة وحدق في الحدار خلف المكتب ثم قال: "لقد وقعت الرصاصات هنا". ثم نزل يبصره إلى المكتب والكرسي الذي خلفه وقال بجفاء: لا بد أنه كان خطأ في الإصابة من مكان قريب.

إدغار: لقد فقدت عقلي... لم أكد أدرك حقيقة ما أفعله.

فلنتت أنه جردني من حقوقي. فلنتت...

طرحت الآنسة ماربل السؤال التي كانت تريد طرحه منذ فترة: من الذي أخبرك بأن السيد سيروكولد هو أبوك؟

للحظة فقط أطلَّ من وجه إدغار الذاهل تعبير ماكر ما لبث أن اختفى بومضة عين. قال: لا أحد... لقد خطرت الفكرة لي فحسب.

كان وولتر هذَّ يحدق في المسدس الملقى على الأرض، ثم سأل: من أين حصلت على هذا المسدس بالله عليك؟

إدغار: "المسدس"؟... وحدق بالمسدس بدوره.

قال وولتر: "يبدو تماماً كمسدسي". ثم انحنى والتقطه وهو يقول: والله إنه هو! لقد أخذته من غرفتي أيها الجرذ القدر.

تدخل سيروكولد بين إدغار المنتكش تذللاً والأمريكي  
الغاضب المرعد.

لويس سيروكولد: كل هذا يمكن أن نتفاهم حوله لاحقاً.  
آه، ها هو مافيريك. هل لك أن تلقي نظرة عليه يا مافيريك؟

اقرب الدكتور مافيريك من إدغار بشيء، ممن أسلوب  
المحترفين وقال: هذا ليس مقبولاً يا إدغار... هذا ليس مقبولاً.

قالت ميلدريد بحدة: إنه مجنون خطير. لقد كان يطلق  
النار ويرغي ويزيد، ولقد كاد يقتل زوج أمي لولا أن أخطأه.

أصدر إدغار صوتاً خافتاً أشبه بالعواء، وقال الدكتور مافيريك  
مؤثباً: انتبهي رجاءً يا سيدة ستريت.

ميلدريد: لقد قرفت من كل هذا. قرفت من كل تصرفاتكم  
هنا! أقول لكم إن هذا الرجل جنون.

تخلص إدغار من الدكتور مافيريك بانحناءة ورمى بنفسه  
على الأرض عند قدمي سيروكولد نائحاً: ساعدني، ساعدني، لا

تدعهم يأخذوني ويسجنوني. لا تدعهم...

وفكرت الآنسة ماربل بأنه مشهد كريمة.

قالت ميلدريد بغضب: لقد قلت لكم إنه...

قاطعتها أمها مهذبة: رجاء يا ميلدريد، ليس الآن. إنه يعاني.

تمتم وولتر معقياً: يعاني الجنون... كلهم هنا مجانين!

الدكتور مافيريك: سأتولاه أنا. تعال معي يا إدغار، تناول  
مهذباً واذهب إلى فراشك وستحدث في الأمر كله غداً. إنك  
تلق بي، أليس كذلك؟

نهض إدغار على قدميه وهو يرتحف قليلاً، ثم نظر بارتياح  
إلى الدكتور الشاب ثم إلى ميلدريد وقال: لقد قالت بأنني مجنون.

الدكتور مافيريك: لا، لا، أنت لست مجنوناً.

تعالت أصوات خطوات الأنسة بيليفر عن عمد عبر الصالة.  
دخلت بشفتين مزمومتين معاً ووجه متورد وقالت بحفاة: لقد  
اتصلت بالشرطة، وسيصلون إلى هنا خلال بضعة دقائق.

صاحت كاري لويز بنبرة غضب: جولي!

أطلق إدغار صوت عويل. وتجهم وجه لويس سيروكولد  
غاضباً وقال: لقد أخبرتك - يا جولي - بأنني لا أريد استدعاء  
الشرطة. هذه مسألة طبية.

الآنسة بيليفر: هذه مسألة فيها نظر، ولي فيها رأي خاص.  
ولكن كان علي أن أستدعي الشرطة؛ فالسيد غولبراندسن مقتول  
بطلق ناري.

\* \* \*

## الفصل الثامن

مرت دقيقة أو دقيقتان قبل أن يستوعب الجميع ما قالته.  
قالت كارى لويز بشك واستهجان: كريستيان أطلقت عليه  
النار؟ وقتل؟ آه! ذلك مستحيل بالتأكيد.

زمت الأنسة بيليفر شفيتها وقالت تحاطب المجموعة كلها  
أكثر من خطابها لكارى لويز: إن كنتم لا تصدقونني فادهبوا  
وانظروا بأمر أعينكم.

كانت غاضبة، وقد تجلى غضبها في الحدة الحازمة في  
صوتها. وبيطء وشك تقدمت كارى لويز خطوة باتجاه الباب،  
فاستوقفتها لويس سيروكولد واضعاً يده على كتفها قائلاً: دعيني  
يا عزيزتي... دعيني أذهب أنا.

وخرج من باب الصالة، وتبعه الدكتور مافيريك وهو يلقي  
نظرة شك على إدغار، ومضت الأنسة بيليفر معهما.

حشت الأنسة ماربل - بلطف - صديقتها كارى لويز على  
الجلوس على كرسي، فجلست وعيناها تشعان الألم وتعكسان  
هول المفاجأة، ورددت ثانية: كريستيان... مقتول؟!!

كان في صديقتها نيرة ضفلة مذعورة جريحة.

بقي وولتر هذ قريباً من إدغار لاوسن يحملق فيه، وفي يده المسدس الذي التقطه عن الأرض. وأخيراً قالت كاري لويز بصوت خائر: ولكن، من عساه يريد أن يطلق النار على كريستيان؟ لم يكن سؤالها من الأسئلة التي تتطلب جواباً.

تمتم وولتر من بين أسنانه: مجانيين! كلهم مجانيين.

كان ستيفن قد اقترب من جينا بشكل يوحى بالحماية. كان وجهها الفتى المذعور أكثر شيء مقعماً بالحيوية في الغرفة.

وفجأة انفتح الباب الأمامي ودخل رجل بمعطف ضخم، ودخلت معه هبة من الهواء البارد. بدا وُدُّ سلامه قطعاً بشكل لا يصدق، قال: طاب مساؤكم جميعاً، ما الذي يجري الليلة؟ الضباب يلف الطريق، وقد اضطرت لتسير ببطء قاتل.

مرت لحظة ذعر ظنت الآنسة ماربل فيها أنها ترى بشكل مزدوج. لم يكن ممكناً - بالتأكيد - أن يكون الرجل نفسه واقفاً قرب جينا وداخلاً من الباب في آن معاً. وبعدها أدركت أن الأمر لم يكن سوى تشابه، بل إنه لم يكن تشابهاً قوياً جداً إن أمعنت النظر فيه. بدا واضحاً أن الاثنين كانا شقيقين يحملان شسهاً عائلياً قوياً ليس أكثر من ذلك، ففي حين كان ستيفن ريستاريك نحيلاً إلى درجة الهزال كان القادم الجديد بادي الصحة، وقد جاء المعطف الضخم بياقته المصنوعة من الفرو ليناسب امتلاء

الجسم على نحو أنيق. كان شاباً وسيماً، تلوح في شخصيته الهيبية وروح الدعابة اللتان تميزان الناجحين.

ولكن الآنسة ماربل لاحظت فيه شيئاً واحداً. فعندما دخل الصالة نظرت عيناه مباشرة إلى جينا. قال بشيء من الريبة: كنتم تتوقعون قدومي دون شك؟ ألم تستلما برقيتي؟

كان يتكلم الآن مع كاري لويز، وقد تقدم منها. وبشكل يكاد يكون آلياً مدت يدها إليه، فتناولها وقبلها برقة. كان ذلك تصرفاً رقيقاً من علامات الولاء ولم يكن مجرد معاملة مسرحية. تمتعت قائلة: بالطبع يا عزيزي أليكس، بالطبع. كل ما الأمر أن... أن أموراً كانت تحدث...

أليكس: تحدث؟

روت ميلديريد النبأ، روته بنوع من التلذذ المقيت الذي اعتبرته الآنسة ماربل كريهاً. قالت: كريستيان غولبراندسن... أخي كريستيان، وجدوه مقتولاً رمية بالرصاص.

أليكس: يا إلهي!

عبرت قسمات أليكس عن رعب هائل، وأضاف قائلاً: هل تقصدين انتحاراً؟

تدخلت كاري لويز بسرعة قائلة: أوه، كلا. لا يمكن أن يكون انتحاراً. ليس كريستيان من ينتحر. أوه! كلا.

قالت جينا: العم كريستيان لم يكن ليطلق النار على نفسه.  
أنا وافقة من ذلك.

نظر أليكس ريستاريك من شخص لآخر، وتلقى من أخيه  
ستيفن إيماءة توكيد من رأسه. باده وولتر هذا التحديق وفي عينيه  
شيء من الغضب. استقرت عينا أليكس على الأنسة ماربل مع  
تجههم مفاجئ؛ بدا وكأنه قد وجد قطعة ديكور غير مطلوبة بين  
ديكورات خشبية المسرح. بدا وكأنه يرغب أن يشرح له أحد  
سبب وجودها، ولكن أحدًا لم يشرح. وبقيت الأنسة ماربل تلك  
العجوز الحلوة المرتبكة ذات الشعر الأبيض الناعم.

أليكس: متى؟ أعني متى حدث ذلك؟

جينا: قبل وصولك تمامًا. قبل حوالي... ثلاث دقائق أو  
أربع كما أظن. لقد سمعنا انطلاقات عملياً، إلا أننا لم نلق لها  
بالأ... لم نهتم حقاً.

أليكس: لم تلقوا لها بالأ؟ لماذا؟

تكلمت جينا بشيء من التردد: حسناً، كانت أشياء أخرى  
تحدث...

قال وولتر مؤكداً: نعم، بالتأكيد.

دخلت بيليفر إلى الصالة قادمة من المكتبة وقالت: يقترح  
السيد سيروكولد أن تنتظر جميعاً في المكتبة، فسيكون ذلك  
مناسباً بالنسبة للشرطة، ما عدا السيدة سيروكولد. لقد أصبت

بصدمة يا كارى، وقد أمرت بوضع بعض زجاجات الماء الحار  
في فراشك. سأحذك إلى غرفة النوم...

وقفت كارى لويز على قدميها وهي تهز رأسها بالرفض  
وقالت: يجب أن أرى كريستيان أولاً.

جولي: أوه، كلا يا عزيزتي. لا تزعجي نفسك...

أزاحتها كارى لويز جانباً بكل لطف وهي تقول: "عزيزتي  
جولي... إنك لا تفهمين". ثم نظرت حولها وقالت: جين؟

كانت الأنسة ماربل قد تقدمت نحوها بالفعل. قالت لها  
كارى لويز: هل لك أن تأتي معي يا جين؟

وتقدمتا معاً باتجاه الباب، وكاد الدكتور مافيريك أن يرتطم  
بهما في دخوله.

هتفت به الأنسة بيليفر: أوقفها يا دكتور مافيريك... إنه  
تصرف أحمق.

نظرت كارى لويز بهدوء إلى الشاب، بل إنها أظهرت  
اشتامة خفيفة.

الدكتور مافيريك: تريدان أن تذهبي... وتريه؟

كارى لويز: ينبغي أن أراه.

تنحى جانباً وقال: فهمت. لك ذلك إن كنت تشعرين أنه  
ضروري يا سيدة سيروكولد، ولكن أرجوك أن تذهبي -بعدها-



وتضطجعي وتَدْعِي الآنسة بيليفر تهتم بك. إنك لا تشعرين الآن  
بالصدمة، ولكن أؤكد لك أنك ستُصدمين.

كارى لويز: نعم، أظنك مصيباً... سأكون رابطة الجأش  
تماماً. هيا يا جين.

خرجت المرأتان من الباب، وعبرتا العتبة أسفل الدرج ثم  
مشتا في الممر الطويل لتعبرا غرفة الطعام عن يمينهما والأبواب  
المزدوجة المفضية إلى جناح المطبخ عن يسارهما، ثم الباب  
الجانبى المفضى إلى المصطبة الأمامية، وصولاً -في النهاية- إلى  
الباب المفضى إلى «جناح خشب البلوط» الذي حُصص لكريستيان  
غولبراندسن. كانت الغرفة مفروشة كغرفة جلوس أكثر منها  
غرفة نوم، مع سرير وُضع في فجوة في أحد الجدران الجانبية،  
وباب يفضى إلى غرفة ملابس وحمام.

وقفت كارى لويز على العتبة. كان كريستيان جالساً إلى  
المكتب الضخم المصنوع من خشب الماهوغانى وأمامه آلة  
طباعة صغيرة مفتوحة. كان يجلس هناك الآن، ولكنه كان مرتحياً  
مترهلاً في كرسيه، وقد منعه ذراعاً الكرسي العاليتان من الانزلاق  
إلى الأرض.

كان لويس سيروكولد واقفاً قرب النافذة. كان قد فتح  
الستارة قليلاً وراح يتأمل العنمة خارج المنزل. نظر حوله وقطّب  
جبينه وقال: يا عزيزتي، كان ينبغي أن لا تأتي.

وتقدم نحوها فمدت له يدها، وتراجعت الآنسة ماريل  
خطوة أو خطوتين. قالت: آه، نعم يا لويس. يجب أن... أراه.  
على المرء أن يعرف تماماً كيف هي الأمور.

ثم مشت ببطء نحو المكتب، فقال لويس محذراً: يجب  
الآ تلمسي أي شيء؛ فالشرطة يطلبون أن تبقى الأشياء كما  
وجدناها تماماً.

كارى لويز: طبعاً. إذن فقد أطلق أحدهم النار عليه عمداً؟  
لويس: أوه، نعم.

بدأ لويس مندهشاً قليلاً حتى لمجرد طرح هذا السؤال،  
وأضاف: حسبتك تعلمين ذلك.

كارى لويز: أعرف في الواقع. لم يكن كريستيان لينتحر،  
وقد كان من الكفاءة بحيث لا يمكن أن يكون الأمر حدثاً تم  
بالخطأ. وهذا لا يترك تفسيراً آخر غير...

ثم ترددت قليلاً قبل أن تكمل: القتل.

مشت إلى المكتب، ووقفت هناك تنظر إلى الرجل الميت.  
كان في وجهه حزن ومحبة. قالت: "عزيزي كريستيان... كان  
طيباً معي على الدوام". ثم لمست برقة بأصابعها أعلى رأسه  
وقالت: ليباركك الله، وشكراً لك يا كريستيان العزيز.

قال لويس سيروكولد بشيء هو أقرب إلى العاطفة من كل

ما سبق للآنسة ماربل أن رآته منه: يشهد الله أنني أتمنى لو  
استطعت أن أحجب عنك هذا الألم يا كارولين.

هزت زوجته رأسها بأسف وقالت: أنت لا تستطيع -حقاً-  
أن تحجب عن أحد مثل هذا الأمر؛ فلا بد أن تتم مواجهة الأمور  
عاجلاً أو آجلاً، ولذلك فمن الأفضل أن تكون عاجلة. سأذهب  
وأضطجع الآن. أحسبك ستبقى هنا يا لويس حتى يأتي الشرطة،  
أليس كذلك؟

لويس: نعم.

دارت كارول لويز عائدة وقد لفت الآنسة ماربل ذراعها  
حولها.

\* \* \*

## الفصل التاسع

عندما وصل المفتش كيري وطاقمه وجد الآنسة بيليفر في  
الصالا الكبرى. تقدمت من المفتش بكفاءة وقالت: أنا جوليت  
بيليفر، رفيقة وسكرتيرة السيدة سيروكولد.

المفتش كيري: أأنت التي وجدت الحثة وأخبرتنا؟

- نعم. أغلب ساكني البيت موجودون في المكتبة... من  
ذلك الباب هناك. وقد بقي السيد سيروكولد في غرفة السيد  
غولبراندسن للتأكد من عدم العبث بشيء. والدكتور ماغفريك  
(الذي فحص الحثة في البداية) سيكون هنا بعد قليل. لقد اضطر  
إلى اصطحاب... شخص مريض إلى الجناح الآخر من البيت.  
هل أدلكم على الطريق؟

- إذا سمحت.

وفكر المفتش مع نفسه قائلاً: "امرأة ذات كفاءة. تبدو  
وكأنها قد سجلت الأمر كله". ثم تبعها عبر الممر.

وطوال الدقائق العشرين التالية أخذت إجراءات الشرطة

هزت الآنسة بيليفر رأسها موافقة وقالت: "كنت على وشك إن أقترح ذلك". ثم قادت المفتش عبر الصالة الكبرى ومضى خلفهما مرافقه الرقيب.

رقت الآنسة بيليفر الأمور لهما ولنفسها بشكل مناسب، حتى ليخيل للمرء أنها هي، وليس المفتش كيري، المسؤولة عن التحقيق.

وعلى أية حال، فقد حان الوقت لتنتقل المبادرة إلى المفتش. كان للمفتش كيري صوت عذب وأسلوب لطيف. بدا هادئاً وجاداً وفي أسلوبه لفنة اعتذار خفيفة. وقد ارتكب بعض الناس خطأ التقليل من إمكاناته، ولكنه كان -فعلياً- ذا كفاءة في اختصاصه بقدر كفاءة الآنسة بيليفر في اختصاصها، ولكنه كان يفضل عدم استعراض هذه الحقيقة.

تنتح ليجلو حنجرته وقال: لقد حصلت على الحقائق الأولية من السيد سيروكولد. لقد كان كريستيان غولبراندسن الابن الأكبر للسيد الراحل إيريك غولبراندسن، مؤسس "صندوق وزمالات غولبراندسن" وغيره من المؤسسات الخيرية. كان أحد الأوصياء على هذا المكان، وقد وصل هنا أمس بشكل مفاجئ. هل هذا صحيح؟

الآنسة بيليفر: نعم.

شعر المفتش كيري بالسرور لإيجاز إجابتها، فمضى قائلاً: كان السيد سيروكولد مسافراً إلى ليفربول، وعاد هذا المساء

الروتينية مجراها. أخذ المصور الصور اللازمة، ووصل طبيب الشرطة وانضم إليه الدكتور مافيريك. وبعد نصف ساعة أخذت سيارة إسعاف جثة كريستيان غولبراندسن وشرع المفتش كيري في استجوابه الرسمي.

أخذه لويس سيروكولد إلى المكتبة، فاستعرض بنظره الحادة الناس المجتمعين محتفظاً في عقله بملاحظات مقتضية عنهم. عجز ذات شعر أبيض، سيدة في أواسط عمرها، الفتاة الجميلة التي رآها تقود سيارتها في الريف المجاور، زوجها الأمريكي متجههم الهيئة، شابان كانت لهما علاقة بمجموعة ما في هذا المكان أو ذاك، ثم تلك المرأة المقتردة، الآنسة بيليفر، التي اتصلت به واستقبلته لدى وصوله.

كان المفتش كيري قد أعد سلفاً خطبة قصيرة، وها هو يلقيها الآن كما هو مخطط: أظن أن هذا الأمر مزعج جداً لكم، وأمل ألا أؤحركم كثيراً هذه الليلة؛ فنستطيع مراجعة الأمر بطريقة أعمق غداً. لقد كانت الآنسة بيليفر هي التي عثرت على السيد غولبراندسن ميتاً، وسأطلب منها أن تعطيني ملخصاً للحالة العامة؛ فذلك سيوفر كثيراً من الشكرار. سيد سيروكولد... إن كنت تريد الصعود إلى زوجتك فأرجوك أن تفعل، وحين أنتهي من الحديث إلى الآنسة بيليفر فإنني أرغب بالحديث معك. أهذا واضح تماماً؟ هل توجد غرفة صغيرة يمكنني فيها...

لويس سيروكولد: مكتبي يا جولي؟

- نعم.

- بعد العشاء هذه الليلة أعلن السيد غولبراندسن عن رغبته بالعمل في غرفته الخاصة، وغادر بقية المجموعة هنا بعد أن تم تقديم القهوة. هل هذا صحيح؟

- نعم.

- والآن يا آنسة بيليفر، أرجو أن تحبريني - بكلماتك أنت - كيف حدث أن عثرت عليه ميتاً.

- لقد جرى حادث كرهه بعض الشيء هذه الليلة، حيث غدا أحد الشباب (ممن يشكون من اضطراب عقلي) مختلاً تماماً، وهدد السيد سيروكولد بمسدس. كان الباب قد أُقفل عليهما في هذه الغرفة. وقد أطلق الشاب النار من المسدس في النهاية، وتسطيع أن ترى الثقوب التي خلفتها الرصاصات على الجدار هنا، ولم يُصَب السيد سيروكولد لحسن الحظ، وبعد إطلاق الرصاصات انهار ذلك الشاب تماماً. وقد أرسلني السيد سيروكولد للبحث عن الدكتور مافيريك، واتصلت به من هاتف المنزل، ولكنه لم يكن في غرفته. بعد ذلك وجدته مع أحد زملائه ونقلت له طلب السيد سيروكولد فجاء على الفور. وفي طريق عودتي ذهبت إلى غرفة السيد غولبراندسن لأسأله إن كان يريد أي شيء (حليياً حاراً، مثلاً، أو أي شيء آخر) قبل أن آوي إلى فراشي. قرعت الباب، فلم ألتقُ جواباً، ففتحت. ورأيت أن

- ما هي مداخل ومخارج البيت، وكيف يتم إغلاقها؟ وهل كان بوسع أحد أن يدخل من الخارج دون أن يُسمع أو يُرى؟

- كان بوسع أي كان أن يدخل من الباب الجانبي للمصطبة الأمامية، وهذا الباب لا يُقفل حتى نذهب جميعاً للنوم؛ فالناس يدخلون ويخرجون من هذا الطريق في محبتهم وذهابهم إلى مباني الكلية.

- ولديكم هنا - كما أعتقد - ما بين ميتين وميتين وخمسين من الأحداث الجانحين في الكلية؟

- نعم، ولكن مباني الكلية مؤمنة بشكل جيد، وأحسب أن من المستبعد تماماً أن يغادر أحد الكلية دون رقيب.

- سننظر إلى تقصي ذلك بالطبع. حسناً، هل بدر من السيد غولبراندسن ما يثير أية ضغينة؟ أية قرارات - مثلاً - تخص سياسة المعهد أو الكلية ولم تلاقِ قبولاً أو صدى إيجابياً؟

هزت الآنسة بيليفر رأسها بالنفي وقالت: أوه، لا. ليس للسيد غولبراندسن أية علاقة من أي نوع بإدارة الكلية أو بالقضايا الإدارية.

المفتش كيري: ماذا كان الهدف من زيارته؟

- لا أدري.

- ولكنه انزعج حين وجد السيد سيروكولد غائبا، وقرر فوراً البقاء حتى عودته، أليس كذلك؟

- نعم.

- إذن فإن عمله هنا كان مع السيد سيروكولد بالتأكيد؟

- نعم، ولكن ذلك طبيعي؛ لأن من المؤكد -تقريباً- أنه عمل يتعلق بالمعهد.

- نعم، يُفترض أن ذلك هو الموضوع. هل تداول على انفراد مع السيد سيروكولد؟

- لا، لم يتوفر وقت لتداولهما؛ فقد وصل السيد سيروكولد قبل العشاء تماماً هذه الليلة.

- ولكن السيد غولبراندسن قال -بعد العشاء- إن لديه رسائل مهمة يجب كتابتها، وذهب ليقوم بذلك، ولم يقترح عقد جلسة مع السيد سيروكولد، أليس كذلك؟

- ترددت الآنسة بيليفر قليلاً ثم قالت: نعم، نعم. لم يطلب ذلك.

- المفتش كيري: من المؤكد أن ذلك كان غريباً بعض الشيء، كونه اضطر إلى انتظار السيد سيروكولد رغم ما في ذلك من تعطيل لأعماله، أليس كذلك؟

- نعم، كان ذلك غريباً.

ولكن غرابة ذلك بدت وكأنها تخطر للآنسة بيليفر لأول مرة.

- المفتش كيري: ألم يرافقه السيد سيروكولد إلى غرفته؟

- الآنسة بيليفر: لا، فقد بقي السيد سيروكولد في الصالة.

- ألدريك فكرة عن الوقت الذي قُتل فيه السيد غولبراندسن؟

- من الممكن -كما أعتقد- أن نكون قد سمعنا الطلقة.

إن كان الأمر كذلك، يكون الوقت هو التاسعة وثلاث وعشرون دقيقة.

- سمعتم طلقة؟ ولم يبهكم ذلك لأي خطر؟

قالت الآنسة بيليفر: "كانت الظروف والملايسات فريدة من نوعها". ثم شرحت -بتفاصيل أوفى- المشهد الذي جرى بين لويس سيروكولد وإدغار لاوسن.

- المفتش كيري: إذن فلم يخطر ببال أحد بأن الطلقة ربما أتت فعلياً من داخل المنزل، أليس كذلك؟

ردت الآنسة بيليفر: "لا، لا أعتقد أن ذلك خطر ببال أحد بالتأكيد، حتى أننا شعرنا جميعاً بالارتياح لأن الطلقة لم تأت من هنا". ثم أضافت بشيء من التحهم: لا يمكنك أن تتوقع جريمة قتل ومحاوله قتل في نفس المنزل وفي نفس الليلة.

عرفت بأنها كانت جريمة قتل.

- حسناً. وعندما أخذتنا إلى الغرفة، قبل قليل فقط، هل كان كل شيء فيها كما وجدته تماماً عندما اكتشفت الجثة؟

فكرت الآنسة بيليفر. استندت إلى النحلف في جلستها وضافت فتحة عينيها، وفكر المفتش كيري بأن لها ذاكرة فوتوغرافية.

الآنسة بيليفر: شيء واحد كان مختلفاً؛ فلم يكن يوجد شيء على الآلة الطابعة.

المفتش كيري: هل تعين بأنك لستى دحولك - لأول مرة - رأيت السيد غولبراندسن في وضع من يكتب رسالة على الآلة الطابعة، وأن تلك الرسالة قد أخذت بعد ذلك؟

- نعم. أكاد أكون متأكدة بأنني رأيت الحافة البيضاء لورقة تظّل من بين أسطوانات الآلة.

المفتش كيري: شكراً يا آنسة بيليفر. من غيرك دخل إلى تلك الغرفة قبل وصولنا؟

- السيد سيروكولد، وقد بقي هناك عندما أتيت لاستقبالكم. كما أن السيدة سيروكولد والآنسة ماريل دخلتا إلى الغرفة أيضاً؛ فقد أصرت السيدة سيروكولد على الدخول.

المفتش كيري: السيدة سيروكولد والآنسة ماريل... أي

اعترف المفتش كيري بصحة ذلك، فقالت الآنسة بيليفر فحاة: ربما كان ذلك هو السبب الذي جعلني أذهب إلى غرفة السيد غولبراندسن في وقت لاحق. لقد أردت - بالفعل - أن أسأله إن كان يرغب بشيء، ولكن ذلك كان نوعاً من الحجة التي أردت أن أؤكد بها لنفسى بأن كل شيء كان على ما يرام.

حدق بها المفتش كيري لحظة ثم قال: وما الذي جعلك تعتقدين بأن شيئاً ما قد لا يكون على ما يرام؟

الآنسة بيليفر: لا أدري. أظن أن السبب كان تلك الطلقة في الخارج. لم تكن تلك الطلقة تعني شيئاً في وقتها، ولكن الفكرة راودتني مرة أخرى فيما بعد، وقلت لنفسى إن تلك الطلقة لم تكن سوى عطسة من محرك سيارة أنسيد ريستاريك...

المفتش كيري: سيارة السيد ريستاريك؟!

الآنسة بيليفر: نعم. أليكس ريستاريك. وصل هذه الليلة قادماً بالسيارة... وصل - تماماً - عقب حدوث ذلك كله.

- آه! فهمت. وعندما اكتشفت جثة السيد غولبراندسن.. هل لمست أي شيء في الغرفة؟

- طبعاً لا.

بدت في نبرتها مسحة تأنيب وأضافت: إنني أعرف - طبعاً - بأنه لا ينبغي لمس شيء أو تحريكه. لقد أطلقت النار على رأس السيد غولبراندسن، ولكن لم يكن حوله أي سلاح ناري، ولذلك

واحدة هي الأنسة ماربل؟

- السيدة العجوز ذات الشعر الأبيض. كانت صديقة دراسة للسيدة سيروكولد، وقد جاءت في زيارة منذ حوالي أربعة أيام.

- حسناً، شكراً يا آنسة بيليفر. كل ما قلته لنا واضح تماماً. سأتناول في الأمور مع السيد سيروكولد الآن. آه... ولكن ربما... ربما كانت الأنسة ماربل سيدة عجوزاً، أليس كذلك؟ سأبادل معها أولاً بضع كلمات فقط، بحيث تستطيع بعدها أن تأتي إلى فراشها. من القسوة أن تبقى عجوز كهذه ساهرة هكذا. لا بد أن ذلك قد شكل لها صدمة.

الآنسة بيليفر: هل أخبرها بذلك؟

المفتش كيري: إذا سمحت.

عرجت الآنسة بيليفر، ونظر المفتش كيري إلى السقف وقال: غولبراندسن؟ لماذا غولبراندسن؟ مئتان من الأحداث غربي الأقطار غير متكيفين مع المجتمع يعيشون في هذا المبنى، ولا سبب يمنع أيًا منهم من ارتكاب هذه الجريمة. وربما فعلها أحدهم، ولكن لماذا غولبراندسن؟ وهو الغريب ضمن هذا البيت.

الرقيب ليك: نحن -طبعاً- لم نعرف كل شيء بعد.

المفتش كيري: لم نعرف شيئاً حتى الآن.

ثم نهض بود وأريحية عندما دخلت الأنسة ماربل. وقد بدت مرتبكة بعض الشيء، فسارع إلى إشعارها بالارتياح. قال: لا تزعجي نفسك يا سيدتي.

وفكر المفتش كيري بأن العجائز من أمثال هذه السيدة يعتبرن أن ضباط الشرطة ينتمون إلى طبقة أدنى وأن عليهم أن يظهرُوا احتراماً لمن هم فوقهم. وتابع قائلاً: أعلم أن الأمر مؤلم جداً، ولكننا مطالبون بالحصول على الحقائق كاملة لفهم الأمر بوضوح.

الآنسة ماربل: آه.. نعم، أعرف ذلك. إنه أمر بالغ الصعوبة، أليس كذلك؟ أعني أخذ صورة واضحة عن كل شيء؛ لأنك إن كنت تنظر إلى أمر ما، فليس يوسعك أن تنظر إلى أمر آخر. وغالباً ما ينتظر المرء إلى الأمر الخطأ، مع أن من الصعب جداً أن يحدد المرء إن كان ذلك ناتجاً عن المصادفة وحدها أم لأنه يراد له أن يضل في بحثه، وهذا ما يطلق عليه السحرة اسم فقدان الاتجاه. إنهم أذكاء جداً، أليس كذلك؟ لم أتمكن أبداً من معرفة الطريقة التي يمارسون بها سحرهم باستخدام قوارة السمك الزجاجية، فهي شيء لا يمكن طيّه وتصغيره، أليس كذلك؟

رقت عيننا المفتش كيري قليلاً وقال بهدوء: هذا صحيح. والآن يا سيدتي، لقد استمعت إلى شرح عن أحداث هذه الليلة من الآنسة بيليفر، وأنا واثق أنه كان وقتاً عصيباً لكم جميعاً.

الآنسة ماربل: نعم، بالفعل. كان الأمر كله مثيراً متسارعاً.

المفتش كيري: "كانت -في البداية- تلك المشكلة بين السيد سيروكولد...، ثم نظر إلى ملاحظة دونها أمامه وتابع: وذلك المدعو إدغار لاوسن.

- شاب غريب جداً. لقد شعرت بأن في شخصيته خطأ منذ البداية.

- أنا واثق أنك لاحظت ذلك. وبعد ذلك... بعدما انتهت موجة الانفعال، جاءت قضية موت السيد غوليراندسن. لقد فهمت أنك ذهبت مع السيدة سيروكولد لرؤية الحثة.

- نعم، صحيح. طلبت مني أن أذهب معها. إننا صديقتان منذ زمن بعيد.

- بالتأكيد... وهكذا ذهبت إلى غرفة السيد غوليراندسن. هل ليس أي منكما أي شيء، وأنتم في الغرفة؟

- أوه! لا. لقد حذرنا السيد سيروكولد من ذلك.

- هل حدثت ولاحظت -يا سيدتي- إن كان في الآلة الطابعة رسالة أو ورقة مثلاً.

- لا، لم يكن فيها شيء. وقد لاحظت ذلك على الفور لأن ذلك بدا لي غريباً؛ فقد كان السيد غوليراندسن يجلس هناك أمام الطابعة، فلا بد أنه كان يطبع شيئاً ما. نعم، لقد رأيت في ذلك أمراً غريباً جداً.

نظر إليها المفتش كيري بحدة وسأل: هل تبادلت كثيراً من الحديث مع القاتل عندما أتى إلى هنا؟

الآنسة ماربل: لا، لم تتبادل إلا القليل جداً من الحديث.

- ألا يوجد شيء خاص أو مهم تتذكرينه؟

فكرت الآنسة ماربل قليلاً ثم قالت: سألتني عن صحة السيدة سيروكولد... وخاصة عن قلبها.

- قلبها؟ هل في قلبها مشكلة؟

- لا توجد أية مشكلة كما فهمت.

صمت المفتش كيري لدقيقة أو دقيقتين ثم قال: هل سمعت طلقة نارينة هذه الليلة أثناء المشاجرة بين السيد سيروكولد وإدغار لاوسن؟

- أنا لم أسمعها شخصياً بالفعل؛ فإنا أكاد أكون صمًا إلى حد ما. ولكن السيدة سيروكولد أشارت إليها باعتبارها جاءت من الخارج، من الحديقة.

- لقد غادر السيد غوليراندسن المجموعة بعد العشاء مباشرة كما فهمت، أليس كذلك؟

- نعم، قال إن لديه رسائل يكتبها.

- ألم يُبدِ أية رغبة في التشاور مع السيد سيروكولد بشأن العمل؟



المفتش كيري: وما هي تلك التنتف؟

صمتت الآنسة ماربل لحظة ثم قالت: لا أعرف الموضوع  
الفعلية لحدِيثهما، ولكن كان هَمَمهما المباشر إخفاء الموضوع  
- كالتأ ما كان ذلك الموضوع - عن السيدة سيروكولد "ليوفرأ  
عليها العناء" .. ذلك هو التعبير الذي استخدمه السيد غولبراندسن.  
وقد قال السيد سيروكولد: "اتفق معك بأنها هي التي ينبغي أن  
ينصبَّ عليها الاهتمام". كما أشارا إلى "مسؤولية كيري" وأنها  
ربما احتاجا "البحث عن مشورة خارجية".

ثم توقفت قليلاً وقالت: ظننتك تعلم ذلك... من الأفضل  
أن تسأل السيد سيروكولد نفسه عن الأمر كله.

المفتش كيري: سنسأله يا سيدتي. والآن، ألم يسترع  
انتباهك أيُّ شيء آخر هذه الليلة كشيء غير عادي؟

فكرت الآنسة ماربل ثم قالت: كانت الأمسية كلها غير  
عادية، إن كنت تفهم ما أعنيه...

- صحيح، صحيح.

قفز شيء ما إلى ذاكرة الآنسة ماربل وقالت: "وقع حدث  
غير عادي بعض الشيء؛ فقد منع السيد سيروكولد زوجته من  
تناول دوائها، وقد انزعجت الآنسة بيليفر تماماً من ذلك". ثم  
ابتسمت بأسلوب مَن يُنقص من قيمة شهادته وقالت: ولكن  
ذلك أمر بسيط جداً بالطبع...

قالت الآنسة ماربل: "لا". ثم أضافت: كانا قد تبادلنا حديثاً  
قصيراً في وقت سابق.

المفتش كيري: حقاً؟ متى؟ ما فهمته هو أن السيد سيروكولد  
لم يعد إلى البيت إلا قبل العشاء مباشرة.

- هذا صحيح تماماً، ولكنه أتى ماشياً عبر الحديقة، وخرج  
السيد غولبراندسن لاستقباله، وتمشيا معاً حية وذهاباً على  
المصطبة الأمامية.

المفتش كيري: مَن غيرك يعرف ذلك؟

الآنسة ماربل: لا أعتقد أن أحداً غيري يعرف بذلك، إلا  
إن كان السيد سيروكولد قد أخبر زوجته بذلك طبعاً. صدف  
أن كنت أنظر من نافذة غرفتي إلى بعض الطيور...

- الطيور؟

قالت الآنسة ماربل: "نعم، الطيور"، ثم أضافت بعد لحظة  
صمت: ظننت أنها ربما كانت حساسين.

لم يكن المفتش كيري من المهتمين بالحساسين، فقال  
بلطف: ألم يصدف.. أن.. تناهى إلى سمعك أي شيء مما  
كانا يقولا له؟

التفت عينها البريثان شديداً بالزرقة بعينيها، وقالت بهدوء:  
مجرد تنفٍ فقط.

المفتش كيري: نعم، طبعاً. حسناً، شكراً لك يا آنسة ماريل.  
وعندما خرجت الآنسة ماريل من الغرفة قال الرقيب ليك:  
إنها عجوز، ولكنها حاذقة...

## الفصل العاشر

\* \* \*

دخل لويس سيروكولد إلى المكتب، وانتقل على الفور مركز  
الاهتمام كله في الغرفة. التفت ليغلق باب الغرفة خلفه موجدأ  
بذلك جواً من الخصوصية، ثم مشى وجلس. لم يجلس على  
الكرسي الذي أخلته الآنسة ماريل لنوها، بل في كرسية هو خلف  
المكتب. كانت الآنسة بيليفر قد أجلست المفتش على كرسي  
تم سحبه إلى جانب المكتب، وكأنها احتفظت - لاشعورياً -  
للسيد سيروكولد بكرسيه في حال حضوره.

بعد جلوسه نظر السيد سيروكولد إلى رجلي الشرطه  
متأملأ. بدا وجهه مجهداً تعبأ متألماً، وكان وجه رجل يمر في  
محنة قاسية. وقد أدهش ذلك المفتش كيري بعض الشيء لأن  
غولبراندسن - على الرغم من أن موته كان بدون شك صدمة  
للسيد سيروكولد - لم يكن صديقاً حميماً لسيروكولد أو قريباً  
له، ولم تكن تربطه به إلا قرابة بعيدة عن طريق الزواج.

بدا أن المواقع قد انقلبت بطريقة غريبة، فلم يبد أن لويس  
سيروكولد قد جاء إلى الغرفة ليحجب عن أسئلة الشرطه، بل بدا

- آه، لا. لم يكن لزيارته علاقة بمعهد غولبراندسن.

- الأنسة بيليفر تعتقد أن ذلك كان هو السبب في حضوره.

- أمر طبيعى؛ فذلك هو الافتراض الذي كان من شأنه أن يسود. ولم يفعل غولبراندسن أي شيء لتصحیح هذا الانطباع، كما لم أفعل أنا.

- لماذا يا سيد سيروكولد؟

أجاب لويس سيروكولد ببطء: لأنه بدا لكتلينا أنه من المهم أن لا تثار أية ملاحظة بخصوص السبب الحقيقي لزيارته.

- وماذا كان السبب الحقيقي للزيارة؟

بقي لويس سيروكولد صامتاً قليلاً، ثم قال: يأتي غولبراندسن هنا بشكل منتظم مرتين كل عام لاجتماع مجلس الأوصياء. والاجتماع الأخير للمجلس كان قبل شهر فقط، ولذلك لم يكن متظراً منه أن يأتي إلا بعد خمسة أشهر. وهكذا فكرت بأن الجميع يمكن أن يدركوا بأن العمل الذي جعله يأتي إلى هنا لا بد أن يكون طارئاً بالتأكيد، ولكنني فكرت - مع ذلك - بأن الافتراض الطبيعى سيكون أن الزيارة كانت زيارة عمل بالفعل، وأن القضية - بغض النظر عن أهميتها وأولويتها - ستكون متعلقة بمسألة الوصاية على المعهد. ويقدر ما أعرف فإن غولبراندسن لم يفعل شيئاً لإبطال هذا الانطباع، أو أنه ظن أنه لم يفعل. نعم، ربما كان هذا أقرب إلى الحقيقة... ظن أنه لم يفعل.

الأمر وكأنه قد وصل ليرأس جلسة استحواب هو سيدها. وقد أثار ذلك المفتش كبيرى بعض الشيء، فقال بسرعة: والآن يا سيد سيروكولد...

بدا أن لويس سيروكولد ما زال غارقاً في أفكاره، ثم قال متنهداً: كم هو صعب أن يعرف المرء التصرف الصحيح الذي ينبغي عليه أن يفعله.

قال المفتش كبيرى: أظن أننا نحن من يحكم على ذلك يا سيد سيروكولد. والآن، بالنسبة للسيد غولبراندسن... لقد وصل إلى هذا المكان بشكل مفاجئ كما فهمت، أليس كذلك؟

السيد سيروكولد: مفاجئ تماماً.

- لم تكن تعرف أنه قادم؟

- لم تكن لديّ أدنى فكرة عن قدومه.

- وليست لديك فكرة عن سبب قدومه؟

قال لويس بهدوء: آه، نعم. أعرف لماذا جاء؛ فقد أخبرني:

- متى أخبرك؟

- مشيت إلى هنا من المحطة. وكان هو يراقب من المنزل، وقد نزل لاستقبالي. ووقتها شرح لي الأمر الذي أحضره إلى هنا.

- وأحسب أن ذلك كان عملاً يتعلق بمعهد غولبراندسن؛

أليس كذلك؟

المفتش: أخشى يا سيد سيروكولد أنني لم أفهمك تماماً.

لم يحب لويس سيروكولد على الفور، بل صمت لحظة وقال بتجهيم: أدرك تماماً أنه بعد موت غولبراندسن (والذي كان قتلاً دون شك) فإنني مضطر لوضع كل الحقائق أمامك. ولكنني -بصراحة- قلق بشأن سعادة زوجتي وراحة بالها. وأنا ليس من شأنني أن أملي عليك أيها المفتش ما ينبغي فعله، ولكن إن استطعت أن تتدبر طريقة تبعد من خلالها أموراً معينة عنها قدر الإمكان فإنني سأكون ممتناً لك. أيها المفتش كيري، لقد جاء كريستيان غولبراندسن إلى هنا على جناح السرعة ليخبرني بأنه يعتقد أن زوجتي يتم تسعيمها بشكل بطيء، وبكل برود أعصاب.

قال المفتش كيري وهو ينحني إلى الأمام بارتباب: ماذا!؟

سيروكولد: نعم. كان ذلك -كما يمكنك أن تتخيل- صدمة هائلة لي. لم يكن لدي -شخصياً- أي شك بأمر كهذا، ولكن حالما أخبرني كريستيان، أدركت أن بعض الأعراض المعينة التي شككت منها زوجتي مؤخراً كانت تتسجم تماماً مع ذلك الاعتقاد. لقد كان ما اعتبرته رومانيزماً وتشنجاً في الساقين وألماً ودواراً بين حين وآخر، كان ذلك كله يتناسب تماماً مع أعراض التسمم بالزرنيخ.

المفتش: لقد أخبرتنا الآنسة ماربل بأن السيد غولبراندسن سألها عن حال قلب السيدة سيروكولد.

سيروكولد: صحيح؟ إنه لأمر مثير. أظن أنه اعتقد بأن السم الموجه إلى القلب قد يتم استخدامه، باعتبار أن ذلك قد يمهّد الطريق لموت مفاجئ دون إثارة شكوك لا داعي لها. ولكنني أحسب أن الزرنيخ احتمال أكثر رجحاناً.

- إذن تعتقد جازماً بأن شكوك كريستيان غولبراندسن كانت تستند إلى أسس متينة؟

- آه نعم، أعتقد ذلك. وأحد الأسباب التي تدفعني إلى التصديق هو أن غولبراندسن ما كان سيأتي إليّ بمثل هذا الرأي ما لم يكن متأكدًا تماماً من حقائقه. لقد كان رجلاً حذراً وواقعياً يصعب إقناعه، ولكنه ذكي جداً.

- ماذا كان دليله؟

- لم يكن لدينا وقت لاستعراض ذلك. كانت مقابلتنا عاجلة، ولم تكّد تخدم إلّا في شرح أسباب زيارته وفي الاتفاق المشترك على أن أي شيء -مهما كان- ينبغي ألا يقال لزوجتي بخصوص القضية حتى نتأكد من الحقائق.

- وبمن كان يشكُّ في أنه ينس السم؟

- لم يقل ذلك، وعملياً لا أعتقد أنه كان يعرف. ربما كان قد شك بأحد. أعتقد الآن بأنه ربما كان يشك، وإلّا فلماذا قُتل؟

- ولكنه لم يذكر لك أي اسم، أليس كذلك؟

الغرفة، وكنت أخشى أن تقرأ شيئاً مما كتب فيها. أعترف بأنني  
كُتبت على خطأ، ولكنني كنت سأعيد نفس تصرفي مرة أخرى لو  
عادت عقارب الساعة إلى الوراء. إنني مستعد لفعل أي شيء...  
أي شيء؛ لأجنب زوجتي النعاسة.

لم يقل المفتش كيري شيئاً في هذه الأثناء، بل راح يقرأ  
الورقة المطبوعة:

عزيزي الدكتور غالبرايث،

أتوصل إليك - إن كان ذلك ممكناً بأي سبيل - أن تأتي  
إلى ستوني غيتس حال استلامك هذه الرسالة؛ فقد برزت  
أزمة ذات خطورة هائلة، وأنا حائر في كيفية التعامل  
معها. إنني أعرف مدى عمق محبتك لعزیزتنا كارلي  
لويوز، وإلى أي مدى سيكون قلقك عميقاً تجاه أي  
شيء قد يؤثر عليها. إلى أي مدى ينبغي أن تكون  
كارلي لويوز على اطلاع؟ إلى أي مدى ينبغي أن نخفي  
عنها؟ تلك هي الأسئلة التي أجد صعوبة في الإجابة  
عليها.

ولكني لا أداور كثيراً في الموضوع، فإني أقول إن لدي  
سبباً يدعوني للاعتقاد بأن تلك السيدة الرائعة الوريثة يتم  
تسميمها ببطء. وقد شككت بذلك لأول مرة عندما...

وهنا قُطعت الرسالة بشكل مبستر.

المفتش كيري: وهل أُطِقت النار على غولبراندسن عندما  
وصل إلى هذه النقطة؟

- لم يذكر أي اسم. وقد اتفقنا على أن نحقق في الأمر  
بعمق، واقترح هو أن نستعين بنصيحة وعون الدكتور غالبرايث.  
والدكتور غالبرايث صديق قديم جداً لعائلة غولبراندسن، وهو أحد  
الأوصياء على المعهد. وهو رجل ذو حكمة وتجربة عظيمتين،  
وكان من شأنه أن يكون ذا عون وراحة أكيدتين لزوجتي إن كان  
ضرورياً أن نخبرها بشكوكنا. وقد أردنا أن نعلم على مشورته  
فيما إذا كان علينا أن نتشاور مع الشرطة أم لا.

المفتش: غريب جداً.

لويوس: تركنا غولبراندسن بعد العشاء ليكتب رسالة للدكتور  
غالبرايث، وقد كان - فعلياً - منحرفاً في كتابة رسالة له عندما  
قُتل.

- كيف عرفت؟

أجاب لويوس بهدوء: "لأنني أخرجت الرسالة من الآلة  
الطابعة، وهي معي هنا". ثم أخرج من جيب عند صدره ورقة  
مطوية مطبوعة وسلمها للمفتش كيري.

قال المفتش بجدية: ما كان ينبغي عليك أن تأخذها أو أن  
تلمس شيئاً في الغرفة.

سيروكولد: لم ألمس شيئاً آخر. أعرف أنني ارتكبت ذنباً  
لا يعترف في نظرك بأخذني لهذه الرسالة، ولكن لدي سبباً قوياً  
لذلك. لقد كنت متأكداً بأن زوجتي ستصر على الحضور إلى

سيروكولد: نعم.

- ولكن لماذا كانت هذه الرسالة في الآلة الطابعة؟

- لا أستطيع أن أفكر إلا بسبب اثنين؛ الأول هو أن القائل لم تكن لديه فكرة عن الشخص الذي يكتب غولبراندسن الرسالة له أو عن مضمون الرسالة، والثاني هو أنه ربما لم يكن لديه الوقت. ربما كان قد سمع شخصاً قداماً ولم يكن أمامه من الوقت إلا ما يسمح بنجاحه دون أن يراه أحد.

المفتش: ألم يعطك غولبراندسن أية إشارة إلى الشخص الذي يشك فيه... إن كان يشك بأحد؟

ربما ظهر توقف بسيط جداً قبل أن يجيب لويس: "أيداً".  
ثم أضاف بشيء من الغموض: كان كريستيان رجلاً منصفاً جداً.

المفتش: كيف باعتقادك تم أو يتم دس هذا السم، سواء كان زرنیخاً أو أي سم آخر؟

- لقد فكرت مطولاً بذلك عندما كنت أبذل ملباسي استعداداً للعشاء، وبدا لي بأن الوسيلة الأكثر احتمالاً كانت دواء ما... دواء منشطاً كانت زوجتي تتناوله. أما بخصوص الطعام فكلنا نشترك في نفس الوجبات وليس لزوجتي أي طعام خاص يعد خصيصاً لها، ولكن يوسع أي امرئ أن يضيف الزرنیخ إلى زجاجة الدواء.

المفتش: ينبغي أن نأخذ الدواء ونحلله.

قال لويس بهدوء: "لقد احتفظت فعلاً بعينة منه. أخذتها هذا المساء قبل العشاء". ثم أخرج من درج مكتبه زجاجة صغيرة مسدودة بقلينة وبها سائل أحمر.

قال المفتش كبيرٍ وهو يوجه نظرة فضولية: إنك تفكر بكل شيء يا سيد سيروكولد.

- إنني أؤمن بالعمل الفوري الحازم. الليلة منعت زوجتي من تناول جرعتها المعتادة، وهي لما تزل في كأس على المائدة في الصالة، وزجاجة المنشط نفسها موجودة في غرفة الطعام.

انحنى المفتش كبيرٍ إلى الأمام فوق المكتب، وخفض صوته وتكلم بلهجة توحى بالسرية: عليك أن تعذرني يا سيد سيروكولد، ولكن لماذا أنت حريص إلى هذه الدرجة على إخفاء هذا الأمر عن زوجتك؟ هل أنت خائف من أن تصاب بالذعر؟ من المؤكد أنه من الأفضل لها (من أجل سلامتها) أن يتم تحذيرها.

- نعم، نعم... ربما كان الأمر كذلك فعلاً. ولكنني لا أعتقد أنك فهمت الوضع تماماً، وسيكون من الصعوبة فهمه دون معرفة زوجتي كارولين. إن زوجتي -أيها المفتش كبيرٍ- مثالية، شخصية تنق كلياً بمن حولها. ويمكن فعلاً أن يقال عنها بأنها لا تعرف الشر ولا تسمع عن الشر ولا تتكلم بشر، وسيكون من غير المفهوم بالنسبة لها أن يكون أحد ما رغباً في قتلها. ولكن علينا أن نمضي أبعد من ذلك، فالأمر ليس مجرد "أي أحد"، بل هي حالة شخص ربما كان مقرباً جداً وعزيراً جداً عليها...

المفتش كيري: إذن فهذا هو ما تعتقده؟

سيروكولد: علينا أن نواجه الحقائق. إنّ لدينا، قريباً منا هنا، متني شخصية منحرفة مشوهة، كثيراً ما عبرت عن نفسها بممارسة العنف السافر الفج الذي لا معنى له. ولكن، بسبب طبيعة الأشياء نفسها، فإن أحداً منهم لا يمكن أن يُشبهه به في هذه القضية.

إن شخصاً يمارس التسميم البطيء لا بد أن يكون شخصاً يعيش ألفة الحياة العائلية. فكر في الأشخاص الذين يسكنون هنا في هذا البيت، فهم زوجها وابنتها وحفيدتها وزوج حفيدتها، وابن زوجها الذي تعبره بمثابة ابنتها هي، والآنسة بيليفر صديقتها ورفيقتها المخلصة لسنوات طويلة. كلهم مقربون جداً وعزيزون جداً عليها.. ومع ذلك ينبغي أن تثور الشكوك: هل المحرم واحد منهم؟

قال المفتش كيري ببطء: ولكن يوجد أناس خارجيون...

- نعم، بمعنى ما. يوجد الدكتور مافيريك وشخص أو اثنان من مسؤولي المعهد غالباً ما يكونون معنا، ويوجد الخدم. ولكن - بصراحة - ما هو الدافع المحتمل الذي يمكن أن يكون لديهم؟

المفتش: ولدينا الشاب... ماذا كان اسمه؟ إدغار لاوسن؟

سيروكولد: نعم.. ولكنه لم يأت إلى هنا إلا كزائر عرضي

غير منتظم، ومؤخراً فقط. بالإضافة إلى أنه متعلق جداً بكارولين؛ شأنه في ذلك شأن الآخرين.

- ولكنه مضطرب. ماذا عن هجومه عليك هذه الليلة؟

نحى سيروكولد هذا السؤال جانباً بإشارة نزقة من يده وقال: مجرد طفولية بحتة... لم يكن ينوي إيذائي.

- لا يعقل ذلك مع وجود هاتين الحفرتين اللتين تركتهما الطلقتان في الجدار. لقد أطلق عليك النار، أليس كذلك؟

- لم يكن ينوي إصابتي. كان ذلك مجرد تمثيل، لا أكثر.

- إنه نوع خطير من أنواع التمثيل يا سيد سيروكولد.

- أنت لا تستوعب الحالة. عليك أن تتحدث مع طبيبتنا النفسي الدكتور مافيريك... إن إدغار صبي غير شرعي، وقد عزى نفسه عن فقدان الأب وعن الأصل المتواضع بالادعاء أمام نفسه بأنه ابن رجل مشهور، وهذه ظاهرة معروفة شائعة... أؤكد لك ذلك. وقد كانت حالته تتحسن، تتحسن كثيراً، ثم، لسبب ما، تعرض لنكسة؛ فجعلني «أباه» له، وقام بهجومه الاستعراضي العثير مُلوّحاً بمسدس ومطلقاً وابلأً من التهديدات. لم يُخفني ذلك على الإطلاق... وعندما أطلق النار فعلياً من المسدس انهار وأخذ ينتحب وينشج، فأعذه الدكتور مافيريك وأعطاه مهدئاً، وربما يكون طبيعياً تماماً صباح الغد.

- ألا ترغب بتوجيه اتهام له؟

- سيكون ذلك أسوأ إجراء ممكن... أعني بالنسبة له.

- بصراحة يا سيد سيروكولد، يبدو لي أنه ينبغي أن تُفرض عليه بعض القيود. أناس يطلقون نيران مسدساتهم هنا وهناك لإثبات وتعزيز «أناهم» المربضة! على المرء أن يفكر في المجتمع كما تعلم.

- تكلم مع الدكتور مافيريك في هذا الموضوع وهو سيعطيك وجهة النظر المختصة. وعلى أية حال فإن إدغار المسكين لم يطلق النار على غوليراندسن؛ فقد كان وقتها هنا يهدد بإطلاق النار عليّ أنا.

- هذه هي النقطة التي كنت على وشك إثارتها يا سيد سيروكولد. لقد بحثنا قضية الخارج، ويبدو أنه كان بمقدور أي شخص أن يدخل من الخارج ويطلق النار على السيد غوليراندسن ما دام الباب المغضي إلى المصطبة الخارجية غير مغلقل. ولكن في داخل المنزل محالاً أضيقل. ويبدو لي -على ضوء ما كنت تقوله لي- أنه ينبغي إيلاء انتباه دقيق جداً لذلك. ويبدو ممكناً أنه ما من أحدٍ كان يدرك بأنك قد تبادلقت بالفعل حديثاً خاصاً على انفراد مع السيد غوليراندسن ما عدا الآتسة العجوز ماربل التي صادف أنها كانت تطل من نافذة غرفة نومها. وإن كان الأمر كذلك، فربما كان غوليراندسن قد قُتل لمتعه من الإفشاء بشكوكه إليك. من المبكر جداً -بالطبع- أن نحدد الآن ما هي الدوافع الأخرى التي قد تكون موجودة... أفترض أن السيد

غوليراندسن كان شخصاً ثرياً، أليس كذلك؟

- نعم، كان رجلاً غنياً جداً. وله أبناء وبنات وأحفاد، الأغلب أن يكونوا مستفيدين جميعاً من وفاته. ولكنني لا أعتقد أن أيّاً من أفراد عائلته موجود في هذا البلد، وهم أناس موثوقون ومحترمون جداً، وليس بينهم -على قدر معلوماتي- أحد شاذ.

- هل للسيد غوليراندسن أي أعداء؟

- أظن أن ذلك احتمال بعيد جداً، فهو لم يكن من ذلك النوع من الناس أبداً.

- إذن فإن خلاصة كلامنا تحصر الأمر في ساكني هذا البيت، أليس كذلك؟ فمن أين داخل المنزل يمكن أن يكون قد قتله؟

أحباب لويس سيروكولد بطيء: من الصعب عليّ أن أحزم بذلك. لدينا الخدم، وأعضاء الأسرة، وضيوفنا. وهم يشكّلون جميعاً -من وجهة نظرك- احتمالات قائمة كما أظن. كل ما أستطيع أن أقوله لك هو أن الجميع -حسب علمي- كانوا في الصالة الكبرى عندما غادرها غوليراندسن (باستثناء الخدم)، وأثناء وجودي هناك لم يغادر الصالة أحد.

- لا أحد أبداً؟

قال سيروكولد: "أظن ذلك". وقطب حبينه في محاولة جاهدة للتذكر ثم قال: آه، نعم. بعض الأضواء أصابها تماس فانطفأت، وذهب السيد ولتر هذ لمعالجتها.



المفتش: ذلك هو السيد الأمريكي الشاب؟

- نعم. وأنا لا أعرف - طبعاً - ما جرى بعدما دخلتُ  
وإدغار إلى هنا.

- ألا تستطيع أن تعطينا صورة أقرب من ذلك؟

هز لويس سيروكولد رأسه بالنفي وقال: لا، لا أظن أن  
بوسعي مساعدتك؟ فالأمر... الأمر كله يصعب تماماً فهمه.

تهدد المفتش كيري ثم قال: لقد أطلقت على غوليراندسن  
رصاصاً من مسدس آلي صغير. هل تعرف إن كان أحد في  
المنزل يمتلك مثل هذا السلاح؟

- ليست عندي فكرة عن ذلك، وأظنه مستبعداً تماماً.

تهدد المفتش كيري مرة أخرى وقال: بوسعك أن تحير القوم  
أن بإمكانهم جميعاً الذهاب للنوم... سأتحادث معهم غداً.

وعندما غادر سيروكولد الغرفة قال المفتش كيري لمساعدته  
ليك: حسناً... ما هو رأيك؟

ليك: إنه يعرف أو يظن أنه يعرف من ارتكب الجريمة.

المفتش: نعم، أتفق معك. ولا يعجبني الأمر إطلاقاً...

\* \* \*

## الفصل الحادي عشر

عندما نزلت الأتسة ماربل لتناول إفطارها صباح اليوم التالي  
جثتها حيناً باندفاعية منها، ثم قالت: لقد جاء الشرطة ثانية إلى  
هنا، وهم في المكتبة هذه المرة. إن وولي مفتون بهم تماماً،  
وهو لا يستطيع أن يفهم سبب كونهم هادئين وحيايين إلى هذا  
الحد. أظن أن الأمر كله أروع تماماً بالفعل... أما أنا فلم يرعيني  
الأمر، ولكنني كرهت الجريمة وأعتقد أنها فظيعة. لماذا تظنين  
أنني منزعة إلى هذا الحد؟ لأنني نصف إيطالية؟

الأتسة ماربل: محتمل جداً... وربما يفسر ذلك - على  
الأقل - سبب عدم اكتراثك لإظهار مشاركتك.

ابتسمت الأتسة ماربل قليلاً وهي تقول ذلك، وعقبت حيناً  
وهي تتعلق بذراعها وتدفعها باتجاه غرفة الطعام: "إن جولي بيليفر  
غاضبة جداً، وأعتقد أن غضبها - بلا ريب - سببه أن الشرطة  
يتولون المسؤولية الآن، وهي لا تستطيع أن «تدير» الشرطة كما  
تديرنا جميعاً هنا". ثم أضافت حيناً وهي ترى أليكس وستيفن  
الأخوين يُنهيان إفطارهما في غرفة الطعام عند دخولها: أما  
أليكس وستيفن فهما مكثفان بعدم الاهتمام.

لك بكل أدب: "شكراً لك" ويدونون شهادتك، في حين لا تعرفين ما الذي يفكرون فيه، إلا أن المرء يشعر -فعلاً- أن لديهم عقولاً شكاكة.

قال ستيفن بايتسامته النحيلة القاسية بعض الشيء: سيكون من دواعي تسليتي أن أراك في ورطة يا أليكس! أما أنا فوضعي جيد تماماً؛ فأنا لم أغادر القاعة أبداً ليلة أمس.

صاحت جينا: ولكن لا ينبغي أن يفلتوا المجرم واحداً منا! كانت عيناها السوداوان مستديرتين فزعتين. وقال أليكس وهو يأخذ بسخاء من المرابي الموجود على المائدة: لا تقولي -يا عزيزتي- بأن المجرم لا بد أن يكون منتشرداً متسكعاً؛ فقد أثبتت العبارة من كثرة الاستعمال.

أطلت الأتسة بيليفر من الباب وقالت: الأتسة ماربل، هل لك -عندما تهين إفطارك- أن تهبي إلي المكتبة؟

جينا: أنت مرة أخرى... قبلنا جميعاً؟!

بدا وكأن ذلك جرح شعورها بعض الشيء.

أليكس: هيه، ما هذا الصوت؟

ستيفن: لم أسمع شيئاً.

أليكس: إنها طلقة مسدس.

جينا: لقد كانوا يطلقون النار في الغرفة التي قُتل فيها العم

سمع أليكس كلامها فقال: أيتها العزيزة جينا، لقد ظلمنا كثيراً. صباح الخير يا أنسة ماربل... إنني مهتم جداً بهذا الأمر، إلا أنني لا أكاد أعرف عمك كريستيان معرفة حقيقية. وإنني -إلى حد بعيد- من أكثر المشتبه بهم... أظنك تدركين ذلك.

جينا: لماذا؟

أليكس: حسناً، لقد كنت أفود سيارتي إلى المشرف في نفس وقت الجريمة تقريباً كما يبدو. ولقد كانوا يدققون في هذه الأمور، ويبدو أنني قضيت وقتاً طويلاً بين البوابة الخارجية والمنزل... وقتاً يكفي -كما قد يفهم- لترك السيارة، والركض حول المنزل للدخول من الباب الخائبي، وإطلاق النار على كريستيان، والخروج بسرعة، والعودة ثانية إلى السيارة.

جينا: وما الذي كنت حقاً تفعله؟

أليكس: ظننت أن الفتيات الصغيرات يُعلمن في وقت مبكر تماماً أن لا يسألن أسئلة فظة غير محتشمة. لقد وقفت كالأبله لعدة دقائق لكي أشاهد وأستوعب تأثير الضباب على المصاييح الأمامية للسيارة، وأفكر فيما يمكنني استخدامه لصنع ذلك التأثير في حشبة المسرح... وذلك لمسرحيتي الرائعة الجديدة «بيت الكلس».

جينا: ولكن بوسعك أن تخبرهم بذلك!

أليكس: طبعي، ولكنك تعرفين طبيعة الشرطة. إنهم يقولون:

كريستيان. لا أدري لماذا، وفي الخارج أيضاً.

انفتح الباب مرة أخرى ودخلت ميلديريد. كانت ترتدي السواد مع بعض عقود العقيق، وتمتعت بتحيةة الصباح دون أن تنظر إلي أحد وجلست، ثم قالت بصوت منخفض: أريد بعض الشاي - رجاءً - يا جينا. لا أريد طعاماً كثيراً... بعض الخبز المحمص فقط.

ثم مسحت أنفها وعينها برقة بالمنديل الذي كانت تمسكه في إحدى يديها، ورفعت بصرها ونظرت - بطريقة من لا يرى - إلى الأخوين الجالسين. شعر ستيفن وأليكس ببعض الضيق، وانخفض صوتهما إلى ما يقرب من الهمس، وسرعان ما نهضا وغادرا الغرفة.

قالت ميلديريد بصوت عال جعل الآنسة ماربل تشك أن المقصود منه أن يسمعه العالم كله: أما كان بوسعهما أن يلبسا ربطة عنق سوداء على الأقل؟

قالت الآنسة ماربل بلهجة اعتذار: لا أحسبهما كانا يعرفان مسبقاً بأن جريمة قتل ستحدث.

أطلقت جينا صوتاً مكتوباً فنظرت إليها ميلديريد بحدة وسألتها: أين وولتر هذا الصباح؟

تورد وجه جينا وأجابت: "لا أدري، أنا لم أره". ثم جلست هناك بقلق كأنها طفل مذنب.

نهضت الآنسة ماربل قائلة: سأذهب إلى المكتبة الآن.

كان لويس سيروكولد يقف قرب النافذة في المكتبة، ولم يكن أحد غيره في الغرفة. دار لدى دخول الآنسة ماربل وتقدم لاستقبالها آخذاً بيدها بيده وقال: أمل أن لا تكون مشاعرك قد تأذت كثيراً من الصدمة. لا بد أن وجود المرء على مقربة من جريمة قتل يشكل ضغطاً هائلاً على أي شخص لم يجرب مثل هذه الحالة من قبل.

منع التواضع الآنسة ماربل أن تجيبه وتقول بأنها أصبحت الآن معتادة تماماً على جرائم القتل، واكتفت بالقول إن الحياة في قرينها، سينت ميري ميد، لم تكن آمنة تماماً إلى الحد الذي يظنه الناس في الخارج، ثم أضافت: أؤكد لك أنّ أموراً قدرة جداً تحري في القرى، وتتوفر للإنسان هناك فرصة لدراسة الأشياء لم تكن تتوفر له في المدينة.

أصغى لويس سيروكولد لكلامها باهتمام، ولكن بنصف أذن فقط. قال ببساطة شديدة: أريد مساعدتك.

الآنسة ماربل: حاضرة بالطبع يا سيد سيروكولد.

- إنها قضية تؤثر في زوجتي، تؤثر في كارولين، وأعتقد أنك تحببتها تماماً، أليس كذلك؟

- بلى، الحقيقة أن الجميع يحبونها.

- هذا ما كنت أظنه، ولكن يبدو أنني مخطئ. بعد موافقة

المفتش كيري سوف أخبرك شيئاً لا يعرفه أحد غيرك بعدد. أو ربما كان الأحرى أن أقول: إن شخصاً واحداً يعرفه.

ثم أخبرها - باختصار - بما كان قد قاله للمفتش كيري في الليلة السابقة. بدت الأنسة ماربل مرعوبة وقالت: لا يمكن تصديق ذلك يا سيد سيروكولد.. إنني حقاً لا أستطيع تصديقه.

- هذا ما شعرت به عندما أخبرني كريستيان غولبراندسن.

- كنت مستعدة للحزم بأن كاري لويز العزيزة ليس لها عدو في هذا العالم.

- إن وجود عدو لها مسألة تبدو عسيرة على التصديق. ولكن هل تدرकिन مضامين هذا الأمر؟ إن التسميم - وخاصة التسميم البيئي - هو مسألة عائلية داخلية صميمية. لا بد أن يكون الفاعل واحداً من أفراد أسرتنا الصغيرة شديدة التلاحم...

- هذا إن كان الأمر صحيحاً... أنت واثق أن انسيد غولبراندسن لم يكن مخطفاً؟

- لم يكن كريستيان مخطفاً. كان رجلاً أكثر حذراً وبقظة من أن يطلق حكماً كهذا دون أساس. وبالإضافة إلى ذلك فإن الشرطة أخذوا زجاجة دواء كارولين وعينة منفصلة من محتوياتها.. وقد كان زرنياً في كلتا الحالتين.

- إذن فإن الروماتيزم الذي تعاني منه، والصعوبة في مشيتها... كل ذلك...

- نعم، وتشنجات الساقين من الأعراض النموذجية في هذه الحالة كما فهمت... بالإضافة إلى أن كارولين قد تعرضت - قبل مجيئك - إلى نوبتين حادتين لهما علاقة بالمعدة. لم أحلم أبداً قبل مجيء كريستيان...

ثم توقف فجأة، وقالت الأنسة ماربل بهدوء: إذن فقد كانت روث على حق!

- روث؟

بدت على لويس سيروكولد الدهشة، فاحمرت وجنتا الأنسة ماربل وقالت: يوجد شيء لم أخبرك به. إن قدومي إلى هنا لم يكن عرضياً بالكامل. إن كنت تأذن لي أن أشرح لك الأمر... أخشى أن أكون سيئة جداً في سرد الوقائع. أرجو أن تتحلى بالصبر.

وأصغى لويس سيروكولد فيما أخبرته الأنسة ماربل عن أحاسيس روث بالقلق وضرورة التصرف بسرعة. ثم علق قائلاً: غريب جداً... لم تكن لذي فكرة عن ذلك.

- كان الأمر كله مبهماً غامضاً، كما أن روث نفسها لم تكن تعرف سبباً لشعورها هذا. لا بد أن يكون سبب، ولكل شيء دوماً سبب كما علمتني تجربتي، ولكن عبارة «أمر غير طبيعي» كانت أقرب ما استطاعت روث الوصول إليه تجاه الوضع.

قال لويس سيروكولد بتعجبهم: حسناً، يبدو أنها كانت محقة.

والآن يا آنسة ماربل، إنك ترين الوضع الذي أنا فيه، فهل عليّ أن أخبر كاري لويز بذلك؟

قالت الآنسة ماربل بسرعة، وبصوت ملوِّع: أوه، لا.

ثم حجّلت وحدثت بارتياب بالسيد سيروكولد الذي هرّ رأسه موافقاً لها وقال: إذن فأنت تشعرين كما أشعر وكما شعر كريستيان غولبراندسن؟ هل كان لنا أن نشعر بمثل هذا الشعور إزاء امرأة عادية؟

- كاري لويز ليست امرأة عادية. إنها تعيش على ثقبتها وعلى إيمانها بالطبيعة البشرية... آه يا عزيزي، إنني أعبر عن نفسي بشكل سيء جداً، ولكنني أشعر - فعلاً - بأننا حتى الوقت الذي نعرف فيه من هو...

قاطعها سيروكولد قائلاً: نعم، هذه هي النقطة الحيوية. ولكنك ترين - بالتأكيد - يا آنسة ماربل بأن في عدم اليوح بالأمر مخاطرة...

- وهكذا فإنك تريد مني أن... كيف أعبر عن ذلك؟ أن أراقبها وأحميها؟

- أتعلمين؟ إنك الشخص الوحيد الذي أستطيع الوثوق به. الجميع هنا يبدون محبين لها، ولكن هل هم حقاً كذلك؟ بينما علاقتك بها تعود لسنوات طويلة خلت.

- بالإضافة إلى أنني لم أصل إلى هنا إلا منذ بضعة أيام فقط.

ابتسم لويس سيروكولد وقال: بالضبط.

قالت الآنسة ماربل بلهجة اعتذار: إنها مسألة طمع مادي جشع. ولكن من هم - بالضبط - الذين سيستفيدون لو قدر لكاري لويز أن تموت؟

قال لويس بمرارة: المال! إنه دائماً الأصل في كل شيء، أليس كذلك؟

الآنسة ماربل: حسناً، إنني أعتقد أن الأمر لا بد أن يكون كذلك في هذه الحالة؛ لأن كاري لويز امرأة رائعة عذبة جداً ذات سحر هائل، ولا يمكن للمرء - حقاً - أن يتخيل وجود أي شخص يكرهها. أعني أنه ليس بوسعها أن يكون لها عدو. إذن فإن الأصل في تفسير محاولة قتلها - كما عبرت أنت - هو مسألة المال. ولا حاجة بي لأن أذكرك - يا سيد سيروكولد - بأن الناس غالباً ما يقدمون على فعل أي شيء في سبيل المال.

- نعم، أعتقد ذلك. من الطبيعي أن المفتش كيري قد أخذ في اعتباره تلك النقطة. سيأتي السيد غيلفوي من لندن اليوم، وبوسعهم أن يعطينا معلومات تفصيلية. إن مكتب جيمس وغيلفوي هو أحد مكاتب المحاماة البارزة، ووالد السيد غيلفوي هذا كان واحداً من الأوصياء الأصليين، وهم الذين صاغوا وصية كارولين والوصية الأصلية للسيد إيريك غولبراندسن. سوف أبسط لك هذه الأمور...

- شكراً لك. اعتقدت دوماً بأن القانون موضوع مبهم جداً.

- إن السيد إيريك غولبراندسن وهب -على سبيل الوقف- الكليّة وبضْع مؤسسات مختلفة للزمالات الدراسية، وجعل مؤسساتٍ أخرى خاضعة لوصايا أفراد، وغير ذلك مما خلفه من المؤسسات الخيرية، ثم ترك مبلغاً متساوياً لكل من ابنته ميلدريد وابنته المتبناة بيبا والدة جينا. وبعد ذلك ترك ما تبقى من ثروته الطائلة تحت الوصاية، على أن يُدفع ما تدره هذه الثروة من أرباح إلى كارولين طوال فترة حياتها.

- وبعد وفاتها؟

- بعد وفاتها يفترض أن توزع الأموال بالتساوي بين ميلدريد وبيبا (أو أطفالهما إن كانتا قد توفيتا قبل وفاة كارولين).

- بحيث تذهب في الواقع إلى ميلدريد وإلى جينا.

- نعم. كما أن لدى كارولين ثروة كبيرة خاصة بها، مع أنها ليست بمستوى ثروة غولبراندسن. نصف هذه الثروة خصصتها لي قبل أربع سنوات، ومن المبلغ المتبقي تركت عشرة آلاف جنيه لحوليبيت بيليفر، وتم توزيع الباقي بالتساوي بين أليكس وستيفن ريستاريك ابني زوجها.

- آه، المسكينة. هذا أمر سيء، سيء جداً.

- ماذا تعنين؟

- إن ذلك يعني أن جميع من في البيت لديهم دافع مالي.

- نعم. ومع ذلك لا أستطيع أن أصدق أن أياً من هؤلاء،

الناس لديه الاستعداد لارتكاب جريمة قتل. إن ميلدريد هي ابنتها، ويُنفق عليها -بالفعل- بشكل جيد تماماً. جينا متعلقة بجدتها، وهي سخية ومبذرة ولكنها لا تمتلك مشاعر التملك والحشع. جولي بيليفر متطرفة في تعلقها بكارولين. والشابان أليكس وستيفن ريستاريك يرعيان كارولين كما لو كانت حقاً والدةتهما. ليس لديهما مال خاص بهما يمكن ذكره، ولكن كثيراً من دخل كارولين قد ذهب باتجاه تمويل مشاريعهما، وخاصة أليكس. إنني -ببساطة- لا أستطيع أن أصدق أن أياً من هذين الاثنين يمكن أن يقدم عامداً على تسميمها لأجل أن يرث مالا بموتها. لا يمكنني أن أصدق شيئاً من هذه الأمور يا آنسة ماربل.

- وفي البيت أيضاً زوج جينا، أليس كذلك؟

- أحباب سيروكولد بتحجهم: نعم. يوجد زوج جينا.

الآنسة ماربل: إنك لا تعرف حقاً الكثير عنه، ولا يمكن للمرء إلا أن يلاحظ أنه شاب تعيس جداً.

تنهد لويس وقال: نعم، إنه لم ينسجم في هذا المكان، وليس عنده اهتمام أو تعاطف مع ما نحاول أن نفعله هنا. ولكن لماذا عساه يهتم أو يتعاطف في نهاية المطاف؟ إنه شاب غرّ، وقد أتى من بلد يقاس فيه الرجل بمقدار ما يحققه من نجاح في حياته.

الآنسة ماربل: بينما نحن هنا مولعون جداً بالفاشلين!

نظر إليها لويس سيروكولد بحدة وارتياب، فتورد وجهها قليلاً وتمتمت بشكل يعوزه النماسك: أعتقد -أحياناً- أن بوسع

المرء أن يجهد نفسه في الاتجاه الآخر... أعني أن الشبان الصغار من أبناء العائلات السوية -والذين تمت تربيتهم بشكل جيد في بيئة منزلية جيدة وبقوة شخصية وعزم وقدرة على شق طريق الحياة- هم حقاً من النوع الذي نحتاجه البلد، عندما يمعن المرء النظر في الأمور.

قطب لويس بين حاجيه مفكراً، فأردفت الأنسة ماربل قائلة: ما أعنيه حقاً هو أن كل شيء هنا بدأ -لا بد- فريداً غريباً بالنسبة للشباب ولتر هذ.

سيروكولد: نعم، فهمت قصدك. إن لولتر -بالتأكيد- سجلاً حربياً رائعاً، ما من شك في شجاعته.

- ولكن ذلك لا يفيدنا في شيء؛ لأن الحرب شيء والحياة اليومية شيء آخر مختلف تماماً. وحتى ترتكب جريمة قتل فعلية فإنك تحتاج المشجاعة كما أعتقد، أو ربما تحتاج -بالأحرى- غروراً فقط. نعم... مجرد غرور.

- ولكنني لا أكاد أستطيع القول بأن لولتر هذ دافعاً كافياً لذلك.

- حقاً؟ إنه يكره هذا المكان، وهو يريد الرحيل ويريد أن يأخذ جينا بعيداً عن هنا. وإن كان المال هو ما يريده فسيكون من المهم أن تحصل جينا على كل الأموال قبل أن... قبل أن تطور علاقة نهائية مع شخص آخر.

قال لويس بصوت تملؤه الدهشة: تطور علاقة مع شخص آخر!

تعجبت الأنسة ماربل من غفلة المصلحين الاجتماعيين المتحمسين وقالت: نعم، هذا ما قلته. إن ستيفن وأليكس ريستاريك -كليهما- يجانها كما تعلم.

أجاب سيروكولد وهو شارد الذهن: أوه، لا أظن ذلك. إن ستيفن قيّم بالنسبة لنا، قيم جداً. لقد كانت له طريقة رائعة ليجعل هؤلاء الفتية يتحسنون ويتحمسون ويهتمون. لقد قدموا عرضاً رائعاً في الشهر الماضي، بديكوراته وأزيائه وكل شيء. وهذا يظهر تماماً -كما كنت دوماً أقول لمافيريك- أن نقص الدراما في حياتهم هو الذي يقود هؤلاء الصبية إلى الجريمة. إن تقديم الذات درامياً غريزة طبيعية من غرائز الطفل. ويقول مافيريك: "نعم، صحيح".

ثم توقف لويس فجأة وقال: أريد من مافيريك أن يقابل المفتش كيري بشأن إدغار. الأمر كله سخيّف جداً في الواقع.

الآنسة ماربل: ما الذي تعرفه حقاً عن إدغار لاوسن يا سيد سيروكولد؟

أجاب سيروكولد مؤكداً: كل شيء... أي أنني أعرف كل شيء. يحتاج المرء لمعرفة؛ خلفيته الأسرية، نشأته، النقص المتحذر في ثقته بنفسه...

قاطعتها الآنسة ماربل سائلة: أليس بوسع إدغار لاوسن أن يقوم بتسميم السيدة سيروكولد؟

سيروكولد: يصعب افتراض ذلك. إنه لم يأت إلى هنا إلا منذ بضعة أسابيع، والافتراض سخيف على أية حال! فلماذا يرغب إدغار في تسميم زوجتي؟ وماذا عساه يستفيد من فعل ذلك؟

- أعرف أنه ما من فائدة مادية، ولكن ربما كان لديه... سبب غريب ما؛ فهو نفسه غريب الأطوار كما تعلم.

- هل تعين أنه غير مترن؟

- أظن ذلك. لا، لا، ليس ذلك بالضبط. ما أعنيه هو أنه خطأ كله.

لم يكن ذلك تعبيراً جليلاً دقيقاً عما تشعر به، ولكن لويس سيروكولد قبل الكلمات بمعناها المباشر المجرد، وقال متتهماً: نعم، إنه خطأ كله... الفتى المسكين، مع أنه كان يدي تحسناً ملحوظاً تماماً. لا أستطيع أن أفهم سبب تعرضه لهذه الانتكاسة المفاجئة.

انحنى الآنسة ماربل للأمام بلهفة وقالت: نعم، هذا ما كنت أعجب منه. إن كان...

وتوقفت عندما دخل المفتش كبري إلى الغرفة.

\* \* \*

## الفصل الثاني عشر

خرج لويس سيروكولد من الغرفة، وجلس المفتش كبري موجهاً ابتسامة غريبة بعض الشيء للآنسة ماربل، ثم قال: إذن فإن السيد سيروكولد كان يطلب منك أن تقومي بدور العين الساهرة...

أجابت الآنسة ماربل بلهجة اعتذار: نعم، إن كنت لا تمنع في ذلك...

المفتش: أنا - شخصياً - لا أمانع، وأظنها فكرة جيدة جداً. هل يعرف السيد سيروكولد تماماً مدى أهليتك لهذا الموقع.

الآنسة ماربل: لا أعرف تماماً ما تعنيه أيها المفتش.

- أنا أعرف. إنه يظن أنك مجرد سيدة لطيفة جداً كانت في المدرسة مع زوجته.

ثم هز رأسه بالنفي وأضاف: إننا نعرف أنك أكثر قليلاً من ذلك يا آنسة ماربل، أليس كذلك؟ إن الجريمة هي حقل اهتمامك المفضل. إن السيد سيروكولد لا يعرف إلا جانباً واحداً من جوانب



الجريمة، هو جانب المبتدئين الذين هم «مشاريع مجرمين»... ذلك يصيبني بالقرق أحياناً. ربما كنت مخطئاً وذا عقلية قديمة الطراز، ولكن حولنا كثيراً من الصبية الحيدرين الشرفاء، صبية يمكن أن ينجحوا إذا ما وفرت لهم فرصة ليلدؤوا حياتهم. ولكن -مع ذلك- على الشرف أن يكافئ نفسه بنفسه؛ فأصحاب الملايين لا يتركون أموالهم لمساعدة ذوي القيمة. حسناً، حسناً... لا تلقي بالاً للكلامي؛ فأنا من الطراز القديم. لقد رأيت فتياتاً وفتيات وقف كل شيء في وجههم: بيوت سيئة، وحظ عاثر، وكل ما يمكن تخليه من معوقات... ومع ذلك كانت لديهم الشجاعة ليشقوا طريقهم بنجاح. ذلك هو النوع الذي سأترك له ثروتي... إن كان لي أن أجمع أية ثروة، ولكن ذلك ما لسن أستطيع فعله بالطبع؛ فلن يكون لديّ إلا راتبى التقاعدي وحديقة صغيرة جميلة!

ثم هز لها رأسه وقال: لقد حدثني عنك مديري السيد بلاكر ليلة أمس، وقال إن لديك خبرة واسعة في الجانب الأسوأ من الطبيعة البشرية. لنسمع وجهة نظرك. من -يرأيك- السوسة التي تنخر هذا الخشب؟ الزوج العسكري الأمريكي؟

الآنسة ماربل: ذلك سيكون مناسباً جداً للجميع.

ابتسم المفتش كيري لنفسه بهدوء وقال: من الطبيعي أنني متحامل عليه؛ فأسلوبه وأخلاقه لا تساعد في استبعاده. دعينا ننظر للأمر كهواة: من الذي كان يسمُ السيدة سيروكولد بشكل سرّي ومنتظم؟

الآنسة ماربل: حسناً، يميل المرء دائماً -وهو يضع نسي حساباً حقيقة الطبيعة البشرية- إلى التفكير بالزوج، وإن كان الوضع معكوساً فبالزوجة. ذلك هو الافتراض الأول في قضية تتسمم من هذا النوع، ألا تعتقد ذلك؟  
المفتش: أتفق معك تماماً.

- ولكن في هذه القضية فعلاً...

وهزت رأسها بالنفي، ومضت قائلة: لا، بصراحة لا أستطيع جداً أن أفكر في السيد سيروكولد كاحتمال؛ لأنه -كما ترى أيها المفتش- متعلق حقاً بزوجه. من الطبيعي أنه يمكن أن يقدم عرضاً زائفاً بهذا الشأن، ولكن الأمر ليس عرضاً أو تمثيلاً. إنه هادئ جداً، ولكنه أصيل. إنه يحب زوجته، وأنا واثقة تماماً أنه لم يكن يسمُها.

المفتش: ناهيك عن حقيقة أنه لا يملك أي دافع للقيام بذلك؛ فقد حولت ملكية أموالها له من قبل.

قالت الآنسة ماربل بتأنق: توجد -بالطبع- أسباب أخرى تجعل الرجل راغباً في إزاحة زوجته عن الطريق، كتعلقه بامرأة شابة مثلاً. ولكنني حقاً لا أرى أية مؤشرات على ذلك في هذه القضية؛ فالسيد سيروكولد لا يتصرف كما لو كان لديه أي انشغال رومانسي. أحمشى -فعلاً- أن تكون مضطربين لاستبعاده.

قالت حملتها الأخيرة وكأنها آسفة فعلاً لذلك.

المفتش: أمر مؤسف، أليس كذلك؟

ثم ابتسم مكشراً وقال: وفي كل حال ليس معقولاً أن يكون قد قتل غولبراندسن... يبدو لي أنه ما من شك في أن كل أمر يعتمد على الأمر الآخر، فالذي يسمُّ السيدة سيروكولد - كائناً من كان - هو الذي قتل غولبراندسن لمنعه من إخراج ما فسي جعبته. إن ما ينبغي أن نسعى إليه الآن هو معرفة من كانت لديه الفرصة لقتل غولبراندسن ليلة أمس. ومشبهنا الثمين هنا هو - دون شك - الشاب وولتر هُد؛ فهو الذي أضاع مصباح القراءة مما تسبب في تماس كهربائي، فغُيِمَتِ الفرصة لمغادرة الصالة والذهاب إلى علية الموصلات الكهربائية. وعلبة الموصلات موجودة في الممر المحاذي للمطبخ، المتفرع عن الممر الرئيس. وقد تم سماع الطلقة أثناء غيابه، ولذلك فهو المشبوه رقم «١»، الذي يؤهله موقعه تماماً لارتكاب الجريمة.

الآنسة ماربل: ومن هو المشبوه رقم «٢»؟

المفتش: المشبوه رقم «٢» هو أليكس ريستاريك الذي كان وحده في سيارته بين البوابة الخارجية والبيت، وقضى وقتاً طويلاً في الوصول إلى البيت.

انحنت الآنسة ماربل إلى الأمام بلهفة وقالت: "هل من أحد آخر؟". ثم لم يفتها أن تصيف: لطيف جداً منك أن تحيرني بكل ذلك!

المفتش: إنه ليس لطفاً؛ فأنا بحاجة للحصول على مساعدة

منك. لقد وضعت يدك على السؤال المهم عندما قلت "هل من أحد آخر؟"، لأنني - في هذا المجال - مضطر للاعتماد عليك، فأنت التي كنت هناك في الصالة ليلة أمس، وأنت من يستطيع أن يخبرني من الذي غادرها...

- نعم، يجب أن أكون قادرة على إبلاغك بذلك. ولكن، هل أستطيع ذلك؟ فأنت تدري... كانت الظروف غريبة...

- هل تعين بأنكم كنتم جميعاً تصغون إلى الجدال الدائر خلف باب مكتب السيد سيروكولد؟

هزت الآنسة ماربل رأسها موافقة بحماسة، وقالت: نعم، في الحقيقة كنا جميعاً في غاية الخوف؛ فقد بدا السيد لاوسن حقاً وقد فقد عقله تماماً، ما عدا السيدة سيروكولد التي بدت غير متأثرة أبداً. كنا جميعاً خائفين أن يسبب إدمار أذى للسيد سيروكولد. كان يصرخ ويتفوه بأفطع العبارات، وكان بوسعنا أن نسمعها بوضوح شديد، وفي هذا الجو، وفي ظل انطفاء معظم المصابيح، لم أنبه حقاً لأي شخص آخر.

- أتعتين أنه بينما كان ذلك المشهد جارياً كان بوسع أي أحد أن يخرج متسللاً من الغرفة، ويعبر الممر، ويطلق النار على السيد غولبراندسن ويتسلل عائداً مرة أخرى؟

- أظن أن ذلك كان ممكناً...

- هل تستطيعين أن تحددتي بشكل جازم من هم الذين

بقوا في الصالة الكبرى طوال الوقت؟

فكرت الأنسة ماريل ثم قالت: أستطيع القول بأن السيدة سيروكولد بقيت لأنني كنت أراقبها. كانت تجلس قريبة تماماً من باب المكتب ولم تتحرك أبداً من مقعدها، وقد أدهشتني قدرتها على البقاء هادئة إلى ذلك الحد.

المفتش: والآخرون؟

- الأنسة بيليفر خرجت، ولكنني أظن... بل أكاد أكون واثقة بأن خروجها كان بعد صوت الطلقة. أما ميلدريد فإنني حفاً لا أدري، إذ أنها كانت تجلس خلفي. حيناً كانت عند النافذة البعيدة، وأعتقد أنها بقيت هناك طوال الوقت، ولكنني لا أستطيع الجزم بذلك بالطبع. كان ستيفن جالساً إلى اليمين، وقد توقف عن العزف عندما أخذ الشجار يحمي وطيسه...

- ينبغي ألا يضلنا الوقت الذي سمعتم فيه الطلقة؛ فهذه حيلة تم استخدامها من قبل... يلفقون طلقة زائفة بحيث يتم تحديد وقت وقوع الجريمة، ويكون ذلك التحديد خاطئاً. إن كانت الأنسة بيليفر قد «طبخت» حيلة من هذا النوع (رغم غرابة الفكرة، إلا أن الإنسان لا يدري...) فمن شأنها عندئذ أن تغادر القاعة - كما فعلت - على مرأى من الجميع بعد سماع الطلقة، لا، إنما لا نستطيع اعتماد الطلقة دليلاً حاسماً. الفسحة الزمنية تمتد بين مغادرة كريستيان غولبراندسن للصالة ولحظة عبور الأنسة بيليفر عليه ميتاً، ولا نستطيع أن نستبعد إلا أولئك

الناس الذين نعرف أنهم لم تمنح لهم الفرصة لارتكاب الجريمة، وهذا ينحصر في لويس سيروكولد والشاب إدغار لاوسن اللذين كانا في المكتب، والسيدة سيروكولد في الصالة. إنه لمن سوء الحظ - طبعاً - أن يقتل غولبراندسن في نفس الأمسية التي حدث فيها ذلك الشجار بين سيروكولد وذلك الشاب لاوسن.

الآنسة ماريل: مجرد سوء حظ باعتقادك؟

المفتش: آه! ماذا ترين؟

- لقد خطر لي بأن ذلك الشجار ربما كان مرتباً.

- إذن فهذا رأيك؟

- حسناً، لقد بدا الجميع مستغربين كثيراً من تعرض إدغار لانتكاسة مفاجئة تماماً كذلك. إن لديه تلك العقدة الغريبة (كأنه ما كان المصطلح الذي يطلق عليها) حول أبيه المجهول، مثل وينستون تشرشل، والفيسكونت مونتغمري... وكل هذا وارد تماماً في مثل حالته العقلية، يختار أي رجل مشهور يخطر في باله. ولكن لنفترض أن أحداً وضع في رأسه فكرة أن لويس سيروكولد هو حفاً والده، وأن لويس سيروكولد هو الذي كان يلاحقه ويضطهده، وأن له الحق في أن يكون الأمير المتوج على ستوني غيتس بأكمله... وفي مثل حالته العقلية الضعيفة فإنه سيستقبل هذه الفكرة، ويحمي نفسه حتى يصل إلى حالة سعار. وعاجلاً أو آجلاً سيقدّم مثل ذلك المشهد الذي قدمه.

ويا لذلك من ستار رائع! سيكون انتباه الجميع مركزاً على الوضع الخطير الذي يتفاقم، وخاصة إذا كان أحد من الفطنة بحيث يزوده بمسدس.

- هممم، نعم... مسدس وولتر هذ.

- آه، نعم، لقد فكرت في ذلك. ولكن، أندري؟ صحيح أن وولتر صموت غير اجتماعي وهو بالتأكيد نكد المزاج فظ التعامل، ولكنني لا أعتقد حقاً بأنه غبي.

- إذن فأنت لا تعتقدين أنه وولتر؟

- أعتقد أن الجميع سيشعرون بارتياح كبير إن كان الفاعل هو وولتر؛ وذلك لأنه من خارج العائلة، رغم أن ذلك يبدو أمراً في منتهى القسوة.

- ماذا عن زوجته؟ هل كانت ستشعر بارتياح أيضاً؟

لم تحب الأنسة ماربل. كانت تفكر في جينا وستيفن وهما يقفان معاً كما رأتهما في يومها الأول. وفكرت في الطريقة التي توجهت بها عينا أليكس ريستاريك فوراً إلى جينا عند دخوله الصالة ليلة أمس. ترى ما هو موقف جينا الخاص؟

\* \* \*

بعد ساعتين من ذلك مال المفتش كيري بكرسيه إلى الخلف وتمطى وتنهَّد قائلاً: حسناً، لقد تقدمنا مسافة لا بأس بها.

واقفه الرقيب ليك وقال: إن الخدم بعيدون عن الشبهة؛ فقد كانوا معاً طوال الفترة الحرجة... أعني الذين يبيتون هنا، أما أولئك الذين لا يقطنون في المنزل فقد غادروه قبل ذلك.

هز كيري رأسه موافقاً. كان يعاني من إرهاق ذهني. كان قد حقق مع المعالجين النفسيين، ومع أعضاء من ملاك التدريس، ومع من أسماهما «الشقيين الشائين» اللذين كان الدور عليهما في العشاء مع العائلة في تلك الليلة. كانت جميع قصصهم مترابطة منسجمة ومُختبرة بحيث كان يوسعه أن يلغيها جميعاً. كانت أنشطتهم وعاداتهم من ذلك الطراز الذي يميز مجموعة اختارت الحياة الجماعية المشتركة. لم تكن بينهم نفوسٌ منزعلة موحشة، الأمر الذي كان مفيداً لأغراض الدفع بالغبية عن مكان الجريمة. كان المفتش كيري قد ترك الدكتور مافيريك حتى النهاية، وهو يرى أن مافيريك كان هو الشخص الرئيس المسؤول عن المعهد.

قال المفتش بصوت عالٍ: ولكننا سنراه الآن يا ليك.

وهكذا دخل الطبيب الشاب بنشاط، أنيقاً مهندياً، وشيء من عدم الإنسانية يتخايل خلف نظارته.

أكد مافيريك روايات العاملين تحت إمرته، ووافق على النتائج التي توصل إليها المفتش كيري. لم يكن في الموضوع إهمالاً، ولا ثغرات في حصانة الكلية. ولا يمكن إلقاء التبعة في موت غولبراندسن على «المرضى الصغار» كما ساد كيري أن يسببهم وقد أصبح مأخوذاً جداً بالحو الطبي المحموم حوله.

قال مافيريك وعلى وجهه ابتسامة صغيرة: ولكن المرضى يَتَوَقَّنون مرضى أيها المفتش.

كانت ابتسامته تشي بالإحساس بالتفوق، ولم يكن من شأن المفتش كيري أن يسمي إنساناً إن لم يعضب قليلاً من تلك الابتسامة. قال بلهجة المحترفين: والآن، بخصوص تحركاتك الخاصة يا دكتور مافيريك؟ هل بوسعك أن تذكرها لي بالتفصيل؟

- بالتأكيد؛ لقد كتبتها لك مع أوقاتها التقريبية.

ذكر الدكتور مافيريك أنه غادر الصالة الكبرى في الساعة التاسعة والربع مع السيد ليسى والدكتور بومغارتن، وقد ذهبوا إلى جناح هذا الأخير حيث بقي الثلاثة يناقشون سبلاً معينة في العلاج حتى جاءت الأنسة بيليفر على عجل وطلبت من الدكتور مافيريك أن يذهب إلى الصالة الكبرى. كان ذلك في الساعة التاسعة والنصف تقريباً. وقد ذهب فوراً إلى الصالة ووجد إدغار لاوسن في حالة انهيار.

تملئ المفتش كيري قليلاً وقال: لحظة يا دكتور مافيريك.. هل يشكل هذا الشاب -برأيك- حالة مرضية عقلية أكيدة؟

ابتسم الدكتور مافيريك ابتسامته المتفوقة ثانية وقال: كلنا نمثل حالات مرض عقلي أيها المفتش.

جواب غبي! هذا ما فكر فيه المفتش؛ فهو يعلم تمام العلم أنه ليس حالة مرضية عقلية، كائناً ما كانت حالة الدكتور مافيريك!

المفتش: أهو مسؤول عن أفعاله؟ هل يعرف ماذا يفعل؟  
مافيريك: يعرف تماماً.

- إذن فإنها كانت بالتأكيد محاولة قتل عندما أطلق النار على السيد سيرو كولد من ذلك المسند.

- لا، لا أيها المفتش. لا شيء من ذلك القليل.

- كيف يا دكتور مافيريك؟ لقد رأيت الحفرتين اللتين خلقتهما الرصاصتان في الجدار، ولا بد أنهما مرتا بشكل خطير قرب رأس السيد سيرو كولد.

- ربما. ولكن لم يكن في نية لاوسن أن يقتل السيد سيرو كولد أو حتى يجرحه. إنه يحب السيد سيرو كولد كثيراً.

المفتش: تبدو طريقة غريبة في إظهار المحبة!

ابتسم الدكتور مافيريك ثانية، ووجد المفتش كيري تلك الابتسامة صعبة الاحتمال.

مافيريك: إن كل ما يفعله المرء مقصود. في كل مرة تنسى فيها أيها المفتش اسماً أو وجهاً ما، فإنما يكون ذلك لأنك تمنى نسيانه لاشعورياً.

نظر إليه المفتش غير مصدق، ولكنه مضى قائلاً: في كل مرة تبدر منك زلة لسان، يكون لتلك الزلة معنى. لقد وقف إدغار لاوسن على بعد بضعة أقدام من السيد سيرو كولد وكان

- ولكن لديك بعض العقاقير، أليس كذلك؟

- آه، بالتأكيد. مهدئات، مورفين، والمسكنات الأخرى..  
العقاقير المعتادة.

- هل تشرف صحياً على السيدة سيروكولد؟

- لا، فالدكتور غنتر من ماركت كيمبل هو طبيب العائلة.  
إن لديّ درجة طبيب بالطبع، ولكنني لا أمارس إلا الطب النفسي.

- نعم، فهمت. حسناً، شكراً جزيلاً يا دكتور مافيريك.

وعندما خرج الدكتور مافيريك تمت المفتش كيري قائلاً  
لمساعدته ليك بأن الأطباء النفسانيين يسببون له ألماً في عنقه،  
ثم قال: حسناً، لنأتِ إلى العائلة. سأرى الشاب وولتر هُذَ أولاً.

كان تصرف وولتر هُذَ يوحى بالحذر والقلق. بدا أنه  
يتفحص ضابط الشرطة بشيء من الاحتراس واليقظة، ولكنه كان  
متعاوناً تماماً: في ستوني غيتس الكثير من الأسلاك المتضجرة،  
وكانت التمديدات الكهربائية برمتها من الطراز القديم جداً. ولم  
يكن أحد ليصبر على تمديدات كهربائية كهذه في أمريكا.

قال المفتش كيري وعلى وجهه ابتسامة باهتة: أعتقد أن  
تلك التمديدات قام بها الراحل غولبراندسن في وقت كانت فيه  
الأنوار الكهربائية صرعة جديدة.

وولتر: أظن ذلك! بيت إنكليزي قديم من عهد الإقطاع،

يوسعه أن يطلق عليه النار ويقتله بسهولة، ولكنه -بدلاً من ذلك-  
أخطأه. فلماذا أخطأه؟ لأنه أراد أن يخطئه.. الأمر بهذه البساطة!  
لم يكن السيد سيروكولد معرضاً لأي خطر، والسيد سيروكولد  
نفسه كان واعياً تماماً لتلك الحقيقة؛ فقد فهم حركة إدغار  
بمعناها الحقيقي تماماً.. حركة تحدّ وسخط ضد العالم الذي  
أنكر عليه الحاجات البسيطة لحياته كطفل، أي الأمن والحب.

المفتش: أظن أنني أرغب في رؤية هذا الشاب.

- بالتأكيد إن كنت ترغب. لقد كان لانفجاره ليلة أمس  
تأثير تنفسي مهدئ، وقد طرأ عليه تحسن هائل اليوم، وسوف  
يكون السيد سيروكولد سعيداً جداً بذلك.

حدق المفتش كيري فيه يامعان، ولكن الدكتور مافيريك  
كان جاداً كعادته.

تهيد المفتش كيري وسأل: هل لديك زرنبيخ؟

مافيريك: زرنبيخ؟

بدا أن السؤال فاجأ الدكتور مافيريك تماماً. كان واضحاً  
أنه سؤال غير متوقع.

مافيريك: يا لهذا السؤال الغريب! لماذا الزرنبيخ؟

المفتش: أجبني على السؤال فقط من فضلك.

- لا، ليس لدي زرنبيخ من أي نوع.

ولم يتم تحديثه.

كانت الصمامة الكهربائية التي تتحكم بأغلب مصابيح الصالة الكبرى قد أصابها من كهربائي، وقد خرج وولتر إلى علية الصمامة ليفحصها. وقد أصلحها وعاد إلى الصالة.

المفتش: كم اقتضى غيابك عن الصالة؟

وولتر: ذلك ما لا أستطيع تحديده بشكل أكيد؛ فعلى الصمامات كانت في مكان قطع، وقد اضطرت لتدبير سلم وشعلة للوصول إليها. ربما أكون قد قضيتُ عشر دقائق أو ربما ربع ساعة.

- هل سمعت طلقة نارية؟

- كلا، لم أسمع شيئاً كهذا؛ إذ توجد أبواب مزدوجة تفضي إلى جناح المطبخ، وأحد هذه الأبواب مغلف بنوع من اللياد.

- آه! فهمت. وعندما عدت إلى الصالة، ما الذي رأيته؟

- كانوا جميعاً محتشدين حول الباب المفضي إلى مكتب السيد سيروكولد، وقالت السيدة ميلدريد إن السيد سيروكولد قد أصيب بطلق ناري، ولكن الأمر لم يكن كذلك عملياً. كان السيد سيروكولد على ما يرام، إذ كان المعتوه قد أخطأه.

-- هل عرفت المسلسل؟

- طبعاً عرفته! لقد كان مسدسي.

- متى رأيته آخر مرة؟

- قبل يومين أو ثلاثة.

- وأين تحتفظ به؟

- في الدرج، في غرفتي.

- ومن يعرف بأنك تحتفظ به هناك؟

- ليس بوسعي تحديد من يعرف ماذا في هذا البيت.

- ما الذي تعنيه بذلك يا سيد هُد؟

- آه، كلهم مجانين!

- عندما عدت إلى الصالة، هل كان جميع الباقين هناك؟

- ماذا تعني بجميع الباقين؟

- نفس الأشخاص الذين كانوا هناك عندما ذهبت لتصلح المس الكهربي.

- كانت جينا هناك، والمرأة العجوز ذات الشعر الأبيض، والآنسة بيليفر... لم أنتبه بشكل محدد، ولكنني أرجح ذلك.

- السيد غولبراندسن وصل بشكل مفاجئ تماماً يوم أمس الأول، أليس كذلك؟

- أعتقد ذلك... لم يكن هذا من ذأبه كما فهمت.

- هل بدا أي شخص منزعاً لقدمه؟

استغرق وولتر هذ لحظات قبل أن يجيب قائلاً: كلا، لا أظن ذلك.

مرة أخرى كان في أسلوبه شيء من الحذر.

المفتش: هل لديك أية فكرة عن سبب قدمه؟

- أحسبه جاء بسبب معيهم الثمين هذا. التركيبة كلها محتونة هنا!

- هل لديكم مثل هذه «التركيبات» - كما أسميتها - في الولايات المتحدة؟

- يوجد فرق بين وقف أموال لخدمة مشروع معين، وبين

إعطاء ذلك المشروع مثل هذه اللمسة والحلب الشخصيين كما يفعلون هنا. لقد رأيت ما يكفيني من المحللين النفسيين في الجيش، وهذا المكان يغص بهم.. لمحرد تعليم السفاحين الصغار كيف يصنعون سلال الليف أو ينقشون حاملات الغلايين. ألعاب أطفال وأعمال مختئين!

لم يعلق المفتش كيري على هذه الانتقادات، فربما كان

يتفق معها. قال وهو ينظر إلى وولتر بإمعان: إذن فليس لديك فكرة عمن يمكن أن يكون قد قتل السيد غولبراندسن؟

وولتر: ما أظنه إلا واحداً من هؤلاء الصبية العاقرة في الكلية، أحب تجربة أساليبه.

المفتش: لا يا سيد هذ، هذا مستبعد كلياً؛ فالكلية -على الرغم من جو الحرية الذي تم إيجاده بكل حرص- هي أقرب ما تكون إلى معتقل، وهي تدار على هذا الأساس. لا أحد يستطيع أن يدخلها أو يخرج منها بعد حلول الظلام ليرتكب جرائم قتل.

وولتر: ما كنت لأضعب شكوكي بعيداً عنهم! حسناً، إن كنت تريد أن تقرب الأمر إلى المنزل، فإنني أعتقد بأن أفضل رهان لك هو أليكس ريسناريك.

المفتش: لماذا تقول ذلك؟

- لقد كانت لديه الفرصة؛ فلقد قاد سيارته وحيداً عبر الحديقة.

- ولماذا يقدم على قتل كريستيان غولبراندسن؟

رفع وولتر كتفيه بعدم اهتمام وقال: إنني غريب هنا ولا أعرف تركيبات العائلة. ربما كان غولبراندسن العجوز قد سمع شيئاً عن أليكس وكان يريد أن يفضي بمعلوماته لعائلة سيروكولند.

- وماذا عساه ينتج عن ذلك؟

- ربما قطعوا عنه المال. إن بوسعه الآن أن يستخدم المال، وقد استخدم الكثير منه بالفعل.



- تعني في المشاريع المسرحية؟

- أهكذا يسميها؟

- هل تريد الإيحاء بأنها كانت غير ذلك؟

- أئن لي أن أعرف؟! \*

\* \* \*

كان أليكس ريستاريك مهذاراً، كما أنه كان يعطي إشارات بيديه مع كلامه.

أليكس: أدري، أدري! أنا المشبوه المثالي؛ فقد قدمت سيارتي إلى هنا بمفردي، وفي طريقي إلى المنزل انتابني نوبة إبداع. لا يمكنني أن أتوقع منك فهم ذلك، إذ كيف لك أن تفهم؟

قال المفتش كيري بتحفظ: ربما تفهمت.

مضى أليكس ريستاريك في كلامه لا يلوي على شيء: كانت مجرد واحدة من تلك النوبات! نوبات تأتيك دون أن تدري متى أو كيف. تأثير ما.. فكرة ما، وكل شيء عداها تأخذه الرياح! إنني أنتج مسرحية كمي تعرض الشهر القادم. فحاة، ليلة أمس، بدا لي الديكور رائعاً، والتمعت أمامي الإضاءة المثالية. الضباب، والأضواء الأمامية تقطع الضباب وتلقيه خلفها، وانعكاس لا يكاد يبين لكومة عالية من الأبنية. كان كل عنصر يساعد في استكمال الصورة! الطلقات، الخطوات الراكضة، وطققة

إلى المسرحية.

سأله المفتش: كم طلقة سمعت؟

أجاب أليكس بفظاظة: لا أدري... اثنتين أو ثلاثة. اثنتين أطلقنا معاً. أتذكر ذلك بالفعل.

هز المفتش كيري رأسه وقال: وصوت الخطوات الراكضة؟ أظنك قلت ذلك. أين كانت؟

أليكس: تناهت إليّ الأصوات من وسط الضباب... فسي مكان ما قرب المنزل.

قال المفتش كيري بلطف: هذا يشير إلى أن قاتل السيد غولبراندسن جاء من الخارج.

أليكس: بالطبع، ولم لا؟ لا أظنك تعني حقاً بأنه جاء من داخل المنزل؟

قال المفتش كيري بلطف بالغ أيضاً: نحن مضطرون للتفكير في كل احتمال.

قال أليكس ريستاريك بأريحية: نعم، أفترض ذلك. كم هي مرهقة للروح بلا شك وظيفتك أيها المفتش! بكل التفاصيل والأوقات والأماكن، والصغائر النافية المرتبطة بكل ذلك. وفي النهاية، ما الفائدة من ذلك كله؟ هل له أن يعيد كريستيان غولبراندسن اليأس للحياة ثانية؟

المحرك ذي الطاقة الكهربائية، الذي ربما كان محرك زورق في نهر التيمز. وفكرت بأنني قد وجدتها، ولكن ما الذي ينبغي أن أستعلمه للحصول على تلك المؤثرات نفسها؟ ثم...

قاطع المفتش كيري قائلاً: هل سمعت طلقات، وأين؟

قال أليكس: "خرجت من الضباب أيها المفتش". ثم لوح بيديه في الهواء وأضاف: من الضباب... وذلك كان الجانب الرائع في الأمر.

المفتش: ألم يخطر ببالك أن شيئاً ما قد لا يكون على ما يرام؟

- لا يكون على ما يرام؟ ولماذا يكون كذلك؟

- هل سماع الطلقات مسألة عادية إلى هذا الحد؟

- آه، لقد عرفت أنك لن تفهمني. لقد كانت الطلقات مناسبة تماماً للمشهد الذي كنت أبده. لقد أردت الطلقات... سواء كانت خطراً أو عملاً جنونياً، وما هي في طبيعتها حقاً؟ ربما كانت تعطيس شاحنة على الطريق؟ صياداً يجري خلف الأرناب؟

- إنهم غالباً ما ينصبون الشباك للأرناب هنا.

- طفلاً يطلق ألعاباً نارية؟ إنني لم أفكر فيها لكونها طلقات. كنت أعيش داخل المسرحية، أو بالأحرى خلف المقاعد، أنظر

المفتش: إن في القبض على المحرم رضياً كافياً يا سيد ريستاريك.

أليكس: آه، كما في أفلام رعاة البقر حيث يغيب، القانون!  
- هل كنت تعرف السيد غولبراندسن جيداً؟

- ليس إلى الحد الذي يكفي لأقتله أيها المفتش. كنت أقابله من وقت لآخر منذ كنت أعيش هنا صبيحاً. كان يظهر أحياناً لفترات قصيرة هنا. إنه أحد أقطاب الصناعة عندنا، وهذا النوع من الناس لا يثير اهتمامي. أعتقد أن لديه مجموعة كاملة من تماثيل النحات ثوروالدسن، وذلك يشي بطبيعة شخصيته، أليس كذلك؟ يا إلهي، ويا لهؤلاء الأثرياء!

تأمله المفتش كيري بإمعان، ثم قال: هل لديك أية اهتمامات بالسوموم يا سيد ريستاريك؟

أليكس: بالسوموم؟ يا للرجل المسكين! من المؤكد أنه لم يتم تسميمه قبل إطلاق النار عليه، فسيكون ذلك موضوعاً لرواية بوليسية متطرفة في جنونها.

- إنه لم يسمم... ولكنك لم تحب عن سؤالي.

- إن للسوموم إغراء معيناً؛ فليست فيه فظاظة رصاصة المسدس أو الأدوات الجارحة، ولكن ليس لي معرفة خاصة بالموضوع.. إن كان ذلك ما تعنيه بسؤالك.

- هل امتلكت -من قبل- مادة الزرنينخ أو كانت بحوزتك على الإطلاق؟

- تعني إن كنت قد وضعته في الشطائر، بعد العروض المسرحية؟ إن لهذه الفكرة إغراءاتها. لا أظنك تعرف روز غليدون؟ من تلك الممثلات اللاتي يحسن أن لهن اسماً مدوياً كلاً، لم أفكر أبداً بالزرنينخ. أعتقد أن المرء يستخلصه من مبيدات الأعشاب الضارة أو الورق المسمم لقتل الذباب، أليس كذلك؟

- ما مدى ترددك إلى هنا يا سيد ريستاريك؟

- يختلف الأمر حسب الظروف أيها المفتش. أحياناً لا آتي لعدة أسابيع، ولكنني أحاول أن آتي إلى هنا في عطل نهاية الأسبوع كلما استطعت ذلك. لقد اعتبرت ستوني غينس -دوماً- بيتي الحقيقي.

- وهل شجعتك السيدة سيروكولد على ذلك؟

- إن ما في عنقي للسيدة سيروكولد لا يمكن الوفاء به، العطف والتفهم والحب...

قال المفتش: والكثير من الأموال النقدية أيضاً كما أعتقد؟  
بدا أليكس وكأنه اشمز قليلاً وقال: إنها تعاملني كابن لها، وهي تؤمن بعملتي.

المفتش: هل تحدثت معك عن وصيتها من قبل؟

المفتش: هذا ما يراد لنا أن نعتقد. وهو اعتقاد مناسب تماماً، فإن كان الأمر كذلك يا ليك فسأكون مستعداً لألكل قبعتي الحديدية.

\* \* \*

قال ستيفن ريبستاريك: كنت جالساً إلى البيانو أداعب مفاتيحه عندما اندلع الشجار بين لويس وإدغار.

سأله المفتش: وماذا كان رأيك بذلك الشجار؟

ستيفن: حسناً... في الحقيقة أنا لم اعتبره أمراً جدياً أبداً؛ فذلك المتسكع المسكين تتابه تلك النوبات من الغضب والحقد. إنه ليس محتوناً حقاً، كل هذا الهراء الذي يقذفه هو نوع من إطلاق الأبخرة المكبوتة. الحقيقة هي أننا كنا جميعاً نثيره، وخصوصاً جينا بالطبع.

المفتش: جينا؟ تعني السيدة هُذا؟ لماذا تثيره؟

- لأنها امرأة، وامرأة جميلة جداً، ولأنها تعتقد أنه مضحك! إنها نصف إيطالية كما تعلم، والإيطاليون لديهم ذلك العرق اللواعي من القسوة. ليس لديهم أي عطف تجاه أي شخص عجز أو دميم أو غريب الأطوار بأي شكل، فهم يشيرون إليه بأصابعهم ويسخرون منه. هذا ما كانت تفعله جينا (وأنا أتحدث هنا على سبيل المحاز). لم تكن تطيق الشاب إدغار؛ فقد كان سخيفاً ومتجحاً، وفي قرارة نفسه لم يكن -بشكل جوهري-

- بالتأكيد. ولكن هل لي أن أسأل عن الغرض من كل هذه الأسئلة أيها المفتش؛ فالسيدة سيروكولد لم يصيها أي مكروه.

قال المفتش بتجهم: من الأفضل أن لا يحدث لها مكروه.

قال أليكس: والآن، ما الذي قد تعنيه بذلك؟

- إن كنت لا تعرف فذلك أفضل بكثير، وإن كنت تعرف فإنني أذكرك.

عندما خرج أليكس قال الرقيب ليك: إنه محادع كبير، ما قولك؟

هز المفتش كيري رأسه حيرة وقال: يصعبه الحزم. ربما كانت لديه موهبة خلاقة أصيلة، وقد يكون من أولئك الذين يحبون حياة التعميم والتبجح بالكلام. لا يستطيع المرء أن يحزم بشيء. يقول إنه سمع صوت خطوات هاربة، أليس كذلك؟ سأكون مستعداً للمراهنة على أنه اخترع ذلك من عنده.

ليك: هل من سبب خاص لذلك؟

المفتش: لا بد من سبب خاص بالتأكيد. لم نأت على ذلك بعد، ولكننا سنأتي إليه.

- في النهاية يا سيدي، ربما يكون أحد أولئك الصبية الماكربين قد خرج من مبانى الكلية دون أن يدري أحد بذلك. ربما كان بينهم بعض اللصوص الذين يتسورون البيوت، وإن كان الأمر كذلك...

وإثقا من نفسه. كان يريد إبهار الآخرين في حين لم ينجح إلا في الظهور بمظهر الإنسان السخيف. لم تكن المعاناة الكبيرة لذلك الفتى البائس لتعني لها أي شيء.

سأل المقتش: هل تلمحُ إلى أن إدغار يحب السيدة هُذا؟  
أجاب ستيفن بانتهاج قائلاً: أوه! نعم. في الحقيقة كلنا نجبها بشكل أو بآخر، وهي تحب ذلك منا!

- وهل يحب زوجها ذلك؟

- لا يعجبه ذلك. إنه يعاني... هذا المسكين، وذلك لا يمكن أن يستمر كما تعلم؛ أعني زواجهما. سرعان ما سينفصم عقده. كان مجرد علاقة من العلاقات التي تنشأ في الحرب.

- هذه أمور كلها مهمة، ولكننا نتعد عن موضوعنا، وهو مقتل كريستيان غولبراندسن.

- صحيح، ولكنني لا أستطيع أن أخبرك بأي شيء، عن ذلك؛ فقد جلست إلى البيانو ولم أتركه حتى جاءت العزيزة جولي إلى الصالة حاملة بعض المفاتيح القديمة الصدئة وحاولت تشغيلها على قفل باب المكتب.

- لقد بقيت جالساً إلى البيانو. هل ظللت تعزف عليه؟

- كموسيقى تصويرية عذبة لصراع الحياة والموت في مكتب لويس؟ كلا، لقد توقفت عن العزف عندما تصاعد إيقاع الشجار، رغم أنه لم تكن لدي أية شكوك فيما يتعلق بنتيجته

لأن لدى لويس ما لا أستطيع وصفه إلا بأنه عين ديناميكية. إنه يستطيع - بسهولة - تحطيم إدغار بمجرد النظر إليه.  
- ومع ذلك فقد أطلق إدغار رصاصتين عليه.

هز ستيفن رأسه بنفي لطيف وقال: كان ذلك مجرد تمثيل لمشهد... كان يمتع نفسه. كانت والدتي العزيزة معتادة على فعل ذلك. لقد ماتت عندما كنت في الرابعة من عمري، ولكنني أتذكرها وهي تتفجر غضباً والمسدس بيدها إن أزعجها أي شيء، وقد فعلت ذلك في نادٍ ليلى ذات يوم وتركت آثار طلقات نارية على الجدار. كانت رامية ممتازة بالمسدس وقد سببت كثيراً من المتاعب. كانت راقصة روسية كما تعلم.

- نعم. هل لك أن تخبرني يا سيد ريستاريك: من غادر الصالة ليلة أمس عندما كنت هناك، خلال الفترة المعنية؟

- غادرها وولتر لإصلاح الكهرباء، وجوليت ييلفر للعشور على مفتاح يناسب باب المكتب. ولم يغادرها أحد آخر بخدود علمي.

- هل كنت سنتتبه لو غادرها أحد؟

فكر ستيفن لحظة ثم قال: ربما لم أكن لأنتبه، أي لو أن أحداً خرج متسللاً على رؤوس أصابعه وعاد بنفس الطريقة. كان الجو معتماً في الصالة، وكان هناك الشجار الذي كنا جميعاً نصغي إليه بكل انشداد.

- هل من أحد أنت متأكد أنه كان هناك طوال الوقت؟  
- السيدة سيروكولد... نعم، وجينا. بوسعي أن أقسم على وجودهما.

قال المفتش: شكراً يا سيد ريستاريك.

مضى ستيفن باتجاه الباب، وهناك تردد قليلاً ثم عاد قائلاً:  
ما كل ذلك الحديث عن الزرنِيخ؟

المفتش: من الذي ذكر لك الزرنِيخ؟

- أخي.

- آه، نعم.

- هل كان أحد ما يدس الزرنِيخ للسيدة سيروكولد؟

- ولماذا تذكر السيدة سيروكولد تحديداً؟

- لقد قرأت عن أعراض التسمم بالزرنِيخ. من مظاهره التهاب الأعصاب، أليس كذلك؟ إن ذلك يطابق - بشكل أو بآخر - الأعراض التي كانت تعاني منها مؤخراً، ثم جاء تدخل لويس لحظف دوائها المنشط وإبعاده عنها ليلة أمس. أهذا هو ما كان يجري هنا؟

أجاب المفتش كيري بأكثر أساليبه رسمية: القضية رهس البحث.

ستيفن: وهل تعلم هي نفسها بذلك؟

- لقد كان السيد سيروكولد حريصاً بشكل خاص على عدم... إقلاقها.

- «إقلاقها» ليست هي الكلمة الصحيحة أيها المفتش؛ فالسيدة سيروكولد لا تقلق أبداً... أهذا هو الدافع وراء مقتل كريستيان غولبراندسن؟ هل أدرك أنها كانت تُسمم؟ ولكن كيف له أن يكشف ذلك؟ على أية حال، الأمر كله يبدو غير ممكن؛ إنه أمر لا يدخل العقل.

- إنه أمر يدهشك كثيراً، أليس كذلك يا سيد ريستاريك.

- بلى، بالفعل. وعندما حدثني أليكس لم أكد أصدق الأمر.

- مَنْ تظنه يُحتمل أن يدس الزرنِيخ للسيدة سيروكولد؟

ظهرت تكشيرة خاطفة على وجه ستيفن ريستاريك الوسيم وقال: لا يمكن أن يقوم شخص عادي بذلك. تستطيع أن تستبعد الزوج؛ فليس لدى لويس سيروكولد ما يربحه من ذلك، وهو أيضاً يحب تلك المرأة حباً جارفاً ولا يستطيع تحمل وجود ألم في إصبعها الصغير.

المفتش: فمن إذن؟ هل لديك أية فكرة؟

- آوه، نعم، ويمكنني القول أنها كانت يقيناً.

- وضح من فضلك.

قال المفتش كيري وقد لاحظ قميصها القرمزي وبنطالها  
الأخضر الغامق: أرى أنك لا تلبسين السواد يا سيدة هَذَا؟

جيناً: ليست لدي أية ملابس سوداء. أعرف أن كل امرأة  
يفترض أن يكون لديها ثوب أسود ترتديه مع اللآلئ، ولكنني لا  
أملك مثل ذلك الثوب. إنني أكره اللون الأسود؛ أعتقد أنه لون  
بشع لا ينبغي أن يرتديه إلا موظفو الاستقبال ومدبرات المنازل  
ومن شابههم. وعلى أية حال فإن كريستيان غولبراندسن لم يكن  
حقاً قريباً لي؛ فهو ابن زوج جدتي.

- وأفترضُ بأنك لم تعرفه بشكل جيد، أليس كذلك؟

هرت جيناً رأسها بالنفي وقالت: لقد جاء إلى هنا ثلاث  
مرات أو أربع مرات عندما كنت طفلة، ولكنني ذهبت إلى  
أمريكا بعدها، خلال الحرب، ولم أعد هنا إلا منذ ما يقرب من  
سنة أشهر.

- هل عدت للعيش هنا أم أنت في زيارة فقط؟

- لم أفكر - حقيقةً - في الأمر.

- هل كنت في الصالة الكبرى ليلة أمس عندما ذهب  
السيد غولبراندسن إلى غرفته؟

- نعم. قال: "تصبحون على خير" وذهب. وسألته جدتي  
إن كان لديه كل ما يحتاجه فقال: "نعم"، وقال بأن جولي قد  
تولت بشكل جيد أمر كل شيء. لم تكن هذه كلماته بالضبط

هرستين رأسه وقال: إنه يقين بالمعنى النفساني، وليس  
بأية طريقة أخرى. ليس لدي دليل من أي نوع، وربما لا تنفق  
معي في ذلك.

خرج ستيفن ريستاريك من الغرفة بهدوء ورباطة جأش،  
فيما رسم المفتش كيري قطعاً على النورقة البيضاء أمامه.

كان يفكر في أمور ثلاثة:

الأول: أن ستيفن ريستاريك معتد كثيراً بنفسه.

والثاني: أن ستيفن ريستاريك وأحاه يمثلان جبهة موحدة.

والثالث: أن ستيفن ريستاريك كان رجلاً وسيماً في حين  
أن وولتر هَذَا رجل دميم.

كما تساءل مع نفسه حول أمرين آخرين، أولاً: ما الذي  
عناه ستيفن بقوله: "بالمعنى النفساني" وثانياً: هل كان ستيفن  
قد رأى جيناً من مقعده أمام البيانو؟ وظن المفتش أنه لم يرها  
على الأغلب.

\* \* \*

أدخلت جيناً معها إلى كآبة الحوِّ القوطني للمكتبة الفأ غريباً.  
حتى المفتش كيري رمش بعينه قليلاً لمرأى الشابة المتألمة التي  
جلست وانحنّت إلى الأمام فوق الطاولة قائلة بלהجة من ينطلق  
للحديث: حسناً؟

مباشرة وعودة ولتر إلى الصلاة.

- هل غادر أي شخص آخر الصلاة؟

- لا أعتقد ذلك، لا أذكر.

- أين كنت تجلسين يا سيده هُذ؟

- قرب النافذة.

- قرب الباب المؤدي إلى المكتبة؟

- نعم.

- هل غادرت أنت القاعة على الإطلاق؟

- غادرت؟ مع كل تلك الإنارة؟ بالطبع لا.

بدا من لهجة جينا وكان الفكرة قد أساءت إليها.

المفتش: أين كان يجلس الآخرون؟

جينا: أعتقد أن غالبيتهم كانوا حول الموقد. الخالة ميلدريد

كانت تنسج صوفاً وكذلك العمه جين (أعني الأنسة ماربل).

جدتي كانت جالسة فقط.

- وانسيد ستيفن ريثتاريك؟

- ستيفن؟ كان يعزف على البيانو في البداية، ولا أدري

أين ذهب فيما بعد.

- والآنسة بيليفر؟

جينا: تدور، كعادتها؛ إنها لا تجلس أبداً. كانت تبحث  
عن مفاتيح، أو شيء من هذا القبيل.

ثم قالت فجأة: ما كل هذا الحديث عن شراب جدتي؟  
هل ارتكب الصيدلي خطأ في تركيبه أم ماذا؟

- ولماذا تظنين ذلك؟

- لأن زجاجة الشراب اختفت، وجولي بيليفر تدور بحثون  
بحثاً عنها في حالة من الغضب العارم، وقد أخبرها أليكس بأن  
الشرطة قد أخذوها. فهل أخذتموها؟

وبدل الإجابة عن السؤال قال المفتش كبير: هل تقولين  
إن الأنسة بيليفر كانت منزعة؟

أجابت جينا دون مبالاة: آه! إن جولي تنذمر دائماً، فهي  
تحب التذمر والشكوى. وأتعجب - أحياناً - كيف تستطيع  
جدتي تحمل ذلك.

المفتش: سؤال أخير واحد فقط يا سيده هُذ: أليست لك  
أفكارٌ خاصة في هوية من قتل كريستيان غولبراندسن ولماذا؟

- أعتقد أن واحداً من أولئك الشاذين قد فعلها. إن قاطعي  
الطريق عاقلون فعلاً... أعني أنهم لا يهاجمون الناس إلا بهدف  
سرقة صندوق نفود أو الحصول على المال أو المجوهرات...



في وسعها لتذكر أن وولتر هُذ عاد إلى الصلاة الكبرى قبل أن تُسمع تلك الطلقة.

ليك: الأمر الذي يقول الآخرون جميعاً بأنه ليس كذلك؟

المفتش: بالضبط.

ليك: كما أنها لم تشر إلى مغادرة الأنسة بيلغر للصلاة للبحث عن مفاتيح.

المفتش: لا، لم تشر لذلك...

\* \* \*

وليس لمجرد المتعة. ولكن واحداً من أولئك الشاذين غريسي الأطوار (أي الذين يسمونهم غير قادرين على التكيف ذهنياً وعقلياً) يمكن أن يقدم على ذلك لمجرد المتعة والتسلية، ألا تعتقد ذلك؟ لأنني لا أستطيع أن أرى سبباً لقتل العم كريستيان عدا المتعة والتسلية، أليس كذلك؟ إنني لا أعني التسلية بالضبط، ولكن...

- ألا تستطيعين التفكير بدافع ما؟

- بلى، هذا ما أعنيه؛ فهو لم يسرق أو ينهب، أليس كذلك؟

المفتش: ولكنك تعرفين يا سيده هُذ بأن مياي الكلية مغلقة ومحاطة بقضبان ولا يمكن لأحد أن يخرج من هناك دون إذن.

ضحكت جينا بانتهاج وقالت: وهل تصدق ذلك؟ إن بوسع أولئك الصبيان أن يخرجوا من أي مكان؛ لقد علموني كثيراً من الحيل!

عندما غادرت جينا قال الرقيب ليك: إنها امرأة حيوية، لأول مرة أراها عن قرب.

رماه المفتش كيري بنظرة باردة، فقال الرقيب ليك بسرعة بأنها كانت شابة مرحة وأضاف: يبدو أنها وجدت متعة في الأمر كله، إذا صح التعبير.

قال المفتش: سواء كان ستيفن ريستاريك مصيباً أو محظناً بخصوص قرب انفصام زواجها، فقد لاحظت أنها بذلت كل ما

## الفصل الرابع عشر

كانت السيدة ستريت ملائمةً لطراز وجو المكتبة أكثر بكثير مما كانت حيننا هذ. فلم يكن في السيدة ستريت أي شيء غريب أو محلوب. كانت ترتدي السواد، مع دبوس زينة من العقيق، وتضع فوق شعرها الأشيب المصفف بعناية شبكة شعر.

وفكر المفتش كيري: إنها تبدو تماماً كأرملة أستاذ جامعي، الأمر الذي لا يخلو من غرابة، لأن القليل جداً من الناس كانوا يظهرون بمثل ما هم عليه حقاً... وفوق ذلك بدا واضحاً أنها كانت تشعر بالإهانة.

قالت ميلدريد ستريت: ظننت أنه كان بوسعك أيها المفتش أن تعطيني فكرة ما عن الموعد الذي تحتاجني فيه، فلقد اضطرت للجلوس على انتظار طوال الصباح.

وفكر كيري بأن شعورها بالأهمية هو الذي جرح، ولذلك سارع ليضع بلسماً على الجرح: إنني آسف جداً يا سيدة ستريت. ربما لا تكونين ملمة تماماً بالطريقة التي تجري بها هذه الأمور؛

فنحن نبدأ - كما تعلمين - بالشهادات الأقل أهمية، لكي تنتهي منها إذا صح التعبير. من المهم أن تُبقي حتى النهاية شخصاً نستطيع الاعتماد على رأيه ومحاكمته العقلية؛ شخصاً يكون مراقباً جيداً نستطيع به أن نختبر قيمة ما قيل لنا سابقاً.

لانت السيدة ستريت بشكل ملحوظ وقالت: آه، فهمت. لم أدرك تماماً...

قال المفتش: أنت الآن امرأة ذات عقل راجح ناضج يا سيدة ستريت، وقد عرثك التجارب. ثم إن هذا البيت هو بيتك، فأنت ابنة هذا البيت، ويوسعك أن تخبريني بكل شيء عن الناس الذين يسكنونه.

- أستطيع القيام بذلك بالتأكيد.

- وهكذا ترين أننا عندما نأتي إلى السؤال عن قتل السيد غولبراندسن فإنك تستطيعين أن تساعدنا كثيراً.

- ولكن، هل من سؤال؟ أليس واضحاً تماماً من الذي قتل أخي؟

استند المفتش كبير في مقعده إلى الخلف، ونقرت يده على شاربه الصغير المنتظم وقال: حسناً.. علينا أن نكون حذرين دقيقين. هل تعتقدين بأن الأمر واضح؟

- طبعاً، إنه ذلك الأمريكي الفظيع زوج المسكينة جينا؛ إنه الغريب الوحيد هنا، ونحن لا نعرف عنه شيئاً على الإطلاق.

ربما كان واحداً من رجال العصابات الأمريكية المخيفة تلك.

- ولكن ذلك لا يفسر تماماً أو يبرر إقدامه على قتل كريستيان غولبراندسن، أليس كذلك؟ فلماذا يقتله؟

- لأن كريستيان كشف شيئاً ما عنه؛ ولهذا السبب جاء هنا بهذه السرعة بعد زيارته الأخيرة.

- أأنت واثقة من ذلك يا سيدة ستريت؟

- مرة أخرى يبدو لي الأمر واضحاً تماماً. لقد أثار كريستيان انطباعاً بأن زيارته كانت ذات علاقة بمجلس الوصاية، ولكن ذلك كان مجرد هراء؛ فلم يمر على وجوده هنا لهذا الغرض غير شهر واحد، ولم يحدث أي تطور ذي أهمية منذ ذلك الحين، ولذلك لا بد أنه قد أتى في قضية خاصة. كان قد رأى وولتر في زيارته الأخيرة، وربما كان قد مثيره، ولعله قام بتحريرات عنه في الولايات المتحدة (فلديه - بالطبع - عملاء في كل أنحاء العالم)، وربما عرف نتيجة تلك التحريات شيئاً مؤذياً حقاً. إن حينما فتاة طائشة جداً، وقد كانت دوماً كذلك، وليس غريباً أبداً عليها أن تتزوج رجلاً لا تعرف عنه شيئاً... لقد كانت دوماً مجنونة بالرجال! ربما كان رجلاً مطلوباً للشرطة، أو متزوجاً بالأساس، أو ربما شخصية سيئة من عالم الجريمة والانحراف. ولكن أخي كريستيان لم يكن رجلاً يسهل خداعه، وأنا واثقة أنه جاء إلى هنا ليسوي الأمر كله ويكشف وولتر على حقيقته أمام الآخرين، ونتيجة لذلك - طبعاً - قتله وولتر.

- وقد أعطاه ذلك العذر للخروج. تبع غولبراندسن إلى غرفته فأطلق عليه النار، ثم أصلح المس الكهربائي وعاد إلى الصلاة.

- تقول زوجته بأنه عاد قبل أن تسمعوا الطلقة من الخارج.

- ليس صحيحاً أبداً! إن جينا مستعدة لقول أي شيء؛ فالإيطاليون لا يصدّقون أبداً!

تجاوز المفتش كيري الجانب القومي من الموضوع وقال: أتعتقدين أن زوجته متورطة معه في الأمر؟

ترددت ميلدريد لحظة ثم قالت: لا، لا... لا أظن ذلك.

بدت وكأنها آسفة بعض الشيء لأنها لا تظن ذلك، ثم مضت قائلة: ربما كان ذلك جزءاً من الدفاع وراء الجريمة... لمنع جينا من معرفة الحقيقة عنه. إذ أن جينا هي في نهاية المطاف لقمة عيشه.

المفتش: وفتاة جميلة جداً فوق ذلك.

- آه، نعم. لقد قلت دوماً: "إن جينا حسنة الشكل". وهو نوع شائع جداً في إيطاليا بالطبع. ولكن، إن أردت رأيي، المائل هو ما يسمى وولتر هُدْ خلفه، ولذلك جاء إلى هنا واستقر ليعيش على حساب أسرة سيروكولد.

- السيدة هُدْ غنية تماماً كما فهمت، أليس كذلك؟

قال المفتش كيري وهو يرسم شاربين طويلين لإحدى القطط على الورقة المُخبّرة أمامه: نعم.

- ألا تتفق معي في أن ذلك هو ما حدث بالضرورة؟

- ربما كان ذلك... نعم.

- وهل يوجد تفسير آخر؟ ليس لكريستيان أي أعداء. إن ما لا أفهمه هو: لماذا لم تُلقِ القبض على وولتر حتى الآن؟

- حسناً، أنت تعلمين - يا سيدة ستريت - أن علينا أن نجد دليلاً.

- ربما كان بوسعك أن تحصل على ذلك بكل سهولة إن أبرت إلى الولايات المتحدة...

- آه! نعم، سوف نجمع معلومات حول السيد وولتر هُدْ... لك أن تتأكدي من ذلك. ولكننا -إلى أن نستطيع إثبات وجود دافع للقتل- يلزمنا كثير مما يمكن أن ننطلق منه. نحن نعلم عن الفرصة التي كانت ممكنة بالنسبة له طبعاً...

- لقد خرج بعد كريستيان تماماً مدعياً أن الأضواء أصابها مس كهزباتي...

- ولكن المس أصابها فعلاً.

- يستطيع أن يرتب ذلك بسهولة.

- صحيح.

- آه، نعم... بهذا المعنى نعم. ستكون أموالني بشكل نهائي.  
شيء ما في رنة تلك الكلمة الأخيرة جعل المفتش كبير يرفع رأسه بحدّة. لم تكن السيدة ستريت تنظر إليه. كانت عيناها تشعان، وكان فمها الطويل النحيل ملتويّاً في ابتسامة انتصار.

قال المفتش بصوت تأملي: من وجهة نظرك إذن (وأنت لديك بالطبع فرص وافرة للتقييم والحكم) أن السيد وولتر هُذُ يريد الأموال التي ستؤول إلى زوجته عندما تموت السيدة سيرو كولد. بالمناسبة، إن السيدة سيرو كولد ليست قوية جداً، أليس كذلك يا سيدة ستريت؟

- لقد كانت أمي دوماً امرأة «ناعمة».

- هذا صحيح. ولكن الأشخاص الناعمين غالباً ما يعيشون فترات بطول الفترات التي يعيشها الأشخاص الأقوياء الأشداء (أو حتى فترات أطول منهم).

- نعم، أحسب أنهم كذلك.

- ألم تلاحظي تدهوراً في صحة والدتك مؤخراً؟

- إنها تعاني من الروماتيزم. ولكن لا بد للمرء أن يعاني من شيء عندما يكبر. إنني لا أتعاطف مع أولئك الذين يضحون بالشكوى من الآلام والأوجاع الحتمية.

- هل تضح السيدة سيرو كولد بالشكوى؟

- لم تعد كذلك حالياً. لقد أوصى والدي لولادة جينا بنفس المبلغ الذي أوصى به لي، ولكنها اكتسبت حسنة زوجها (وأعتقد أن القانون قد تغير الآن) وبسبب الحرب، وبسبب كونه فاشياً، فلم يعد لدينا إلا القليل من المال. إن والدتي تفسدها بالدلال، وخالتها الأمريكية (السيدة فان رينوك) أنفقت عليها مبالغ خيالية واشترت لها كل ما تريده خلال سنوات الحرب. ومع ذلك - من وجهة نظر وولتر - فلا يستطيع أن يضع يده على الكثير من المال حتى تموت والدتي، حيث تؤول ثروة هائلة جداً إلى جينا.

- ولك أيضاً يا سيدة ستريت.

صعد لون باهت إلى وجنتي ميلديريد ستريت وقالت: ونسي أيضاً، كما تقول. لقد عشت أنا وزوجي دوماً بشكل هادئ. كان لا ينفق إلا قليلاً جداً من المال، إلا الكتب؛ فقد كان عالماً عظيماً. أما أموالها الخاصة فقد تضاعفت تقريباً، وهي أكثر من كافية لحاجاتي البسيطة. ومع ذلك يستطيع المرء دوماً أن يستخدم المال لمنفعة الآخرين... إنني سأعتبر أية أموال تأتي من أمانة مقدسة.

- ولكنها لن تكون تحت وصاية؟

قال المفتش ذلك متصنعاً سوء الفهم قصداً، ثم قال مفسراً: أي أنها ستؤول إليك بشكل نهائي.

بأخر. ومنذ ذلك الحين أصبحت عائلة على هذا البيت. آه! نعم.  
إن لدينا في هذا البيت كثيراً من الطفيليين... أستطيع أن أؤكد  
لك ذلك.

- لقد كانت لدى أليكس ريسناريك فرصة لقتل كريستيان  
غولبراندسن؛ فقد كان في سيارته وحيداً يقودها من البوابة  
الخارجية إلى المنزل، ولكن ماذا عن ستيفن؟

- ستيفن كان معنا في الصلاة. إن رأيي في أليكس ليس  
جيداً، فهو يبدو خشناً قاسياً أكثر فأكثر، وأتخيل أنه يعيش حياة  
غير سوية، ولكنني لا أرى فيه قاتلاً في الواقع. وفوق ذلك، لماذا  
عساه يقتل أخي؟

- هذا هو السؤال الذي نعود إليه دوماً؛ أليس كذلك؟ ما  
الذي كان كريستيان غولبراندسن يعرفه - عن شخص ما - ليصبح  
ضرورياً لذلك الشخص أن يقتله؟

أجابت السيدة ستريت بلهجة انتصار: بالضبط، لا بد أن  
يكون وولتر هُد.

المفتش: ما لم يكن الفاعل شخصاً أكثر قرباً لهذا البيت.  
قالت ميلدريد بحدة: ما الذي تعنيه بذلك؟

أجابها المفتش كبري بهدوء: لقد بدا السيد غولبراندسن  
قلقاً جداً على صحة السيدة سيروكولد عندما كان هنا.

قطبت ميلدريد حاجبها وقالت: الرجال دائماً يشكون

سكنت ميلدريد ستريت للخطوات، ثم قالت أخيراً: إنها لا  
تشكو هي شخصياً، ولكنها اعتادت على أن يضح الآخرون  
بالشكوى عنها. إن زوج والدتي دائم القلق إلى حد الوسوسة،  
وفيما يخص الأتنة بيليفر فإنها تجعل من نفسها امرأة سخيصة  
بكامل إرادتها... وفي كل الأحوال فإن للأتنة بيليفر تأثيراً سيئاً  
جداً في هذا البيت. لقد جاءت إلى هنا منذ سنوات طويلة، وإن  
تعلقها وحبها لوالدتي - رغم كونه مثار إعجاب بحد ذاته - قد  
أصبح نوعاً من البلاء - إنها تمارس - حرفياً - دور الطاغية على  
والدتي، وهي تدبر المنزل برمته، وتأخذ الكثير جداً من الأمور  
على عاتقها الخاص. وأظن أن ذلك يزعج السيد سيروكولد  
أحياناً، ولن يدهشني أبداً أن أراه يصرفها ذات يوم. ليس لديها  
أي ذوق أو لباقة... لا لباقة لديها أبداً! وإنه لمن المزعج للرجل  
أن يحد امرأته وقد سيطرت عليها تماماً امرأة ديكتاتورية.

هز المفتش رأسه بلطف موافقاً وقال: "نعم... نعم". ثم  
راقبها بتأمل، وقال: بقي أمر واحد لم أستوعبه تماماً يا سيدة  
ستريت... موقع الأخوين ريسناريك هنا.

- زيادة في العواطف السخيفة. لقد تزوج والدهم أمسي  
المسكينة من أجل مالها، وبعد سنتين هرب مع مغنية يوغسلافية  
أحط ما تكون خلقت. كان شخصاً نافعاً جداً، وكانت والدتي  
من رقة القلب بحيث شعرت بالأسف لهذين الصبيين. ربما أنه  
كان من المستحيل أن يقضيا فترات عطلتهما مع امرأة بمثل  
تلك الأخلاق السيئة، فقد عمدت أمي إلى تبنيهما بشكل أو

ويتدمرون بشأن أُمي لأنها تبدو ضعيفة هشة، وأظنها تحب ذلك التدمر منهم! وإن لم يكن الأمر كذلك فهذا يعني أن كريستيان كان يصغي لما تقوله حوليت بيليفر.

المفتش: أليس قلقة -أنت شخصياً- على صحة والدتك يا سيدة ستريت؟

- لا، وآمل أن أكون عقلانية في تفكيري. من الطبيعي أن أُمي ليست شابة...

- والموت سيأتينا جميعاً... ولكن ليس قبل مواعده المحدد. هذا ما يجب علينا أن نمنعه.

كان يتكلم بشكل يحمل مغزى، وانفجرت ميلدريد في حيوية مفاجئة: آه، إن ذلك شرير... أمر شرير. لا أحد غيري هنا يبدو مهتماً. ولماذا يهتمون؟ فانا الشخص الوحيد الذي يملك قرابة دم مع كريستيان. فبالنسبة لأُمي لم يكن إلا ابناً كبيراً لزوجها، وبالنسبة لجينا لم يكن حقاً قريباً على الإطلاق... ولكنه كان أخي أنا.

المفتش: أحاك غير الشقيق.

- غير الشقيق، نعم. ولكننا كنا كلانا من عائلة غولبراندسن رغم الفارق في السن.

قال المفتش بلطف: نعم، نعم. إنني أدرك ما ترمين إليه...

مشت ميلدريد بجارحةٍ والدموع في عينيها. نظر المفتش

كيري إلى ليك وقال: إنها متأكدة -إذن- بأنه كان وولتر هذ. لا تستطيع أن تفكر لحظةً واحدةً بشخص آخر.

ليك: وربما كانت على حق في ذلك.

المفتش: بالتأكيد، لأن وولتر ملائم للوضع، يتوفر لديه الدافع والفرصة. لقد كان يريد مالاً بسرعة، فيجب أن تموت والدة زوجته. وهكذا بعث وولتر بدوائها المنشط، ويراه كريستيان غولبراندسن يفعل ذلك، أو يسمع بذلك بطريقة ما. نعم، الأمر متناسق بشكل رائع.

ثم توقف قليلاً وقال: بالمناسبة، إن ميلدريد ستريت تحب المال... ربما لا تكون ممن ينفقونه، ولكنها تحبه. لست متأكداً من السبب. ربما كانت بخيلة، ولديها حب البخيل للمال. أو ربما كانت تحب السلطة التي يعطيها المال لصاحبه. أم يكون المال من أجل الخير؟ ربما، فهي من عائلة غولبراندسن. ربما كانت تريد مجازاة أبيها.

قال الرقيب ليك وهو يحك رأسه: أمر معقد، أليس كذلك؟

المفتش: من الأفضل أن نرى ذلك الشاب المعتوه لاوسن، وبعد ذلك نذهب إلى الصالة الكبرى ونرى أين كان موقع كل فرد وكيف ولماذا ومتى... لقد سمعنا ملاحظة أو ملاحظتين مثيرتين هذا الصباح.

\* \* \*

فكر المفتش كيري... كان صعباً جداً الحصول على تقويم صادق لشخص ما مما يقوله الآخرون عنه.

لقد وصف أشخاصٌ عديرون مختلفون إدغار لاوسن في ذلك الصباح، ولكن انطباعات كيري -وهو ينظر إليه الآن- كانت مختلفة إلى حدٍ يكاد يبعث على السخرية.

لم يثر إدغار لديه انطباعاً بأنه «غريب الأطوار» أو «خطير» أو «متفطر» أو حتى «غير طبيعي». بدا شامهاً عادياً تماماً، كئيباً مغموماً وفي حالة من الخنوع الشديد. بدا صغيراً ومُبتدئاً قليلاً ومثيراً للشفقة بعض الشيء.

كان متلهفاً جداً على الحديث والاعتذار: أعرف أنني ارتكبت خطأ جسيماً. لا أدري ماذا انتابني! إنني حقاً لا أدري ما الذي دفعني لأقوم بذلك المشهد، وأبرز مثل ذلك الشجار، وأطلق النار من مسدس... وعلى السيد سيروكولد أيضاً، الرجل الذي كان في غاية الكرم معي، وفي غاية الصبر أيضاً.

لوى وفرك راحتيه بعصبية. كانت راحته تثيران الشفقة بعض الشيء، برسغهما الكبيرين الناتين.

إدغار: إن كان علي أن أحاكم على فعلتي فأنا مستعد للذهاب معك فوراً؛ فأنا أستحق ذلك، وسأعترف بذنبي.

قال المفتش كيري بسرعة وحسم: لم توجه لك أية تهمة، ولذلك فليس لدينا أي دليل نبي عليه. وبناءً على شهادة السيد

سيروكولد فإن انطلاق النار من المسدس كان أمراً حدث عرضياً.

إدغار: ذلك لأنه طيب جداً. لم يوجد أبداً رجل بطيبة السيد سيروكولد! لقد فعل كل شيء من أجلي، وذهبت أنا لأرد الحميل بالتصرف على ذلك النحو.

- ما الذي جعلك تتصرف كما تصرفت؟

بدا إدغار مُحرجاً وقال: لقد جعلت من نفسي أبه.

قال المفتش كيري بحفاة: هكذا يبدو. لقد أخبرت السيد سيروكولد -بوجود شهود- بأنك عرفت أنه أبوك. فهل كان ذلك صحيحاً؟

- كلا، لم يكن صحيحاً.

- ما الذي وضع تلك الفكرة في رأسك؟ هل أشار بها أحد عليك؟

- حسناً، الأمر يصعب شرحه بعض الشيء.

نظر إليه المفتش كيري بإمعانٍ متفكراً، ثم قال بصوت لطيف: لماذا لا تجرب شرحه؟ نحن لا نريد أن نصعب الأمور عليك.

إدغار: حسناً، لقد عانيت أوقاتاً عصبية في طفولتي من هذا الموضوع. كان الصبية الآخرون يسخرون مني لأنني لم أكن أمتلك أباً ويقولون إنني لقيطٌ صغير، الأمر الذي كان صحيحاً



مضى إدغار قائلاً: وفي النهاية خلّصني السيد سيروكولد تماماً وجاء بي إلى هنا. قال إنه كان بحاجة إلى سكرتير يساعده، وقد ساعدته... ساعدته بالفعل. إلا أن الآخرين ضحكوا مني... كانوا دوماً يضحكون مني.

المفتش: أيهم؟ السيدة سيروكولد؟

- لا، ليس السيدة سيروكولد. إنها سيدة حقّة، وهي دائماً رقيقة لطيفة. ولكن جينا عاملتني بكل احتقار، وستيفن ريستاريك أيضاً، والسيدة ستريت اذدرتني لأنني لست سيّداً محترماً، وكذلك فعلت الأتسة بيليفر. ومن هي الأتسة بيليفر؟ إنها مجرد مرافقة مدفوعة الأجر، أليس كذلك؟

لاحظ كيري علامات تصاعد الانفعال، وقال: إذن فأنت لم تحدد منهم كثيراً من التعاطف؟

أجاب إدغار بانفعال: لقد كان ذلك بسبب كوني لقيطاً. لو كان لدي أبٌ محترم لما مضوا في موقفهم هذا.

- ولذلك انتحلّت لك بعض الآباء المشهورين.

احمر وجه إدغار وتمتم قائلاً: إنني أبدر دوماً وكأنتي اعتدت الكذب.

- وأخيراً قلت إن السيد سيروكولد أبوك. لماذا؟

- لأن ذلك يوقّهم عند حدّهم نهائياً، أليس كذلك؟ لو

بالتعب. والدتي كانت مخمورة دائماً، وكان يأتيها الرجال طوال الوقت، وكان والدي بحاراً أجنبياً كما اعتقد. كان البيت قدراً دائماً، وأصبح عليّ جميعاً لا يطاق. بعد ذلك بدأت أفكر، مفترضاً أن والدي لم يكن مجرد بحار أجنبي، بل شخص مرموق... ثم اعتدت تليفق قصة أو قصتين. قصص طفولية في البداية، من قبيل تبديل الأطفال عند ولادتهم، أو أنني الورث الحقيقي، وما إلى ذلك. ثم التحقت بعدها بمدرسة جديدة، وجرّبت بعض الأحيان أن ألمح إلى بعض الأمور. قلت إن والدي كان في الواقع أميراً في البحرية، وقد أخذت أصدق ذلك أيضاً، ولم أشعر وقتها بأية إساءة.

توقف قليلاً ثم مضى قائلاً: ثم ابتكرت - فيما بعد - بعض الأفكار الأخرى. أصبحت أقيم في الفنادق وأروي كثيراً من القصص السخيفة حول كوني طياراً مقاتلاً، أو كوني عضواً في الاستخبارات العسكرية. واحتلّظت عليّ جميع أنواع القصص والروايات، وبدا أنني غير قادر على التوقف عن الكذب. إلا أنني لم أحاول حقاً الحصول على الأموال من هذا الطريق. كان ذلك مجرد تبيح من شأنه أن يجعل الناس يزدون من تقديرهم لي. لم أرغب أن أكون غشاشاً، ويمكن للسيد سيروكولد أن يخبرك بذلك، والدكتور مانيريك أيضاً... إن لديهما كل المعلومات عن ذلك.

هز المفتش كيري رأسه موافقاً، إذ كان قد درس مسبقاً حالة إدغار المرضية وسجله لدى الشرطة.

كان هو والدي لما استطاعوا أن يفعلوا شيئاً بي.

- نعم، ولكنك اتهمته بأنه عدوك، وبأنه اضطهدك.

قال إدغار: "أعرف..."، ثم حكَّ جبينه وقال: لقد اختلطت عليّ الأمور بشكل خاطئ. أحياناً لا أستطيع... لا أستطيع فهم الأمور بشكل صحيح تماماً ويصيبني الارتباك.

- وذهبت فأخذت المسدس من غرفة السيد هذ؟

بدا إدغار حائراً وقال: صحيح؟ هل حصلت عليه من هناك؟

- ألا تتذكر من أين حصلت عليه؟

- أردت أن أهدد السيد سيروكولد به، أردت أن أخيفه. كان ذلك عملاً صيبانياً مرة أخرى.

قال المفتش كيري متذرعاً بالصبر: كيف حصلت على المسدس؟

إدغار: لقد قلتَ ذلك لتوك... من غرفة ولتر.

- هل تتذكر الآن قيامك بذلك؟

- لا بد أنني حصلت عليه من غرفته، فلم يكن ممكناً أن أحصل عليه بأية طريقة أخرى، أليس كذلك؟

- لا أدري. ربما يكون أحد ما قد أعطاك إياه؟

كان إدغار صامتاً، ووجهه صفحة بيضاء.

كرر المفتش سؤاله: أهكذا حصل الأمر؟

قال إدغار بانفعال: لا أذكر. كنت مهتماً جداً. تحولت في الحقيقة ينهشي غضب عارم، وفلنستُ أن الناس كانوا يتجسسون عليّ ويراقبونني ويحاولون الإيقاع بي. وحتى تلك المرأة العجوز اللطيفة ذات الشعر الأبيض... لا أستطيع أن أفهم الأمر كله الآن. إنني أشعر أنني كنت بلا شك مجنوناً. إنني لا أتذكر أين كنت وماذا كنت أفعل شرطاً من ذلك الوقت!

- ولكنك تتذكر بالتأكيد من هو الذي أخبرك بأن السيد سيروكولد هو أبوك؟

أبدى إدغار نفس تحديقته الحافية من أي تعبير ثم قال بحفاء: لم يخبرني أحد... كانت مجرد فكرة خطرت لي.

تنهد المفتش كيري. لم يكن مقتنعاً أو راضياً، ولكنه ظن أنه لن يستطيع تحقيق مزيد من التقدم في الوقت الحاضر. وأخيراً قال: حسناً، انتبه لتصرفاتك في المستقبل.

إدغار: نعم يا سيدي. نعم، سأنتبه بالفعل.

وعندما خرج إدغار هز المفتش كيري رأسه ببطء وقال: هذه الحالة المرضية فظيعة!

ليك: هل تظن أنه مجنون يا سيدي؟

المفتش: أقل جنوناً بكثير مما تخيلته. ربما كان ضعيف العقل، متبحراً، كذاباً.. ولكن فيه - مع ذلك - شيئاً من البساطة اللطيفة. يحيل إليّ أنه يتأثر كثيراً بإبحاث الآخريين...

- أعتقد أن أحداً أوحى له بأشياء معينة؟

- آه، نعم. لقد كانت الأنسة المحجوزة ماربل محقة في ذلك؛ إنها عجوز ذكية داهية. ولكنني أتمنى لو أعرف من هو. لم يستطع إخبارنا. لو أننا فقط عرفنا ذلك... هيا يا ليك، لننقسم بإعادة بناء للمشهد كله في الصلاة.

\* \* \*

كان المفتش كيري يجلس إلى البيانو فيما جلس الرقيب ليك على كرسي قرب النافذة التي تطل على البحيرة، ومضى المفتش قائلاً: إذا درت نصف دورة على كرسي البيانو لأرتب باب المكتب فإنني لا أستطيع رؤيتك.

نهض الرقيب ليك بهدوء واتجه بهدوء أيضاً عبر الباب المفضي إلى المكتبة.

قال المفتش: هذا الجانب من الغرفة كان كله معتمساً. المصاييح الوحيدة التي كانت مضية هي تلك التي بجانب باب المكتب. كلا يا ليك، إنني لم أرك تخرج. ما أن تصبح في المكتبة حتى تستطيع أن تخرج من بابها الآخر إلى الممر وتقضي

دقيقتين تركض فيهما إلى جناح الضيوف لتطلق النار على غولبراندسن وتعود من خلال باب المكتبة إلى كرسيك قرب النافذة. النساء اللاتي يجلسن قرب الموقد تكون ظهورهن موجهة صوبك. كانت السيدة سيروكولد جالسة هنا... عن يمين الموقد، قرب باب المكتب. وقد اتفق الجميع على أنها لم تتحرك، وهي الوحيدة التي تجلس على حط الرؤية المباشرة. الأنسة ماربل كانت هنا، وكانت تنظر إلى المكتب عابرة بنظرها السيدة سيروكولد. ميلدريد كانت عن يسار الموقد، قريبة من الباب الذي يفضي إلى الممر والمساحة الخارجية، وهي زاوية معتمة جداً. كان بوسعها أن تخرج وتعود. نعم، ذلك ممكن.

فحاة كشر كيري وقال: وأنا أيضاً أستطيع الخروج.

ثم تسلل تاركاً الكرسي الدوار الخاص بالبيانو، ومشى جانبياً قرب الجدار ثم من الباب ثم قال: الشخص الوحيد الذي كان بوسعها أن يلاحظ أنني لم أعد أمام البيانو سيكون جينا هـد. وأنت تذكر ما الذي قالته جينا: "كان ستيفن يعزف على البيانو في البداية. ولا أدري أين كان فيما بعد!"

ليك: إذن فهل تعتقد أنه ستيفن؟

- لا أدري من هو. إنه لم يكن إدغار لاونس أو لويس سيروكولد أو السيدة سيروكولد أو الأنسة جين ماربل، أما بالنسبة للآخرين...

ثم تنهد وقال: ربما كان الأمريكي، فتلك الأضواء التي

أصابها المس الكهربي توحى بأنها كانت أكثر ملاءمة من أن تكون صدفة، ورغم ذلك فإن هذا الأمر لا يشكل دليلاً. أتدري؟ لقد أحبيت ذلك الشاب بعض الشيء.

حدق بتأمل في بعض المؤلفات الموسيقية الموضوعة على جانب البيانو وقال: «هنديمت؟ من هو هذا الرجل؟ لم أسمع به أبداً. «شوستاكوفيتش»! أية أسماء لهؤلاء الموسيقيين!

ثم نهض ونظر إلى حاملة النوتات الموسيقية التي كانت قديمة الطراز، ثم رفع غطاءها قائلاً: ها هي الموسيقى الحقيقية القديمة. معروفة «لارغو» لهاندل، و«تدريبات» للموسيقار تشيرني. أغلب هذه المقطوعات تعود إلى عهد غولبراندسن العجوز. وهذه مقطوعة «أعرف حديقة رائعة» التي كنت أسمعها عندما كنت صغيراً...

ثم توقف وأوراق الأغنية الصفراء في يده، فقد كان يوجد تحت الأوراق، على «مقدمات شوبان»، مسدس آلي صغير.

هتف الرقيب ليك فرحاً: ستيفن ريبستريك؟

حذره المفتش كيري قائلاً: لا تفقس بسرعة إلى الشانج، أراهن بعشرة مقابل واحد أن ذلك هو ما يراد لنا أن نعتقده.

\* \* \*

## الفصل الخامس عشر

صعدت الأنسة ماربل الدرج وقرعت باب غرفة نوم السيدة سيروكولد.

الآنسة ماربل: هل لي أن أدخل يا كاري لويز؟

كاري لويز: طبعاً يا عزيزتي جين.

كانت كاري لويز جالسة أمام طاولة الزينة تسرح شعرها الفضي. التفتت وقالت: أهنم الشرطة؟ سأكون جاهزة خلال دقائق.

- أأنت على ما يرام؟

- نعم، بالطبع. لقد أصرت جولي أن أتناول الإفطار في السرير، وقد دخلت جينا الغرفة حاملة صينية الإفطار وهي تمشي على رؤوس أصابعها كما لو أنني كنت على عتبة الموت! لا أفطن أن الناس يدركون أن صدمة كوارث - من قبيل موت كريستيان - يكون وقعها أقل بكثير على الشخص العجوز، ذلك أن المسرء يعرف في مثل هذا العمر كيفية وقوع أي حدث.. ويعرف كم

هي قليلة حقاً أهمية أي شيء يحدث في هذه الدنيا.

قالت الأنسة ماربل ببطء وارتباب: نعم.

كارى لويز: ألا تشعرين بمثل هذا الشعور يا جين؟ أعتقد أنك تشعرين بذلك.

أجابت الأنسة ماربل بحذر: ولكن كريستيان مات قتلاً.

- نعم... أعرف ما تعنين. أعتقدين أن ذلك بهم فعلاً؟

- ألا تعتقدين أنت ذلك؟

أجابت كارى لويز ببساطة: إنه لا يهم بالنسبة لكريستيان. ولكنه بهم طبعاً لمن قتله، كائناً من كان.

- هل لديك أية فكرة عن من قتله؟

هزت كارى لويز رأسها بالنفي بأسلوب منذهل وقالت: لا، ليست لدي فكرة على الإطلاق، حتى أنني لا أستطيع العثور على سبب لذلك. لا بد أن للحريمة علاقة بوجوده هنا في وقت سابق، قبل شهر تماماً من الآن. لأنه لو لم يكن الأمر كذلك، لما كان سيعود فحاة دون سبب معين. كائناً ما كان السبب فإنه قد بدأ -دون شك- آنذاك. لقد فكرت وفكرت، ولكنني لا أستطيع تذكر أي شيء غير عادي. كان في البيت آنذاك نفس الأشخاص الموجودين الآن. نعم، أليكنس كان قد جاء من لندن في ذلك التاريخ تقريباً. آه، نعم، وروث كانت هنا.

الآنسة ماربل: روث؟!

كارى لويز: في زيارتها القصيرة المعتادة.

- روث...

قالتا الآنسة ماربل ثانية، وعقلها ينشط بالتفكير. كريستيان غولبراندسن وروث؟ روث أتت إلى هنا قلقة خائفة، ولكنها لم تعرف لماذا. أقصى ما استطاعت قوله هو أن شيئاً ما لم يكن على ما يرام. لقد عرف كريستيان غولبراندسن شيئاً، أو شك في شيء لم تعرفه روث أو لم تشك فيه. لقد عرف أو شك بأن أحداً ما كان يحاول تسميم كارى لويز. كيف أتيت لكريستيان غولبراندسن أن يولي تفكيره لتلك الشكوك؟ ما الذي رآه أو سمعه؟ هل كان ذلك شيئاً رآه روث أيضاً أو سمعته وفشلت في تقدير أهميته الحقيقية؟ تمنيت الآنسة ماربل لو أنها كانت تعرف ما هو ذلك الشيء. إن إحساسها الداخلي المبهم بأن ذلك الشيء -كائناً ما كان- له علاقة بإدغار لاوسن بدا أمراً مستبعداً؛ إذ أن روث لم تذكر ذلك الشاب.

تنهدت. وقالت كارى لويز: إنكم جميعاً تحفون أمراً ما عني، أليس كذلك؟

جفلت الآنسة ماربل قليلاً وهي تسمع صوت كارى لويز الهادئ، ثم قالت: لماذا تقولين ذلك؟

كارى لويز: لأن ذلك هو ما تفعلونه جميعاً ما عدا جولي.

الآنسة ماربل: ما الذي تفكرين فيه يا كاري لويز؟

ابتسمت كاري لويز وبدت وكأنها عائدة من ذكريات بعيدة جداً، وقالت: كنت أفكر في جينا وفيما قلتي عن ستيفن ريسটারيك. إن جينا فتاة عزيزة كما تعلمين، وهي حقاً تحب وولتر، وأنا واثقة من ذلك.

لم تقل الآنسة ماربل شيئاً.

- إن فتياتٍ مثل جينا يجب أن يمرحن ويتسلين.

كانت كاري لويز تتحدث بصوت يوشك أن يحاكي مرافعة المحامين. ومضت قائلة: إنهن شابات، وهن يجيبن الشعور بقوتهن ونفوذهن. إنه أمر طبيعي، بالفعل. أعرف أن وولتر هُذِلَ ليس من ذلك النوع من الرجال الذين تخيلنا أن جينا ستتزوج أحدهم، وهي لم تكن -في الأحوال الطبيعية- لتلتقي به. ولكنها التقت به بالفعل، وأحبته، ويُفترض أنها تعرف شؤونها الخاصة أكثر من الآخرين.

الآنسة ماربل: ربما.

- ولكن من الضروري جداً أن تكون جينا سعيدة.

نظرت الآنسة ماربل باستغراب إلى صديقتها وقالت: أظن أن من الضروري أن يكون كل إنسان سعيداً.

- آه، نعم. ولكن جينا حالة خاصة جداً. فعندما تبتينا أمها،

حتى لويس يفعل ذلك. لقد دخل وأنا أتناول إفطاري وتصرف بشكل غريب جداً. شرب بعضاً من قهوتي، بل إنه تناول قطعة خبز محمص ومرى، وهذا الأمر ليس أبداً من عاداته؛ لأنه يشرب الشاي دائماً، وهو لا يحب العربي، ولذلك فلا بد أنه كان يفكر في أمر آخر، وأظن أنه لا بد نسي تناول إفطاره الخاص. إنه ينسى بالفعل أموراً منها وجبات طعامه، وقد بدا قلقاً منشغلاً جداً.

بدأت الآنسة ماربل حديثها قائلة: إن جرائم القتل...

ولكن كاري لويز قاطعتها قائلة: آه، أعرف. إنها أمر فظيع، ولم أجد -من قبل- نفسي في معمتها. ولكنك خبرت ذلك، أليس كذلك يا جين؟

اعترفت الآنسة ماربل بذلك قائلة: حسناً... لقد خبرتها بالفعل.

- هذا ما أخبرتني به روث.

سألت الآنسة ماربل بفضول: هل أخبرتك بذلك في آخر زيارة لها هنا؟

- لا، لا أظن أنها أخبرتني بذلك في ذلك الوقت. في الواقع لا أذكر.

كانت كاري لويز تتكلم بشكل مبهم، بل بما يكاد يكون شروداً.

بيبا، شعرنا بأن الأمر كان تجربة يحب - ببساطة - أن ننجح؛  
فوالدة بيبا...

وتوقفت كارى لويز.

- من كانت والدة بيبا؟

- لقد اتفقنا أنا وإيريك على أن لا نخبر أحداً أبداً بذلك،  
وهي نفسها لم تعرف.

الآنسة ماربل: أود أن أعرف.

نظرت إليها السيدة سيروكولد بارتياح، فقالت الآنسة  
ماربل: إنه ليس مجرد فضول؛ فأنا حقاً... بحاجة أن أعرف. إنني  
أستطيع ربط لساني كما تعلمين.

قالت كارى لويز بانسامة تحمل نكهة الذكريات: لقد  
كنتِ دوماً قادرة على كتم الأسرار يا جين. إن الدكتور غاليرايث  
يعرف ذلك، ولكن لا أحد غيره يعرف. لقد كانت والدة بيبا  
هي كاثرين إيلزويرث.

- إيلزويرث؟ أليست تلك هي المرأة التي دست الزرنوخ  
لزوجها؟ كانت قضيتها مشهورة.

- بلى.

- وقد شنت كما أعتقد؟

- نعم، ولكن لم يكن مؤكداً أبداً أنها فعلت ذلك. كان

زوجها يتعاطى الزرنوخ ولم يكونوا يفهمون هذه الأشياء آنذاك  
كثيراً.

الآنسة ماربل: كانت تنقع الورق اللاصق الذي يحتوي على  
سموم لقتل الذباب.

كارى لويز: لقد اعتقدنا دائماً أن شهادة الخادمة بهذا  
الشأن كانت كيدية.

- وبيبا كانت ابنتها؟

- نعم. وقد عزمنا أنا وإيريك على أن نمنح الطفلة فرصة  
بداية جديدة في الحياة، مع الحب والرعاية، وكل الأمور التي  
يحتاجها الطفل، وقد نجحنا. وكانت بيبا نفسها أجمل وأسعد  
مخلوقة يمكن تخيلها.

صمتت الآنسة ماربل فترة طويلة.

قامت كارى لويز عن طاولة الزينة وقالت: إنني جاهزة  
الآن. هل لك أن تطلبي من المفتش (أو لا أدري ما هو لقبه) أن  
يصعد إلى غرفة جلوسى. أنا واثقة أنه لن يمانع.

\* \* \*

ولم يمانع المفتش كبرى، بل إنه رحّب في الواقع بفرصة  
رؤية السيدة سيروكولد في موئله الخاص.

نظر حوله بفضول وهو يقف هناك بانتظارها. لم تكن

كل ما يمكن تحنينها إياه.

وفكر... إنها - مع ذلك - ليست من النوع الذي يمكن أن يشكو أو يجعل من الأمر قضية أبداً.

حينه وطلبت منه أن يجلس، وأخذت كرسيًا وجلست بجانبه. لم يكن هو الذي يضعها في موضع اطمئنان وارتياح بقدر ما كانت هي التي تضعه في مثل هذا الموضع. بدأ يطرح أسئلته، وأجابته هي عنها بكل سرعة وجاهزية ودون تردد. انطفاء الأضواء، الشجار بين إدغار لاوسن وزوجها، والطلقة التي سمعوها...

المفتش: ألم بيدك أن الطلقة كانت من داخل البيت؟

كاري لويز: لا، ظننت أنها جاءت من الخارج. ظننت أنها ربما كانت عطسة من محرك سيارة.

- خلال المشاجرة بين زوجك وهذا الشاب لاوسن في المكتب، هل لاحظت مغادرة أي شخص للقاعة؟

- كان وولتر قد خرج أصلاً لفحص الكهرباء. وقد خرجت الأنسة بيليفر - بعد ذلك تماماً - لتحضّر شيئاً ما، ولكنني لا أستطيع تذكر ذلك الشيء.

- من غيرهما غادر القاعة؟

- لا أحد، على قدر ما أعرف.

الغرفة شبيهة بما تخيله المفتش. كان في الغرفة أريكة قديمة الطراز، وبعض الكراسي من العصر الفيكتوري لا تبدو مريحة بمساندتها ذات النقوش الحشبية المجدولة. كان قماش الأثاث المطبوع قديماً باهتاً ولكنه ذو نقوش جميلة تمثل القصر البلوري.

كانت الغرفة واحدة من الغرف الصغيرة ولكنها - حتى بوضعها ذلك - كانت أضخم من غرف الجلوس في أغلب المنازل الحديثة، وكانت ذات مظهر حميمي دافئ، ومزدحم بطاولاتها الصغيرة وتحفياتها الدقيقة وصورها. نظر كيري إلى صورة قديمة لفتاتين صغيرتين، إحداهما سمراء حيوية والأخرى ديمية تحديق عابسة بالعالم من تحت غرة كثة. كان قد شاهد تلك السيماء في صباح ذلك اليوم. كان مكتوباً على الصورة "بيبا وميلدريد".

كما كانت صورة لإيريك غولبراندسن معلقة على الجدار مع لوحة خلفية ذهبية وإطار ثخين من خشب الأبنوس. وكان كيري قد عثر لنوه على صورة لشاب حسن الشكل ذي عيني غضنهما الضحك افترض كيري أنه جون ريبستارك عندما فُتح الباب ودخلت السيدة سيروكولد.

كانت تلبس السواد، وكان سواداً خفيفاً. وبدا وجهها الصغير الأحمر والأبيض صغيراً بشكل غير عادي تحت تاج من الشعر الفضي، وكان بها شيء من الرقة والضعف اللذين أمسكا بحدة بزمام قلب المفتش كيري. فهم في تلك اللحظة كثيراً مما حيّره في وقت مبكر من ذلك الصباح. فهم لماذا كان الناس حريصين إلى ذلك الحد على تحنين كارولين لويز سيروكولد



- هل كان بوسعك أن تعرفي لو غادر أحد؟

فكرت للحظة ثم قالت: لا، لا أعتقد أنني كنت سأعرف.

- كنت غارقة تماماً فيما كنت تسمعيه مما يجري في

المكتب، أليس كذلك؟

- نعم.

- وهل كنت قلقة إزاء ما يمكن أن يحدث هناك؟

- كلا، كلا... لم أكن كذلك. لم أر أن شيئاً سيحدث

لاحقاً.

- ولكن لاوسن كان يحمل مسدساً؟

- نعم.

- وكان يهدد زوجك به؟

- نعم. ولكنه لم يكن يعني ذلك.

شعر المفتش كيري بسخطه البسيط المعتاد إزاء هذه العبارة.

إذن فقد كانت هذه السيدة واحدة أخرى متهم!

المفتش كيري: لم تستطعي أن تكوني واثقة من ذلك يا

سيدة سيروكولد.

- حسناً، ولكنني كنت واثقة (أعني داخل عقلي) كيف

يعبر الشباب عن ذلك... هل يسمونه تمثيل مشهد؟ ذلك ما

شعرت به. إن إدغار مجرد فتى صغير كان في مشهده ذاك  
ميلودرامياً وسخيفاً يتخيل نفسه شخصية يائسة شجاعة. كان  
يرى نفسه البطل المظلوم في قصة رومانسية. كنت واثقة تماماً  
بأنه لن يطلق النار.

- ولكنه أطلق النار فعلاً يا سيدة سيروكولد.

ابتسمت كاري لويوز وقالت: أتوقع أن المسدس قد انطلق  
خطأً بشكل عرضي.

وتساعد السخبط ثانياً داخل المفتش كيري.

- ثم يكن ذلك عرضياً. لقد أطلق لاوسن النار من ذلك  
المسدس مرتين، وأطلقها على زوجك، وكادت الرصاصات  
تصيبه تماماً.

بدت كاري لويوز مذعورة ثم كتبية، وقالت: لا أستطيع  
حَقاً تصديق ذلك.

ثم سارعت لتستيق احتجاج المفتش قائلة: أوه، نعم، أنا  
مضطرة لتصديق ذلك طبعاً إن كنت تخبرني به أنت، ولكنني  
أشعر رغم ذلك أنه لا بد من تفسير بسيط. ربما كان بوسع  
الدكتور مافيريك أن يشرح الأمر لي.

- آه، نعم. سيشرح الدكتور مافيريك لك الأمر تماماً. بوسع

الدكتور مافيريك أن يشرح أي شيء، وأنا واثق من ذلك.

المفتش: نعم، كان تحت بعض المقطوعات الموسيقية القديمة جداً، مقطوعات أعتقد أنها لم تُعرف منذ سنوات طويلة.

- كان مُخيفاً إذن؟

- نعم، هل تذكرين من كان أمام البيانو ليلة أمس؟

- ستيفن ريسناريك.

- هل كان يعرف؟

- نعم. مجرد موسيقى خفيفة؛ لحن صغير كتيب مضحك.

- متى توقف عن العزف يا سيده سيروكولد؟

- متى توقف؟ لا أدري؟

- ولكنه توقف، أليس كذلك؟ لم يستمر في العزف طوال فترة الشجار.

- لا. لقد تلاشت الموسيقى.

- هل نهض عن مقعده أمام البيانو؟

- لا أدري. ليست لدي فكرة عما فعله حتى جاء إلى باب غرفة المكتب لكي يحاول تحرية مفتاح له.

- هل بوسعك التفكير في أي سبب من شأنه أن يجعل ستيفن ريسناريك يطلق النار على السيد غولبراندسن؟

على غير توقع قالت السيدة سيروكولد: أعرف أن كثيراً مما نفعله هنا يبدو سخيفاً لا طائل منه، وأحياناً يكون المحللون النفسانيون أناساً مزعجين تماماً، ولكننا نحقق نتائج بالفعل. إن لدينا إخفاقاتنا، ولكن لدينا نجاحاتنا أيضاً، وإن ما نحاول فعله جدير بالمحاولة. ربما لا تصدق ذلك، إلا أن إدغار يحب زوجي حقاً. وقد أقدم على هذه الدعوى السخيفة بأن لويس هو والده، لأنه يرغب كثيراً أن يكون له أب مثل لويس. ولكن ما لا أستطيع فهمه هو سبب تحوله فجأة إلى العنف. لقد كان أفضل حالاً بكثير، بل كان حقاً طبيعياً من الناحية العنسية. والحقيقة أنه كان يبدو لي دوماً طبيعياً.

ثم يناقش المفتش هذه الفكرة، بل قال: المسدس الذي كان بحوزة إدغار لاوسن كان يعود لزوج حفيدتك، والمفترض أن لاوسن أخذه من غرفة وولتر هُذ. الآن أخبريني، هل رأيت هذا السلاح من قبل؟

ومدّ لها عنى راحة يده المسدس الآلي الصغير الأسود. نظرت كاري لويز إليه وقالت: كلا، لا أعتقد ذلك.

- لقد وجدته في حاملة النوتة الموسيقية، وقد أطلقت منه النار حديثاً. لم يتح لنا الوقت لكي نحقق بشأنه تماماً بعد، ولكنني أستطيع القول إنه يكاد يكون في حكم المؤكد أنه السلاح الذي أطلقت منه النار عنى السيد غولبراندسن.

قطبت جبينها وقالت: وأنت وجدته في حاملة نوتات البيانو؟

- أبدأ، لا يوجد أي سبب مهما كان نوعه.

ثم أضافت وهي تتأمل: لا أصدق أنه قام بذلك؟

- ربما كان غولبراندسن قد علم شيئاً ما ضاراً بسمعته.

- يبدو لي ذلك مستبعداً جداً.

وتملكفت المفتش كيري رغبة جامحة بأن يجيئها قائلًا:

بوسع الأبقار أن تطير، ولكنها طيور «مستعبدة» جداً.

كان ذلك مثلاً طالما كانت جدته تستخدمه. وفكر... إن

الآنسة ماربل تعرف هذا المثل بالتأكيد.

\* \* \*

نزلت كاري لويز على الدرج العريض، والتفت حولها لثلاثة

أشخاص من اتجاهات مختلفة، حيث أتها جينا من الممر،  
والآنسة ماربل من المكتبة، وجوليت بيلغر من الصالة الكبرى.

تكلمت جينا أولاً هانفة بانفعال: حبيتي! آئت على ما يرام؟

هل اضطهدوك أو «عصروك» بأسلنتهم أم ماذا؟

كاري لويز: كلاً بالطبع يا جينا. ما هذه الأفكار الغريبة

لديك؟ لقد كان المفتش كيري رائعاً ورقيقاً جداً.

الآنسة بيلغر: كذلك ينبغي أن يكون. والآن يا كاري، لقد

أحضرت هنا كل رسائلك ومعها طرد، وقد كنت على وشك

إن آخذها إليك في الأعلى.

كاري لويز: أحضرها إلى المكتبة.

جلست كاري لويز وبدأت تفتح رسائلها، وكان يوجد ما

يقرب من عشرين أو ثلاثين رسالة. كانت تفتح الرسائل ثم

تسلمها للآنسة بيلغر التي كانت ترتبها في رزم وهي تشرح

للآنسة ماربل أثناء عملها: لدينا ثلاثة أصناف رئيسة من البريد؛

الصف الأول يضم الرسائل الواردة من أقارب الصبيان، وهذه

أسلمها للدكتور مافيريك. أما رسائل الاستجداء فإنني أتعامل

معها بنفسي. وما تبقى يكون رسائل شخصية، وتعطيني كاري

ملاحظات حول كيفية التعامل معها.

وما أن انتهى النظر في الرسائل حتى حولت السيدة

سيروكولد انتباهها للطرد، فقطعت الخيوط التي تزمه بمقص.

ومن بين أوراق التغليف الأنيقة ظهرت علبة شوكولاتة جذابة

مربوطة بشرريط ذهبي. قالت السيدة سيروكولد مبتسمة: لا بد

أن أحداً ظن اليوم عيد ميلادي.

فكت الشريط وفتحت العلبة. وكان داخل العلبة بطاقة

شخصية. نظرت إليها كاري لويز بشيء من الدهشة وقرأت:

"مع حيي، من أليكس". ثم قالت: ما أغرب أن يرسل لي علبة

شوكولاتة بالبريد في نفس اليوم الذي أتى فيه إلى هنا!

تحرك عدم الارتياح في عقل الآنسة ماربل وقالت بسرعة:

لحظة يا كاري لويز، لا تأكلي شيئاً منها.

بدأت السيدة سيروكولد مندهشة قليلاً وقالت: كنت سأوزع عليكم منها.

الآنسة ماربل: كلا، لا تفعل ذلك. انتظري حتى أسأل... أليكس هنا في المنزل؟ أتعرفين يا جينا؟

قالت جينا بسرعة: "أليكس كان في الصلاة الآن كما أعتقد". ثم قامت وفتحت الباب ونادته.

ظهر أليكس ريستاريك على مدخل الباب بعد دقيقة وقال: يا سيدتي الغالية الحبيبة! ها قد نهضت إذن. أنت على ما يرام؟

تقدم من السيدة سيروكولد وقبلها بلطف على كلتا وجتئها.

قالت الآنسة ماربل: تريد كارلي لويز أن تشكرك على الشوكولاتة.

بدأ أليكس مندهشاً وقال: أية شوكولاتة؟

كارلي لويز: هذه الشوكولاتة.

أليكس: ولكنني لم أرسل لك أية شوكولاتة يا عزيزتي.

الآنسة بيليفر: كانت بطاقتك في العلبه.

حدق أليكس في البطاقة وقال: إنها فعلاً كذلك. يا للغرابه! أمر غريب جداً... أنا لم أرسلها بالتأكد.

الآنسة بيليفر: يا له من أمر غريب جداً!

قالت جينا وهي تحدد في العلبه: إن حبات الشوكولاته تبدو لذیذة تماماً. انظري يا جدتي. تلك هي حباتك المفضله، المغطمة بالكرز في الوسط.

أخذت الآنسة ماربل العلبه من كارلي لويز بلطف، ولكن بحزم. ودون أن تنبس بكلمه واحده أخذتها خارج الغرفه وذهبت لتبحث عن لويس سيروكولد. وقد تطلّب العثور عليه بعض الوقت لأنه كان قد ذهب إلى الكليه، ووجدته في غرفه الدكتور مافيريك هناك. وضعت العلبه على الطاولة أمامه، وأصغى هو إلى روايتها المقتضبه عن ما جرى.

وفجأة أصبح وجهه متجهماً صارماً. وبكل حذر أخذ هو والدكتور الشوكولاته حبة حبة وتفحصها.

الدكتور مافيريك: أعتقد أن هذه الحبات التي وضعتها جانباً قد تم العيب بها بشكل شبه مؤكد. انظر إلى عدم استواء طبقة الشوكولاته في الجزء السفلي منها. ما ينبغي أن تقوم به الآن هو أن نحللها.

الآنسة ماربل: ولكنه أمر لا يصدق. كاد كلُّ من في المنزل أن يتسمموا!

هز لويس رأسه موافقاً ووجهه ما يزال أبيض قاسياً، ثم انفجر قائلاً: نعم، في الأمر قسوه بالغه... واستهانه. وأنا أعتقد بأن كل حبات الشوكولاته المسممه من تلك المصنوعه بنكهة الكرز. ذلك هو النوع المفضل لدى كارولين؛ ولذلك - كما

ترون- فإنّ خلف هذا الأمر معرفة وثيقة.

قالت الآنسة ماربل بهدوء: إن كان الأمر كما تشك...  
أي إن كان في هذه الحبات سُمّ، فإنني أظن أنه يتوجب إخبار  
كارلي لويز بما يجري. ينبغي أن تنبه بحيث تأخذ حذرهما.

قال لويس سيروكولد بحدية وحرز: نعم، ينبغي أن تعرف  
أن شخصاً ما يريد قتلها. أعتقد أنها ستجد تصديق هذا الأمر  
مسألة شبه مستحيلة.

\* \* \*

## الفصل السادس عشر

- اسمعي يا آنسة. هل صحيح أن سافلاً يئس السموم؟

ردت جينا الشعر عن جبهتها إلى الخلف، وحفلت حين  
وصلتها الهمسة الحشنة. كان على وجنتها أصباغ، وأصباغ على  
بنطالها. كانت منشغلة هي ومساعدوها المختارون في رسم  
قماش المنظر الخلفي لمسرحية «النيل عند الغروب» استعداداً  
لعرضهم المسرحي القادم.

كان ذلك الذي يطرح السؤال الآن واحداً من مساعديها.  
كان اسمه إيرني، وهو الصبي الذي أعطاهها تلك الدروس القيمة  
في التلاعب والعبث بالأقفال. وقد كانت أصابع إيرني على نفس  
الدرجة من البراعة في أعمال نجارة المسرح، وكان واحداً من  
أكثر المساعدين المسرحيين حماسة.

كانت عيناه الآن ملتصقتين تشعان بمتعة الاستشراق والتوقع.  
أغمض إحدى عينيه وقال: الخبر منتشر الآن في كل المهاجع.  
ولكن اسمعي يا آنسة، لم يكن الفاعل واحداً منا. ليس من شأننا  
مثل هذا العمل، وما من أحد يمكن أن يفعل شيئاً للسيدة

سيروكولود. حتى حينكنز لم يكن ليؤذيها؛ فهي ليست مثل تلك الكلبة العجوز التي يرغب الكثيرون بتسميمها، لم أكن أنسا لأتردد في ذلك.

جينا: لا تتكلم هكذا عن الأنسة بيلغر.

إيرني: آسف يا أنسة... زلة لسان، أي سم كان يا أنسة؟ أكان سم الستريكتاين؟ ذلك يجعلك تقوسين ظهرك وتموتين بالأمك، بالفعل. أم أنه كان الحامض البروسي؟

جينا: لا أعرف ما الذي تحدثت عنه يا إيرني.

رمش إيرني بعينه ثانية وقال: قلني لغيري إنك لا تعرفين! يقولون إن السيد أليكس هو الذي فعلها وأحضر الشوكولاتة من لندن. ولكن ذلك كذب؛ فالسيد أليكس لا يمكن أن يفعل شيئاً كهذا، أليس كذلك يا أنسة؟

جينا: بالطبع لا يمكن أن يفعل.

إيرني: الاحتمال الأقوى هو أن يكون السيد يومغارتن. عندما يعطينا دروس التمارين البدنية فإنه يبدل سحنته بشكل فطيع، وأعتقد أنه مخبول.

جينا: أبعد زيت الأصبغ هذا عن الطريق.

نقد إيرني طلبها ممتعاً مع نفسه: لا أنهم هذه الحياة هنا! قتل العجوز غولبراندسن بالأمس، والآن سموم خفية. هل تعتقدين

أن شخصاً واحداً يقف وراء الحالتين؟ ما قولك يا أنسة إن أخبرتك أنني أعرف الشخص الذي قتله؟

جينا: أنت لا تعرف شيئاً عن الموضوع.

- ها، لا أعرف شيئاً؟ افترضني أنني كنت في الخارج ليلة أمس، ورأيت شيئاً.

- كيف تكون في الخارج والكلية تقفل بعد التعداد المسائي في الساعة.

- التعداد... إنني أستطيع الخروج في أي وقت أشاء يا أنسة. الأقفال لا تعني شيئاً لي.. إنني أخرج وأتمشى في الحدائق لمجرد متعة القيام بذلك.

- أتمنى لو تكفُّ عن أكاذيبك يا إيرني.

- من الذي يكذب؟

- أنت. تكذب وتبجح بأشياء لم تفعلها أبداً.

- هذا ما تقولينه أنت يا أنسة. ولكن انتظري حتى يأتي الشرطة ويسألوني عن كل ما رأيته ليلة أمس.

- حسناً، ما الذي رأيته؟

- آه، ألم تكوني غير راغبة في المعرفة؟

هجمت عليه جينا، فقام بانسحاب استراتيجي من أمامها.

ستيفن: إنني أتساءل!

جينا: إنك تفكر في وولتر وأنه لا يحبها. ولكن وولتر لا يمكن أن يسمم أحداً؛ إن الفكرة مثيرة للسخرية.

- الزوجة المخلصة!

- لا تقل ذلك بهذه البيرة الساحرة.

- لم أقصد السخرية؛ فأنا أعتقد أنك مخلصة بالفعل، وذلك يعجبني فيك. ولكن يا عزيزتي، ليس بوسعكما أن تستمرا هكذا.

- ما الذي تعنيه يا ستيف؟

- أنت تعرفين تماماً ما أعنيه، فأنت وزوجك لا تناسبان بعضكما. إنها مجرد واحدة من تلك التجارب التي لا تنجح، وهو يعرف ذلك أيضاً، والانفصال سيأتي قريباً، وستكونان كلاكما أسعد حالاً عندما يأتي.

- لا تكن أحمق.

ضحك ستيفن وقال: دعك من ذلك، أنت لا تستطيعين التظاهر بأنكما ملائمان لبعضكما، أو بأن وولتر سعيد هنا.

- آه، لا أدري ما هي المشكلة. إنه متجهم أغلب الوقت ولا يكاد يتكلم. إنني... إنني لا أعرف كيف أنصرف تجاهه. لماذا لا يستطيع أن يُمتع نفسه هنا؟ لقد عشنا معاً أوقاتاً ممتعة ذات يوم... كان كل شيء ممتعاً... والآن ربما تغير وأصبح

تقدم ستيفن من الجانب الآخر من المسرح وانضم إلى جينا. ناقش الاثنان مسائل تقنية مختلفة ثم سارا جنباً إلى جنب عائدين إلى المنزل.

جينا: يبدو أن الجميع يعرفون بأمر جدتي والشوكولاتة. أعني الصبية... كيف لهم أن يعرفوا؟

ستيفن: عن طريق نوع من الأقاويل والشائعات المحلية.

- وهم يعرفون بأمر بطاقة أليكس. ستيفن، لقد كان من الغباء المطلق بالتأكد وضع بطاقة أليكس في العلبة، في حين كان قادماً عملياً إلى هنا.

- نعم، ولكن من الذي كان يعرف أنه قادم إلى هنا؟ لقد قرر المحييء من وحي اللحظة، وأرسل برقية بذلك، وربما أرسلت العلبة وقتها. ولو أنه لم يأت إلى هنا لكان وضع بطاقته في العلبة فكرة جيدة تماماً؛ لأنه يرسل -بالفعل- شوكولاتة لكارولين أحياناً.

ثم مضى يتكلم ببطء: إن ما لا أستطيع فهمه ببساطة هو...

تدخلت جينا لتكمل جملته: هو لماذا عسى أن يرغب أي شخص في تسميم جدتي؟ أعرف. إنه أمر لا يمكن فهمه! إنها محبوبة جداً، والجميع يحبونها بالفعل.

لم يوجب ستيفن. نظرت إليه جينا بحدة وقالت: أعرف فيم تفكر يا ستيف!

شخصاً مختلفاً. لماذا على الناس أن يتغيروا على هذا النحو؟

ستيفن: هل أتغير أنا؟

جينا: كلا يا عزيزي ستيف؛ أنت دائماً ستيف. هل تذكر كيف كنت ألاحظك وأجري خلفك في أيام العطل؟

- وأيُّ إزعاج كنتُ أرى فيك وأقول لنفسي: تلك الطفلة الصغيرة البائسة جينا. حسناً، لقد انقلبت الأدوار الآن. لقد وضعتني حيث أردت أن تضعني، أليس كذلك يا جينا؟

قالت جينا: "أيها الأحمق!". ثم أسرع للقول: هل تظن أن إيرني كان يكذب؟ لقد ادعى بأنه كان يتمشى في الضباب ليلة أمس، ولمح إلى أنه يستطيع الإبلاغ بأمور حول جريمة القتل. هل تظن أن ذلك قد يكون صحيحاً؟

ستيفن: صحيحاً؟ بالطبع لا. أنت تعرفين كيف يتبحر مدعياً أي شيء ليجعل نفسه شخصاً مهماً.

- آه، أعرف ذلك، كنت أنساءل فقط...

ومشى الاثنان جنباً إلى جنب دون كلام.

\* \* \*

أضاءت شمسُ الغروبِ الواجهةَ الغربيةَ للمنزل، ونظرت المفتش كيري في ذلك الاتجاه وقال: أهذا هو المكان التقريبي الذي أوقفت فيه سيارتك ليلة أمس؟

توقف أليكس رينستاريك قليلاً كما لو أنه يفكر، ثم قال: تقريباً. من الصعب الحزم بشكل دقيق بسب الضباب. ولكن، نعم، أعتقد أن هذا هو المكان.

وقف المفتش كيري ينظر حوله بعين تحاول تقدير الأمور.

كان امتداد الممشى المفروش بالحصى يلتف في منحني خفيف، وعند هذه النقطة برزت من خلف حاجز من شجيرات الورد الواجهة الغربية للمنزل لتظهر فجأة للعيان بمصطبتها الخارجية وسياجات شجر الطقُسوس والدرج الذي ينحدر نزولاً إلى مروج العشب، وبعد ذلك يستمر الممشى في مسيرته الملتوية، ممتداً عبر سياج من الأشجار ومستديراً بين البحيرة والمنزل حتى ينتهي في المدى الرملي الواسع عند الجانب الشرقي للمنزل.

صاح المفتش كيري: دودغيت!

انطلق دودغيت -الذي كان يقف على أهبة الاستعداد- للعمل بنشاط. اندفع بقوة عبر الحيز العشبي الفاصل في حطط قطري باتجاه المنزل، وصل المصطبة، ودخل من الباب الجانبي. وبعد لحظات كانت ستائر إحدى الغرف تُفضُّ بشكل عتيق. بعدها ظهر الشرطي دودغيت ثانية من الباب المقضي إلى الحديقة وركض عائداً لينضم إليهما وهو يتنفس كمحرك بخاري.

المفتش كيري: دقيقتان وأربعون ثانية.



المفتش: قد يكون ذلك هو ما أريد لنا أن نعتقه... يوجد شيء يسمى الخدعة المزدوجة يا سيد ريستاريك.

- آه، فهمت... يا لك من عبقرى! بالمناسبة، تلك الشوكولاتة، هل كانت مسمومة؟

- حبات الشوكولاتة الست التي تحتوي على نكهة الكرز في الطبقة العليا كانت مسمومة، نعم. كانت تحتوي على مادة الأكويتين السامة.

- ليست تلك من سمومي المفضلة أيها المفتش. إنني -شخصياً- لا أستطيع مقاومة إغراء مادة الكورار.

- ولكن ينبغي لمادة الكورار أن تدخل في مجرى الدم يا سيد ريستاريك، وليس إلى المعدة.

قال أليكس بإعجاب: كم هم مُطلعون بشكل رائع أفراد جهاز الشرطة!

رماه المفتش كبيرى بنظرات جانبية هادئة، ولاحظ أذنيه المدببتين قليلاً وشكل الوجه المونغولي غير الإنكليزي وعينيه اللتين تتراقصان بالهزء والسخرية المؤذية، وشعر المفتش أن من الصعوبة بمكان أن يعرف المرء فيم يفكر أليكس ريستاريك... وعلى نحو ما كان في هذه الفكرة شيء من عدم الارتياح.

إنه مخادع ذو ذكاء كبير... بهذا الوصف كان يمكنه تلخيص شخصية أليكس ريستاريك. كان أذكى من أخيه. كانت

قال ذلك وهو يغلق ساعة التوقيت التي كان يقيس بها الوقت، ثم قال: هذه الأمور لا تأخذ كثيراً من الوقت، أليس كذلك؟

كانت نبرته لطيفة كمن يريد مجرد الحديث.

أليكس: أنا لا أركض بنفس سرعة شرطيك. إنني أفترض أن ما تقيسون وقته هو حركاتي المفترضة، أليس كذلك؟

- أنا أشير فقط إلى أنه كانت لديك الفرصة للقيام بلقطة، هذا كل ما في الأمر يا سيد ريستاريك. إنني لا أوجه أية اتهامات... حتى الآن.

قال أليكس ريستاريك بلطف للشرطي دودغيت الذي ما زال يلهث: أنا لا أستطيع الركض بنفس السرعة التي تركض بها، ولكنني أعتقد أنني أتدرب بشكل أفضل منك.

الشرطي: لم أتدرب منذ إصابتي بالتهاب القصبات الهوائية في الشتاء الماضي.

التفت أليكس إلى المفتش وقال: إنني أتكلم جدياً، فرغم محاولتك بأن تجعلني قلقاً وتراقب ردود أفعالي، ينبغي أن تذكر أننا -معشر الفنانين- حساسون جداً! نباتات رقيقة جداً!

ثم اكتسب صوته نبرة ساخرة هازئة وهو يقول: ليس بوسعك أن تصدق حقاً بأن لي أية علاقة بهذا الأمر، فلم أكن لأرسل علبة شوكولاتة مسمومة إلى السيدة سيروكولد وأضع بطاقتي داخلها، أليس كذلك؟

«بيت الكلس» الراقصة، ولذلك...

قاطعته المفتش كيري موافقاً: لقد أخبرتني بذلك.

أليكس: إن المرء يعتاد - كما تعلم - على النظر إلى الأمور من زاوية اختصاصه وكأنها خلفية وديكور مسرحي، وليس من زاوية كونها واقعاً.

- ربما، ومع ذلك فإن الخلفية والديكور المسرحي هما واقعيتان تماماً، أليس كذلك يا سيد ريستاريك؟

- لا أفهم تماماً ما تعنيه أيها المفتش.

- أعني أنهما مصنوعان من مواد حقيقية.. قماش وخشب وأصباغ ولوحات. إن الوهم يكمن في عين المشاهد، وليس في الديكور نفسه. وذلك الديكور هو - كما قلت - واقعي تماماً، وهو واقعي خلف المشهد المسرحي بقدر ما هو واقعي أمامه.

حذق به أليكس وقال: أتدري أن هذه الملاحظة عميقة جداً أيها المفتش؟ لقد أوحى لي بفكرة.

- فكرة لمسرحية راقصة أخرى؟

- لا، ليس لمسرحية أخرى... يا لخيبي! أتساءل إن كنا جميعاً قد أثبتنا غيابةنا؟

\* \* \*

أمه روسية، أو هكذا بَلَّغَهُ. كان «الروس» بالنسبة للمفتش كيري يمثلون ما كان يمثلته العسكريون الألمان في مطلع القرن العشرين. كل ما يمت إلى روسيا بصلة كان شيئاً في رأي المفتش كيري، ولو أن أليكس ريستاريك كان هو قاتل غولبراندسن لكان حينها مجرمًا مقنعاً جداً. ولكن المفتش كيري لم يكن - مع الأسف - مقتنعاً بأي شكل بأن أليكس ارتكب الجريمة.

تحدث الآن الشرطي دودغيت وقد استرد أنفاسه: لقد حركت الستائر كما طلبت مني، وعددت حتى الثلاثين. وقد لاحظت أن في الستائر موضع كُلاب ممزقاً في أعلاها، وهذا يعني أنه كانت هناك فتحة، ويمكنك أن ترى الضوء في الغرفة من الخارج.

قال المفتش كيري لأليكس: هل لاحظت الضوء ينبعث من تلك النافذة ليلة أمس؟

أليكس: لم أستطع رؤية البيت كله بسبب الضباب... لقد أخبرتك بذلك.

المفتش: مع أن الضباب يكون متفاوت الكثافة، ويتشعع أحياناً للحظة هنا أو هناك.

- لم يتشعع بحيث أستطيع رؤية البيت، أعني كتلة البيت الأساسية. أما مبنى التمرينات الرياضية القريب فقد لاح من وسط الضباب بطريقة غير واضحة وبشكل رائع. وقد أوحى لي مشهده بديكورات عظيمة للمسرح. أنا - كما قلت لك - سأقدم مسرحية

عاد المفتش والشرطي دودغيت إلى المنزل عبر المرح  
العشبي.

قال أليكس لنفسه: "إنهما يبحثان عن آثار أقدام". ولكنه  
كان مخطئاً؛ إذ أنهما كانا قد بحثنا عن آثار أقدام في وقت مبكر  
جداً من ذلك الصباح، ولم يلقيا نجاحاً لأن أمطاراً غزيرة كانت  
قد نزلت في الساعة الثانية بعد منتصف الليل. مشى أليكس ببطء  
عبر الممشى وهو يقلّب في عقله احتمالات فكرته الجديدة.

ولكنه انشغل عن ذلك بمنظر جينا وهي تمشي على الممر  
قرب البحيرة. كان المنزل في موقع مرتفع قليلاً والأرض تنحدر  
باتسياب بدءاً بساحات الحصى الأمامية ووصولاً إلى البحيرة التي  
كانت تتحزم بأشجار الورد والشجيرات الأخرى. ركض أليكس  
عبر ساحات الحصى وقابل جينا، ثم أغمض عينيه نصف إغماضة  
وقال: لو كان بالإمكان إطفاء الأنوار والتعميم على هذا المبنى  
الفيكتوري المشوه السخيف لأصبحت هذه البحيرة «بحيرة بجم»  
جميلة جداً تكونين أنت فيها - يا جينا - «سيدة البجم»، مع أنك  
-عندما أفكر في الأمر- أشبه بأمية الثلج: عديمة الشفقة، مصممة  
على السير في طريقك الخاص بدون أية رحمة أو لطف ودون  
أوليات التراحم. أنت أنثوية جداً جداً يا عزيزتي جينا.

جينا: يا لك من حقود يا عزيزي أليكس!

- الأنتي أرفض أن تحدعيني؟ أنت سعيدة جداً بنفسك،  
ألست كذلك يا جينا؟ لقد وضعنا جميعاً حيث تريدين لنا أن

نكون، أنا وستيفن وزوجك ذاك الضخم البسيط.

- كلامك سخيف!

- آه، كلا، هو ليس كذلك. إن ستيفن يحبك، وأنا أيضاً،  
وزوجك. بالأس إلى حد اليأس. ما الذي تريده امرأة أكثر من ذلك؟  
نظرت إليه جينا وضحكت.

هز رأسه بعنف وقال: إن لديك أوليات النزاهة كما يسعدني  
أن أرى، وهذا هو الجزء اللاتيني منك. أنت لا تكلفين نفسك  
عناء التظاهر بأنك لا تلتفتين انتباه الرجال، وأنت آسفة جداً لأنهم  
انجذبوا إليك. إنك تستمتعين بالتأثير على الرجال، أألست كذلك  
أيتها القاسية جينا؟ وصل الأمر حتى إلى البائس الصغير إدغار  
لاوسن!

نظرت إليه جينا بثبات ثم قالت بصوت هادئ جاد: إن  
الأمر لا يبقى فترة طويلة، وللنساء وقت أقل بكثير في هذه الدنيا  
من الوقت المتاح للرجال. إنهن أكثر عرضة للعطب وعوارض  
الزمن؛ فهن يتجبن أطفالاً، وينصرف اهتمامهن بشكل كامل إلى  
أطفالهن. وحالما يفقدن حُسنهن يتوقف الرجال الذين يحبونهن  
عن هذا الحب، فيُهجرن ويُستبعدن. أتقول عني بأنني قاسية؟ إن  
الدنيا قاسية! وعاجلاً أو آجلاً ستكون قاسية علي! ولكنني الآن  
شابة وجميلة ويرانني الناس جذابة.

والتمعت أستانها حلف ابتمامها الفريدة الدافقة دفء

الشمس وأضاف: نعم، إنني أجد متعة في ذلك يا أليكس.  
ولماذا لا أستمتع؟

أليكس: حقاً لماذا؟ ما أريد معرفته هو ما أنت عازمة على فعله تجاه هذا الأمر. هل ستتزوجين ستيفن أم ستتزوجيني؟  
جينا: أنا متزوجة بولتر.

- مؤقتاً... كل امرأة ترتكب غلطة فيما يتعلق بزواجها، ولكن لا ضرورة لأن تعيش أيامها على هذه الغلطة. فبعد تجربة تقديم العرض في الضواحي والمحافظات، جاء الوقت لنقله إلى مركز العاصمة.

جينا: وأنت مركز العاصمة؟

أليكس: بدون أدنى شك.

قالت جينا: "هل تريد حقاً أن تتزوجيني؟ إنني لا أستطيع أن أتخيلك متزوجاً". ثم أضافت: إنك تسليبي حقاً يا أليكس.

- هذا هو رأسمالي؛ لأن ستيفن أجمل شكلاً مني بكثير. إنه وسيم إلى أبعد الحدود، وعاطفي جداً، وهو الأمر الذي تعشقه النساء بالطبع. ولكن العاطفية مسألة متعبة في البيت. أما معي يا جينا فإنك ستجدين الحياة مسلية.

- أئن تقول بأنك تحبني بجنون؟

- مهما كان صحيحاً فلن أقوله بالتأكيد؛ لأنني إن فعلت

فسيكون ذلك نقطة إضافية لصالحك ونقطة إضافية ضدي. كلا، إن محملاً ما أنا مستعد لفعله هو أن أقدم لك عرضاً عملياً للزواج.

قالت جينا وهي تبتسم: سيكون عليّ أن أفكر في ذلك.

- طبعي. بالإضافة إلى أن عليك أن تحلّصي وولتر من بوسه أولاً. إنني أتعاطف كثيراً مع وولتر. لا بد أن يكون جحيماً مطلقاً عليه أن يكون زوجاً لك، مربوطاً بمحلات عربتك يتحرج في هذا الجو العائلي الثقيل الموبوء بحب الإنسانية.

- يا لك من وحش يا أليكس!

- وحش مدرك.

- أحياناً لا أعتقد أن وولتر يهتم بي أدنى اهتمام. إنه لم يعد يعبرني أي اهتمام!

- هل أثرت به بعضي ولم يستحب؟ أمر مزعج جداً.

وبحركة خاطفة رفعت جينا راحتها بصفعة مدوية إلى خدّ أليكس الناعم.

صاح أليكس: "برافو... نقطة!". وبحركة رشيقة سريعة أخذها بين ذراعيه...

- جينا!

تباعد الاثنان بسرعة. كانت تلك ميلدريد التي حدثت بهما

أليكس: مريضة... مريضة بكل تأكيد. إنها حقاً مريضة!

جينا: آه، إنني أكرهها، أكرهها، أكرهها.

أطبقت جينا كفيها وارتجفت غضباً.

أليكس: إنها محظوظة لأنك لا تحملين سكيناً في جوربك؛ فلو كان معك سكين لتعلمت العزيرة ميلدريد شيئاً عن القتل من وجهة نظر الضحية. اهديني يا جينا... لا تظهرني بهذا المظهر الميلودرامي المثير كالأوبرا الإيطالية.

- كيف تحرق على القول بأنني حاولت تسميم جدتي؟

- حسناً يا حبيبي. لقد حاول أحدهم أن يسممها، ومن ناحية الدافع للجريمة فإنك في الصورة تماماً، أليس كذلك؟

حدقت به بألم وقالت: أليكس! هل يظن الشرطة ذلك؟

- جينا... إنه لمن الصعب جداً معرفة ما يراه الشرطة؛ فهم يحرصون على حفظ مشاوراتهم بشكل ممتاز، وهم ليسوا حمقى أبداً كما تعلمين. وقد ذكرني ذلك بشيء...  
جينا: أين أنت ذاهب؟

أليكس: لتحقيق فكرة من أفكارتي.

\* \* \*

بنظرة يلوح فيها شر مستطير وقد احمر وجهها وارتجفت شفتاها. وللحظة غصت عن نطق تلك الكلمات قبل أن تنطلق من فمها بثورة وغضب:

- مرفقة... مرفقة! أيتها البنت الحيوانية المتهتكة... إنك كامتك تماماً... إنك خامة سيئة... وقد عرفت دوماً أنك خامة سيئة... فاسدة كلياً... لست سيئة فحسب، بل أنت قاتلة أيضاً. آه، نعم... أنت قاتلة. إنني أعرف ما أعرفه!

جينا: وما الذي تعرفينه؟ لا تكوني سخيفة يا خالة ميلدريد.

- أنا لست بخالة لك والحمد لله. لا تجمعني بك قربي الدم، بل إنك لا تعرفين حتى هوية أمك أو من أين هي! بينما تعرفين ماذا كان أبي وأمي. أية طفلة تلك التي يتبنيانها برأيك؟ ربما ابنة مجرم! من هذه النوعية كانا، ولكن كان عليهما أن يتذكرا أن العرق السيء، دساس. مع أنني اعتقد أن العرق الإيطالي فيك هو الذي جعلك تلتفتين إلي السم.

جينا: كيف تحترين على قول ذلك!؟

ميلدريد: سأقول ما يروق لي. لن تستطيعي أن تنكري الآن أن شخصاً ما حاول تسميم أمي. ومن هو الشخص الذي يحتمل أن يقدم على ذلك أكثر من غيره؟ من ذا الذي يحصل على ثروة هائلة إن ماتت أمي؟ أنت يا جينا. ولك أن تتأكدني بأن الشرطة لم يغفلوا هذه الحقيقة.

ومضت ميلدريد بسرعة وهي لما تزل ترتحف.

## الفصل السابع عشر

- أتقول إن شخصاً ما كان يحاول تسميمي؟

كان في صوت كاري لويز ذعر وعدم تصديق. أضافت  
قائلة: إنني لا أستطيع حقاً تصديق ذلك.

قال لويس سيروكولد بلطف: تمنيت لو كان بوسعي أن  
أجلبك هذا النبا يا غاليتي.

وفيما يكاد يكون شروداً مدت إليه يدها فتناولها بيده.

هزت الآنسة ماربل (التي كانت تجلس قريبة منها) رأسها  
بعطف. وفتحت كاري لويز عينيها وقالت: أهذا صحيح حقاً يا  
حين؟

الآنسة ماربل: أخشى أنه كذلك بالفعل يا عزيزتي.

كاري لويز: إذن فإن كل شيء... ..

توقفت، ثم مضت قائلة: كنت أعتقد دوماً أنني أدرك ما  
هو حقيقي وما هو غير حقيقي. هذا الأمر لا يبدو حقيقياً ولكنه

مؤخراً صحيح... إطلاق إدغار النار عليك، علاقة جينا وستيفن،  
علبة الشوكولاتة السخيفة تلك. إنها أمور غير صحيحة ببساطة.

لم يتكلم أحد.

تهتدت كاراي لويز وقالت: أحسب أنني لا بد عشت  
خارج الواقع لزمان طويل... رجاء، أتمنا الاثنين، أعتقد أنني أود  
البقاء وحدي... علي أن أحاول أن أفهم!

\* \* \*

نزلت الآنسة ماربل الدرج إلى الصالة الكبرى لتجد أليكس  
ريستاريك واقفاً قرب باب المدخل الضخم المقوس ويده  
ممتدة في إشارة مظهرية بعض الشيء. قال لها بسعادة وبلهجة  
من يملك الصالة الكبرى: تفضلي، تفضلي. كنت أفكر لتوي  
بالليلة الماضية.

أما لويس سيروكولد الذي نزل خلف الآنسة ماربل من  
غرفة كاراي لويز فقد عبر القاعة الكبرى إلى المكتبة، فدخلها  
وأغلق خلفه الباب.

سألت الآنسة ماربل بلهفة تحاول كبتها: هل تحاول إعادة  
بناء مشاهد الجريمة؟

نظر إليها أليكس مقطباً وقال: ماذا؟

ثم انفرجت حواجبه، وقال: أوه، تقصدين ذلك. كلا،

حقيقي؛ ولذلك فربما كنت مخطئة في كل مجال... ولكن من  
عساه يريد أن يفعل شيئاً كهذا لي؟ لا أحد في المنزل قد يرغب  
في... في قتلي.

كان صوتها ما زال يحمل عدم التصديق.

لويس: هذا ما كنت أظنه.. ولكنني كنت مخطئاً.

كاراي لويز: وكان كريستيان يعرف بالأمر؟ هذا يفسر  
كل شيء.

لويس: يفسر ماذا؟

- يفسر تصرفه وسلوكه. كان غريباً جداً. لم يكن أبداً  
على سحيته المعهودة. بدا... منزعاً قلقاً علي... كما لو أنه  
كان يريد أن يقول لي شيئاً ثم لا يقوله. ثم سألتني إن كان قلبي  
قوياً وإن كنت بصحة جيدة مؤخراً. ربما كان يحاول التلميح  
لي. ولكن، لماذا لا يقول الأمر مباشرة؟

- إنه لم يرد أن... أن يسبب لك ألماً يا كارولين.

قالت: "ألماً؟ لماذا؟ آه! فهمت..."، ثم اتسعت عيناها  
وأضافت: إذن فهذا هو ما تعتقده. ولكنك مخطئ يا لويس...  
مخطئ تماماً. أستطيع أن أؤكد لك ذلك.

تحجب زوجها عينيها. قالت هي بعد لحظات: إنني آسفة!  
ولكنني لا أستطيع أن أصدق أن أيًا من تلك الأمور التي حدثت

المكببة. كان مقعد البيانو يبعد أقل من ثلاثة أمتار عن الباب الذي يفضي إلى الساحة الخارجية المربعة المفضية بدورها إلى الممر. وكان هذان مخرجين مناسيين جداً! وكان للجمهور -بالتطوع- مجال رؤية ممتاز لكلا المخرجين...

ولكن، في الليلة الماضية، لم يكن في المسرح جمهور؛ أي أن أحداً لم يكن يجلس في مواجهة ديكورات الخشبية المسرحية، والآنسة ماربل تقف الآن في مواجهتها. كان الجمهور في الليلة الماضية يجلس وظهروه لتلك الخشبية نفسها.

وتساءلت الآنسة ماربل: ترى كم من الوقت كانت ستقتضي عملية التسلل خارج الصالة والركض عبر الممر وإطلاق النار على غولبراندسن والعودة؟ لم تكن لتقتضي وقتاً طويلاً كما قد يظن المرء. وإذا ما قيست بالدقائق والثواني فستكون عملية لا تتطلب إلا وقتاً قليلاً في الواقع.

ما الذي عنته كارلي لويز عندما قالت لزوجها: "إذن فهذا هو ما تعتقده؟ ولكنك مخطئ، يا لويس!"؟

وقطع فيضاً تأملاتها صوتُ اليكس وهو يقول: عليّ أن أعترف بأن تلك كانت ملاحظة عميقة جداً من قبل المفتش حول كون ديكورات المسرح واقعاً؛ فهي مصنوعة من الخشب والكرتون وتلتصق ببعضها بالغراء، وهي واقعية حقيقية بنفس الدرجة على الجانب المرسوم والمزخرف منها كما على الجانب الآخر الحالي من أي رسم. ولقد أشار إليّ أن "الوهم هو في

ليس بالضبط. كنت أحاول النظر إلى القضية كلها من منظور مختلف كلياً. كنت أفكر في هذا المكان بلغة المسرح. ليس باعتباره واقعاً حقيقياً، بل كجوٍّ مُصنَّع! تعالي هنا. فكسري في المكان وكأنه خشبة مسرح بديكوراتها: الإضاءة.. المداحل.. المخارج.. أشخاص المسرحية.. أصوات من خارج الخشبية.. كل ذلك مثير جداً، ولكن ليس كله من بنات أفكارى؛ فالمفتش هو الذي أوحى به إليّ. أظن أنه رجل قاسٍ بعض الشيء؛ فقد بذل كل جهده لكي يرعبني هذا الصباح.

الآنسة ماربل: وهل أربعتك؟

اليكس: لست متأكداً من ذلك.

شرح تجربة المفتش وتوقيت الأداء الذي قام به الشرطي اللاهث دودغيت، ثم قال: إن الوقت مسألة مضللة جداً. يظن المرء أن الأمور تستغرق وقتاً طويلاً، ولكنها -في الواقع طبعاً- لا تأخذ مثل هذا الوقت.

قالت الآنسة ماربل: "صحيح". وفي سبيل تمثيل دور الجمهور تحركت إلى موقع مختلف.

كان ديكور خشبة المسرح -في الحالة هذه- يتألف من حائط ضخم عالٍ مغطى بستائر ثقيلة مزدانة بالصور، مع بيانو ضخم على الجانب الأيسر ونافذة مع كرسيها على الجانب الأيمن، وقريباً جداً من كرسي النافذة كان الباب المفضي إلى



ستيفن: نعم، ربما... أظن أنك قد تكون مصيباً في ذلك.  
ربما تركناه حتى مساء اليوم.

ومضى ستيفن إلى المكتبة.

كانت الأنسة ماربل تنتقل بحفة في الصالة مؤديةً دورها كجمهور متحرك، فاصطدمت مع أليكس ريتساريك عندما تراجع إلى الخلف فجأة.

الآنسة ماربل: إنني آسفة جداً!

عبس أليكس لها وقال بطريقة شاردة: "عفواً"، ثم أضاف بصوت مندهش: آه، هذا أنت.

بدأت تلك الملاحظة غريبة بالنسبة للآنسة ماربل، خاصة وهي تصدر عن شخص كانت تتحدث معه لوقت طويل.

أليكس: "كنت أفكر في شيء آخر... في ذلك الصبي إيرني". ثم قام بحركات مبهمة بكلتا يديه.

بعد ذلك، وبغير مفاجئ في سلوكه، عبر القاعة ودخل من الباب المفضي إلى المكتبة وأغلق الباب خلفه.

تناهت مهمة الأصوات من خلف الباب المغلق، ولكن الآنسة ماربل لم تكذب تلاحظها؛ فهي لم تكن مهتمة بذلك الفتى الموسوعي، إيرني، وبما رآه أو ادعى أنه رآه. كان لديها شك حاد بأن إيرني لم يشاهد شيئاً على الإطلاق. لم تصدق لحظتها

تمتعت الآنسة ماربل بشكل مبهم: كالسحرة! أعتقد أن العبارة العامة التي يطلقونها على أعمالهم هي: إنهم يفعلون ذلك باستخدام المرايا... إنه نوع من «خداع المرايا»!

دخل ستيفن ريتساريك، وهو يلهث قليلاً وقال: مرحباً يا أليكس، ذلك الفتى القذر إيرني غريب.. لا أدري إن كنت تذكره؟ أليكس: ذاك الذي مثل دور فيسته عندما أخرجت مسرحية «الليلة الثانية عشرة»؟ إن لديه موهبة كبيرة كما أظن.

ستيفن: نعم، إن لديه موهبة وأي موهبة! إنه ممتاز في استخدام يديه أيضاً، وقد قام بالكثير من أعمال النجارة لمسرحنا. ولكن ذلك ليس هو الموضوع، فقد كان يتبجح أمام جينا بأنه يخرج في الليل ويتمشى في حدائق المنزل. وقال إنه كان يتمشى ليلة أمس، وتبجح بأنه رأى شيئاً ما.

دار أليكس وقال: ماذا رأى؟

ستيفن: يقول إنه لن يتكلم. في الواقع أنا متأكد تماماً بأنه يحاول فقط أن يتباهى ويلفت الأنظار. إنه كذاب أثير، ولكنني فكرت... فربما كان ينبغي استجوابه.

قال أليكس بحدوة: أفضل أن نتركه قليلاً. لا تجعله يعتقد أننا مهتمون كثيراً بالأمر.

ذلك بواسطة المرايا... طاسات يخرج منها السمك... أشرطة ملونة طويلة ونساء تختفي...، وكل زخارف وخذاع السحرة.

شيء ما تحرك في ضميرها... صورة... شيء ما قاله أليكس... شيء ما شرحه لها أليكس. الشرطي دودغيت ينفخ ويلهث... يلهث. وتحرك شيء ما في عقلها... ووقع فجأة تحت عدسة التركيز، فقالت: بالطبع. ذلك هو الأمر دون شك!

\* \* \*

واحدة بأن إيرني يمكن أن يكلف نفسه عناء ممارسة الأعيه في فتح الأقفال والخروج للتحوّل في الحديقة في ليلة باردة جداً يلفها الضباب كثيفة أمس، وأغلب الظن أنه لم يخرج أبداً في الليل، وأن الأمر كله مجرد تبجح.

وفكرت الآنسة ماربل... إن إيرني يشبه جونني باكهاوس الذي كان لديه دوماً مخزين من النظائر يخترق منه، نظائر منتقاة من سكان قريتها سينت ميري ميد.

لقد كانت عبارته الاستفزازية لكل من يعتقد أنها يمكن أن تؤثر فيه هي: "لقد رأيتك ليلة أمس". وقد كانت تلك ملاحظة ناجحة بشكل منقطع النظير، ولذلك فكرت الآنسة ماربل بأن كثيراً من الناس ربما كانوا في أماكن حرصوا على أن لا يراهم أحد فيها!

استبعدت جونني من عقلها، وركّزت على أمر مبهم حرّكته فيها رواية أليكس بخصوص ملاحظة المفتش كيري. فتسلت الملاحظة قد أعطت فكرة ما لأليكس، وهي لم تكن واثقة أنها لم تعطيها -هي أيضاً- فكرة خاصة. هل كانت نفس الفكرة أم كانت فكرة مختلفة؟

وقفت حيث وقف أليكس ريسناريك قبل ذلك، وفكرت مع نفسها: "هذه ليست صالة حقيقية؛ إنها مجرد كرتون وقماش وخشب... إنها مشهد مسرحي". ثم التمعت في عقلها صور وعبارات متشظية: "وهم... في أعين الجمهور... إنهم يفعلون

## الفصل الثامن عشر

- آه يا وولتر، لقد أجفلتني!

قفزت حينما خطوة إلى الخلف بعدما كانت تخرج من الظلال قرب خشبة المسرح، إذ أجفلتها صورة زوجها يتجسد أمامها خارجاً من الظلمة. لم تكن الدنيا قد أظلمت تماماً بعد، ولكنها كانت -في ذلك الوقت الذي تسود فيه نصف أضواء- غريبة مخيفة، حيث تفقد الأشياء حقيقتها الواقعية وتكتسب أشكالاً خيالية كابوسية.

جينا: ما الذي تفعله هنا؟ إنك لا تأتي إلى المسرح أبداً في العادة.

وولتر: ربما كنت أبحث عنك يا جينا. وهذا -عادة- أفضل مكان للعثور عليك، أليس كذلك؟

لم يكن في صوت وولتر الناعم الذي تلوح فيه مسحة تشدق أي تلميح خاص، ومع ذلك جفلت جينا قليلاً.

- إنه عمل أحبه كثيراً. أنا أحب جو الأصباغ، والرسومات،

- نعم. إن ذلك يعني كثيراً بالنسبة إليك، لقد رأيت ذلك.  
أخبريني يا جينا، كم يمضي من الوقت -حسب ظنك- قبل أن  
تنتهي هذه القضية كلها؟

- سيكون الاستجواب غداً، وسيتم تأجيل النظر في القضية  
لمدة أسبوعين تقريباً. هذا -على الأقل- ما فهمناه من المفتش  
كيري.

- أسبوعان. نعم، فهمت. لنفعل: ثلاثة أسابيع ربما. وبعد  
ذلك... نكون أحراراً. سأعود إلى الولايات المتحدة عندها.

صاحت جينا: أوه! ولكنني لا أستطيع الاستعجال بهذا  
الشكل. لا أستطيع ترك جدتي، ولدينا هاتان المسرحيتان اللتان  
نقوم بتحضيرهما...

وولتر: أنا لم أقل: «سنذهب»، بل قلت: «سأذهب».

توقفت جينا ونظرت إلى زوجها. كان في تأثير الظلال  
شيء جعله يبدو ضخماً جداً، جسماً ضخماً هادئاً، وبدا لها  
-بشكلٍ ما- وكأن فيه مسحة من تهديد أو خطر... كان يقف  
فوقها... مهديداً... بماذا؟

قالت بتردد: هل تعني... أنك لا تريدني أن أذهب؟

وولتر: كلا... أنا لم أقل ذلك.

- ولكنك لا تهتم إن ذهبت أو لم أذهب، أليس كذلك؟

باتت -فحاة- غاضبة.

وولتر: اسمعيني جيداً يا جينا. لقد حان الوقت الذي ينبغي  
علينا فيه أن نواجه الحقائق. إننا لم نكن نعرف كثيراً عن بعضنا  
البعض عندما تزوجنا، ولم نكن نعرف كثيراً عن خلفية كل منا،  
وعن عائلة كل منا. ظننا أن ذلك لا يهم. ظننا أن لا شيء يهم  
سوى قضاء وقت ممتع معاً. حسناً، لقد انتهت المرحلة الأولى.  
وعائلتك لم تحترمني كثيراً، ولن تفعل ذلك! ربما كانوا مصيبين  
في وجهة نظرهم؛ فأنا لست من نفس طرازهم. فلإن كنت  
تعتقدين بأنني سأبقى هنا أعدد الأيام والساعات، وأقوم بأعمال  
غريبة في إطار تركيبة أعتبرها تركيبة مجنونة، فالأجدر أن  
تعيدي التفكير في الأمر! إنني أريد أن أعيش في بلدي، وأقوم  
بالأعمال التي أربح. في القيام بها وأستطيع القيام بها. إن فكرتي  
عن الزوجة المثالية تفترض زوجة تبني موقف الرواد الأوائل،  
مستعدة لكل شيء... للمصاعب، ولبلد غير مألوف، وللخطر  
وللبليات الغريبة... ربما كان طلب ذلك منك أمراً كبيراً لا  
تستطيعينه، فإما أن يكون الحال هكذا أو لا يكون أبداً! ربما  
كنت قد أكرهتك على الاستعجال في الزواج. فإن كان الأمر  
كذلك فالأفضل أن تتحرري مني وتبدلي من جديد. الأمر عائد  
إليك. إن كنت تفضلين واحداً من دعوي الفن فهي حياتك وعليك  
أن تختاري، أما أنا فعائد إلى وطني.

وجينا: ومشى الانان صامتين باتجاه المنزل. وأخيراً قالت جينا:  
لا أعتقد أنك تريدني حقاً أن أعود معك إلى أمريكا...  
لم يجيبها وولتر.

دارت جينا لتواجهه وضربت الأرض برجلها وصاحت:  
إنني أكرهك، أكرهك. أنت فظيع... وحش... وحش قاسٍ لا  
يحسن. بعد كل الذي حاولت فعله لأجلك! تريد التخلص مني،  
ولا تهتم لعدم رؤيتي أبداً مرة أخرى. حسناً، أنا لا أهتم لعدم  
رؤيتك أنت ثانية! لقد كنت مغفلة حمقاء عندما تزوجتكم،  
وسوف أحصل على طلاقٍ منك بأسرع ما يمكن، سوف أتزوج  
ستيفن أو أليكس وأكون أكثر سعادة بكثير من أية سعادة قد  
أحسها أبداً معك، وإنني أتمنى أن تعود إلى الولايات المتحدة  
وتتزوج فتاة فظيعة تجعلك حقاً تبيعاً!

وولتر: ممتاز! إننا نعرف الآن مواقع أقدامنا!

\* \* \*

رأت الأنسة ماريل وولتر وجينا يدخلان المنزل معاً. كانت  
تقف في المكان الذي أجرى فيه المفتش كيري تجربته مع  
الشرطي دودغيت في وقت مبكر من عصر ذلك اليوم.  
جعلها صوت الأنسة بيليفر خلفها تحفل: ستيردين بوقوفك  
هكذا يا آنسة ماريل بعد غروب الشمس.

جينا: أعتقد أنك خنزير تماماً... إنني أستمتع هنا.  
وولتر: حقاً؟ حسناً، أما أنا فلا أستمتع. أحسبك تستمتع  
حتى بالقتل؟

سحبت جينا نفسها بحدّة وقالت: إن قولك هذا قاسٍ  
وشرير. لقد كنت أحب الخال كريستيان كثيراً. ثم ألا تدرك  
بأن شخصاً ما كان يسمم جدتي بصمت وهدوء منذ أشهر؟ أمر  
فظيع!

- لقد قلت لك: إنني لا أحب هذا المكان، ولا أحب  
الأشياء التي تجري هنا. أنا أنسحب.

- هذا إذا سُمح لك بذلك! ألا تدرك بأنك قد تعتقل  
بسبب مقتل الخال كريستيان؟ إنني أكره الطريقة التي ينظر بها  
المفتش كيري إليك. إنه -تماماً- كقطعة تراقب فأراً ومحلّها  
الحادّ حاضراً للانقضاض. لمجرد أنك كنت خارج الصالة تصلح  
تلك الأضواء، ولأنك لست إنكليزياً.. أنا واثقة أنهم سيعصبونها  
برأسك.

- سيحتاجون إلى دليل ما قبل ذلك.

ناحت جينا قائلة: أنا خائفة من أجلك يا وولتر... وقد  
كنت خائفة طوال هذه المدة.

- لا داعي للخوف. أقول لك بأنهم لا يملكون شيئاً ضدي!

استحابت الآنسة ماربل بخضوع لمسائرتها، ومشت الاثنان بخفة إلى المنزل.

الآنسة ماربل: كنت أفكر بحيل الحوأة والسحرة. يكون من الصعب جداً فهمها عندما تراقبينهم لثري كيف يفعلون، ومع ذلك فما أن يتم شرح تلك الحيل حتى تريبها بسيطة إلى حد السخف (مع أنني لا أستطيع - حتى الآن - أن أتخيل كيف يُخرج السحرة أواني مليئة بالسلمك!) رأيت من قبل المرأة التي ينشرونها نصفين بالمنشار؟ حيلة مخيفة حقاً، ولقد أسرتني عندما كنت في سن الحادية عشرة كما أذكر، ولم أستطع أبداً أن أتخيل كيف يتم عمل ذلك. ولكن، قبل أيام، كانت مقالة في صحيفة ما تكشف الأمر كله. لا أعتقد أنه يحدر بصحيفة أن تفعل ذلك، أليس كذلك؟ ويبدو أن الحيلة لا تنطوي على فتاة واحدة بل اثنتين. رأس فتاة وأقدام فتاة أخرى. يعتقد المرء أنهما فتاة واحدة، وهما في الواقع اثنتان... والعكس قد ينجح أيضاً بنفس الدرجة أيضاً، أليس كذلك؟

نظرت إليها الآنسة بيليفر بشيء من الدهشة.

لم تكن الآنسة ماربل تقع كثيراً في مثل هذا الخلط وعدم الانسجام في حديثها. وفكرت الآنسة بيليفر مع نفسها قائلة: لقد كان الأمر كله مرهقاً بالنسبة لهذه السيدة العجوز!

مضت الآنسة ماربل قائلة: عندما نظرتين إلى جانب واحد فقط من أمر ما، فإنك لا ترين إلا ذلك الجانب وحده، ولكن

الأمر كلها تأخذ مكانها الصحيح تماماً إن استطعت فقط أن تقرر ما هو الواقع وما هو الوهم.

ثم أضافت فجأة: هل كاري لويز.. بخير؟

الآنسة بيليفر: نعم، إنها بخير، ولكن لا بد أن الأمر كان صدمة بالنسبة لها... أن تكشف أن شخصاً ما كان يريد قتلها. أعني أن الأمر كان صدمة لها بشكل خاص؛ لأنها لا تفهم العنف.

قالت الآنسة ماربل بتأمل: كاري لويز تفهم بعض الأشياء التي لا نفهمها نحن، وقد كانت دوماً كذلك.

- أدرك ما تعنيه، ولكنها لا تعيش في عالم الواقع.

- ألا تعيش حقاً فيه؟

نظرت إليها الآنسة بيليفر بدهشة وقالت: لا يوجد شخص أبعد عن الحياة الدنيوية من كاري...

قالت الآنسة ماربل: "ألا تظنين أنه ربما..."، ثم توقفت فجأة، فقد عبر أمامهما إدغار لاوسن متمائلاً بخطى سريعة. أوماً برأسه إيحاء إخراج وخجل، ولكنه أشاح بوجهه جانباً عند عبوره.

الآنسة ماربل: لقد تذكرت الآن بمن يذكّرني هذا الشاب، وقد خطر لي ذلك فجأة. إنه يذكّرني بطبيب أسنان شاب يدعى ليونارد وايلي، كان والده طبيب أسنان أيضاً، ولكنه كبير فسي السن وأصبحت يده ترتجف، فأصبح الناس يفضلون الذهاب

إلى الابن. وقد شعر العجوز بتعاسة كبيرة من هذا الأمر وأصبح كثيراً يحدث نفسه ويقول إنه لم يعد يصلح لأي شيء. أما ليونارد (الذي كان رقيق القلب جداً وأحمق بعض الشيء) فقد بدأ بالتظاهر بأنه يشرب وكانت تفوح منه دوماً رائحة الشرب، وأخذ يدعي أنه مخمور مرتبك كلما أتاه مرضاه. كانت فكرته أن هؤلاء الزبائن سيعودون ثانية إلى والده قائلين إن الشاب لم يعد يصلح.

الآنسة بيليفر: وهل عادوا إلى والده؟

الآنسة ماربل: كلا بالطبع. إن ما حدث هو ما كان يمكن لأي ذي عقل أن يتنبأ بحدوثه؛ فقد ذهب المرضى إلى السيد ريلي طبيب الأسنان المنافس. وهكذا فإن كثيراً من ذوي القلوب الطيبة لا عقل لديهم. وبالإضافة إلى ذلك فإن ليونارد وإيلي لم يكن مُقنعاً... إن فكرته عن الثمالة لم تكن تشبه أبداً الثمالة الحقة، فقد كان يسرف في سكب الشراب على ملابسه إلى حد مستحيل تماماً.

دخلت المرأتان إلى المنزل من الباب الخائبي.

\* \* \*

## الفصل التاسع عشر

في المنزل وحدثا العائلة مجتمعة في المكتبة. كان لويس يذرع الغرفة جيئة وذهاباً، وكان في الجو إحساس بالتوتر العام.

سألت الآنسة بيليفر: هل من أمر؟

قال لويس باقتضاب: إيرني غريغ غالب عن التعداد اليومي هذه الليلة.

الآنسة بيليفر: هل هرب؟

لويس: لا ندرى. الدكتور مافيريك وبعض أعضاء هيئة التدريس يبحثون في الحدائق. إن لم نستطع أن نحده فينبغي أن نتصل بالشرطة.

هُرعت جينا إلى كاري لويز وقد ذعرت من بياض وجهها وقالت: جدتي! تبدين مريضة.

كاري لويز: إنني حزينة... يا لفتى المسكين!

لويس: كنت أنوي استجوابه هذا المساء لأرى إن كان قد

رأى أي شيء مهم ليلة أمس. كان لدي عرض بوظيفة جيدة له،  
وفلتت أن بوسعي -بعد مناقشة ذلك معه- فتح الموضوع الآخر.  
والآن... ثم توقف فجأة.

تمتمت الأنسة ماربل بهدوء: "صبي أحمق... صبي أحمق  
مسكين". ثم هزت رأسها أسفاً، فقالت السيدة سيروكولد  
بلطف: إذن فانت تعتقدين ذلك أيضاً يا جين؟

دخل ستيفن ريسناريك وقال: لم أرك في المسرح يا جينا.  
أظنك قلت أنك... مرحباً، ما الأمر؟

كرر لويس معلوماته، وعندما أنهى كلامه دخل الدكتور  
مافيريك مع صبي أشقر ذي وجنتين ورديتين ووجه ملائكي يثير  
الارتياح. وتذكرت الأنسة ماربل وجوده على العشاء في الليلة  
التي وصلت بها إلى ستوني غيتس.

مافيريك: لقد أحضرت آرثر جينكيز. يبدو أنه كان آخر  
شخص تحدث مع إيرني.

لويس سيروكولد: والآن يا آرثر. أرجوك أن تساعدنا إن  
كنت تستطيع. أين ذهب إيرني؟ هل هذه مجرد مزحة؟

آرثر: لا أدري يا سيدي. حقيقة، لا أدري؛ فهو لم يقل  
لي شيئاً. كان منشغلاً جداً بالمسرحية، هذا كل ما في الأمر.  
قال إن لديه فكرة مبتكرة جداً بشأن الديكور، فكرة ارتأت السيدة  
هذ والسيد ستيفن أنها من الدرجة الأولى.

السيد سيروكولد: أمر آخر يا آرثر... لقد ادّعى إيرني أنه  
كان يطوف في الحدائق بعد إقفال أبواب الكلية ليلة أمس. فهل  
كان ذلك صحيحاً؟

آرثر: بالطبع ليس صحيحاً. مجرد تبجح، هذا كل ما في  
الأمر. إيرني كذاب فاسد... إنه لم يخرج أبداً في أية ليلة. كان  
يباهي بأنه يستطيع الخروج، ولكنه لم يكن على تلك الدراية  
بالإقفال! إنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً بالإقفال إن كانت من  
النوع الحديد. وعلى كل حال، فإنه كان داخل الكلية ليلة أمس،  
هذا أمر واثق منه.

السيد سيروكولد: هل تقول ذلك لمجرد إقناعنا يا آرثر؟

أجاب آرثر بإخلاص: أقسم بأغلظ الأيمان.

لم يبدو لويس سيروكولد مقتنعاً تماماً.

مافيريك: اسمعوا... ما هذا؟

كانت همهمات أصوات تقترب. انفتح الباب بقوة واندفع  
السيد بومغارتن إلى الغرفة وهو يبدو شديد الشحوب والمرض.  
التقط أنفاسه وقال: لقد وجدناه... بل وجدناهما. أمر فطيع!

ثم ارتدى على كرسي ومسح جبينه.

قالت ميلدريد بحدة: ماذا تعني بوجودناهما؟

كان بومغارتن يرتحف من رأسه حتى أخمص قدميه. قال:



هناك، في المسرح، كان رأساهما منسحقين... لا بد أن النقل الضخم الموضوع لأغراض التوازن قد سقط عليهما. أليكس ريستاريك وذلك الصبي إيرني غريغ... كلاهما ميتان!

\* \* \*

## الفصل العشرون

الآنسة ماربل: لقد أحضرت لك كوباً من الحساء الشخين يا كارلي لويز. أرجوك أن تشربه.

اعتدلت السيدة سيروكولد في جلستها على السرير الضخم المصنوع من خشب السنديان. بدت صغيرة جداً وكأنها طفلة. وجنتاها قد فقدتا توردتهما الأحمر، وعيناها لازمتها نظرة شرود غريبة.

أخذت الحساء طائعة من الآنسة ماربل، وفيما بدأت باحتسائه جلست الآنسة ماربل على كرسي قرب السرير.

كارلي لويز: في البداية كريستيان، والآن أليكس وذلك الصغير المسكين الذكي إيرني. هل كان حقاً... يعرف أي شيء؟

الآنسة ماربل: لا أعتقد ذلك. كان يكذب فقط، جاعلاً من نفسه إنساناً مهماً بتلميحه إلى أنه رأى أو عرف شيئاً ما. والمأساة هي أن شخصاً ما قد صدق أكاذيبه.

ارتعشت كارلي لويز، وعادت عيناها إلى شرودهما البعيد

وقالت: لقد قصدنا أن نعمل الكثير من أجل هؤلاء الصبية...  
وقد فعلنا شيئاً بالفعل؛ فقد نجح بعضهم بشكل رائع، والعديد منهم يحتلون مواقع جيدة حقاً. وفي المقابل عاد القليل منهم فانزلقوا، وذلك أمرٌ لا يمكن تجنبه. فالظروف العصرية المدنية معقدة جداً، أكثر تعقيداً من أن تستطيع مواكبتها طابعٌ بسيطة ينقصها التطوير. هل تعرفين خطة لويس الكبرى؟ لقد كان يشعر دوماً بأن النفي كان إجراءً أدى إلى إلقاء العديد من المجرمين المحتملين في الماضي. كانوا يُسجنون إلى ما وراء البحار، وكانوا يبنون لأنفسهم حياة جديدة في بيئات أكثر بساطة. وهو يريد البدء بمشروع حديث على هذه الأسس. يريد أن يشتري بقعة ضخمة من الأرض، أو مجموعة جزر، ويمولها لبضع سنوات، ويجعل منها مجتمعاً تعاونياً مكتفياً ذاتياً، يسهم فيه الجميع كلٌ بحصته، شريطة أن يكون منعزلاً بحيث ينتفي إغراء العودة إلى المدن وإلى أيام الانحراف الماضية. إنه حلمه... ولكن هذا الحلم سيتطلب أموالاً كثيرة بالطبع، ولم يعد يوجد الآن الكثير من محبي الأعمال الإنسانية ذوي الرؤية والبصيرة. إننا بحاجة إلى إيريك غولبراندسن آخر؛ فقد كان من شأن إيريك أن يتحمس لهذا المشروع لو كان حياً.

التقطت الآنسة ماربل مقصاً قريباً ونظرت إليه بفضول قائلة: يا لهذا المقص الغريب! إنَّ له فتحتي أصبعين في جانب وفتحة أصبع واحدة في الجانب الآخر.

عادت عينا كارلي لويوز من شرودهما في ذلك البعد القصبي

المخيف. قالت: لقد أعطانيه أليكس هذا الصباح، إذ يفترض أن يسهل هذا المقص قصَّ أطراف اليد اليمنى. يا لذلك الفتى العزيز! لقد كان متحمساً جداً، حتى أنه دفعني إلى تجربة المقص في التواء واللحظة.

الآنسة ماربل: وأحسب أنه جمع قُلاماتِ الأطراف وأخذها بكل حرص وعناية.

كارلي لويوز: نعم، إنه...

ثم توقفت فجأة وقالت: لماذا قلت ذلك؟

الآنسة ماربل: كنت أفكر في أليكس. إنه شاب ذكي. نعم، شاب ذكي.

- هل تعين... أنه مات بسبب ذلك؟

- أعتقد ذلك، نعم.

- هو وإيرني... إنني لا أستطيع التفكير بهذا الأمر. متى يعتقدون أن الأمر قد حدث؟

- في وقت متأخر من هذا المساء. ربما كان بين السادسة والسابعة مساءً...

- بعد أن أنهيا عمل يومهما؟

- نعم.

وفكرت الآنسة ماربل: "إن جينا كانت هناك في ذلك المساء، وكذلك وولتر، وستيفن أيضاً قال إنه ذهب إلى هناك ليبحث عن جينا... ولكن -على ضوء ذلك- كان بوسع أي أحد...".

وجاء ما يقطع حبل أفكارها. قالت كاري لويز بهدوء وعلى نحو غير متوقع: إلى أي حد تعرفين يا جين؟

نظرت إليها الآنسة ماربل بحدّة، والتقت عينا المرأتين. قالت الآنسة ماربل ببطء: إن كنت واثقة تماماً...

كاري لويز: أعتقد أنك واثقة يا جين.

عادت الآنسة ماربل لتقول ببطء: ما الذي تريدني مني أن أفعله؟

اتكأت كاري لويز على وسادتها وقالت: "إن الأمر بين يديك يا جين... وستفعلين ما ترينه صحيحاً". ثم أغمضت عينيها.

ترددت الآنسة ماربل وهي تقول: غداً... سأحاول الحديث مع المفتش كيري... إن كان له أن يستمع...

\* \* \*

## الفصل الحادي والعشرون

قال المفتش كيري بشيء من نقاد الصبر: نعم يا آنسة ماربل؟ سألته الآنسة ماربل: أترى أن بوسعنا أن نذهب إلى الصالة الكبرى؟

بدا المفتش كيري مندهشاً قليلاً وقال: أعتقد أن ذلك سيكون أحفظاً لحديثنا؟ من المؤكد أن هذا المكان أفضل...

ثم نظر إلى غرفة المكتب حوله.

الآنسة ماربل: ليست سرية الحديث هي ما أفكر فيه كثيراً، بل إنني أريد أن أريك أمراً؛ شيئاً جعلني أليكنس أراه.

نهض المفتش كيري وهو يكظم تنهيدة وتبع الآنسة ماربل. قال أملاً: هل كان أحد يفضلني إليك بحديث ما؟

الآنسة ماربل: كلا. المسألة ليست مسألة ما قاله الناس، بل هي في الواقع مسألة حيل سحرية. خداع مرابيا... أو شيء من هذا القبيل، إن كنت تفهم ما أعنيه.

لم يفهم المفتش كيري. حذق بالآنسة ماربل متسائلاً إن كانت قواها العقلية على ما يرام.

أخذت الآنسة ماربل مكانها واقفةً وطلبت من المفتش أن يقف إلى جانبها وقالت: أريدك أن تفكر في هذا المكان كخشبة مسرح أيها المفتش.. كما كان ليلة مقتل كريستيان غولبراندسن. أنت هنا بين الجمهور تنظر إلى الناس على خشبة المسرح: أنا والسيدة سيروكولد وميلديد وجينا وستيفن... وكما هو الأمر على خشبة المسرح، توجد مداخل ومخارج، والشخصيات تخرج إلى أماكن مختلفة. إلا أنك لا تفكر -وأنت بين الجمهور- أين هم ذاهبون حقاً. يخرجون إلى «الباب الأمامي» أو إلى «المطبخ»، وعندما يفتح الباب فإنك ترى مساحة صغيرة من الخلفية القماشية المرسومة. ولكن الواقع -طبعاً- هو أنهم يخرجون إلى أجنحة خشبة المسرح، أو إلى المؤخرة مع النجارين والكهربائيين والشخصيات الأخرى التي تنتظر دورها في الظهور على الخشبة.. إنهم يخرجون إلى عالم مختلف.

المفتش: إنني لا أرى تماماً يا آنسة ماربل ما تريدن...

قاطعته قائلة: آه، أعرف. يمكنني القول إن ما أقوله يبدو سخيفاً جداً، ولكن إن فكرنا في هذا الأمر كأنه مسرحية، والمشهد هو «الصالة الكبرى في ستونني غيتس»... فما الذي نراه خلف المشهد بالضبط؟ أعني: ما هي خلفية خشبة المسرح؟ المصطبة الأمامية، أليس كذلك؟ المصطبة وكثير من النوافذ التي تطل

عليها. وهذه هي الطريقة التي مورست بها الحيل السحرية. وقد كانت حيلة «المرأة المنشورة إلى نصفين» هي التي جعلتني أفكر بذلك.

- المرأة المنشورة نصفين؟

بات المفتش كيري الآن متأكداً تماماً أن الآنسة ماربل مريضة عقلياً.

الآنسة ماربل: لعبة سحرية مخيفة جداً. لا بد أنك شاهدتها، إلا أنها لا تنطوي فقط على فتاة واحدة فعلاً، بل فتاتين: الرأس لواحدة والقدمان لواحدة أخرى. تبدو وكأنها فتاة واحدة، ولكنهما فتاتان حقاً، ولذلك فقد ظننت بأن الأمر قد يكون أيضاً بالمقلوب: شخصان قد يكونان في الواقع شخصاً واحداً.

بدا المفتش كيري يائساً وهو يقول: شخصان هما في الواقع شخص واحد؟!؟

الآنسة ماربل: نعم، ولكن ليس لفترة طويلة. كم استغرق شرطيتك في ركضه من الحديقة إلى المنزل وبالعكس؟ دقيقتين وخمسة وأربعين ثانية، أليس كذلك؟ إن الوقت هنا سيكون أقل من ذلك... أقل من دقيقتين.

المفتش: ما الذي سيكون في أقل من دقيقتين؟

الآنسة ماربل: الحيلة السحرية... حيث لم يكن شخصان بل شخص واحد. هناك... في المكتب. إننا لا ننظر إلا إلى

-تحديداً- في الواقع. لنفترض أن احتلاساً كان يجري... احتلاساً على مستوى كبير جداً... ألا ترى أين يشير ذلك؟ لشخص واحد فقط!

لهث المفتش كيري، وقال متمتماً: لويس سيروكولد؟

قالت الأنسة ماربل: لويس سيروكولد...

\* \* \*

الجانب المرئي من خشبة المسرح، وخلف الخشبة المصطبة وصفاً من النوافذ. من السهل جداً -عندما يكون في المكتب شخصان- فتح نافذة المكتب والخروج منها، والحري عبر المصطبة (تلك الخطوات التي سمعها أليكس)، ثم الدخول من الباب الجانبي، وإطلاق النار على كريستيان غولبراندسن، والعودة سريعاً. وخلال ذلك الوقت يؤدي الشخص في الغرفة أصوات الاثنين بحيث تكون -جميعاً- واثقين تماماً بأن في المكتب شخصين اثنين (وهذا هو ما كان -بالفعل- في أغلب الوقت، ما عدا تلك الفترة القصيرة التي تقتضي أقل من دقيقتين).

وجد المفتش كيري أخيراً أنفاسه وصوته ليقول: هل تعنين أن إدغار لاوسن هو الذي ركض عبر المصطبة وأطلق النار على غولبراندسن؟ وأن إدغار هو الذي سمم السيدة سيروكولد؟

الآنسة ماربل: ولكن ألا ترى أيها المفتش؟ لم يكن أحداً يسمم السيدة سيروكولد أبداً. هنا يأتي دور التضييل... لقد استخدم أحدهم -بذكاء بالغ- حقيقة أن معاناة السيدة سيروكولد من التهاب المفاصل لم تكن تختلف كثيراً عن أعراض التسمم بالزرنيخ. إنها الحيلة القديمة التي يفعلها الساحر عندما يجبرك على أخذ بطاقة ورق لعب معينة. من السهل تماماً إضافة زرنيخ إلى زجاجة شراب منشط، ومن السهل تماماً إضافة بضعة أسطر إلى رسالة مطبوعة. ولكن السبب الحقيقي لمجيء غولبراندسن إلى هنا كان هو السبب الأقرب إلى الاحتمال... أي أنه جاء لشيء ذي علاقة بمجلس وصاية معهد غولبراندسن... وبالمال

## الفصل الثاني والعشرون

جزء من رسالة من جينا إلى خالتها السيدة فان ريدوك:

وهكذا ترين - يا خالتي الغالية روث - أن الأمر كله كان تماماً ككابوس... وخاصة نهايته. لقد أبحرتك كل شيء عن ذلك الرجل المضحك إدغار لاوسن. كان دوماً مثالاً للفشل، وعندما بدأ المفتش باستجوابه وتحطيم دفاعاته، فقد أعصابه تماماً وجرى كأرنب. اكتفى بأن فقد أعصابه وهرب... هرب بالمعنى الحرفي للكلمة: قفز من النافذة، وجرى حول المنزل ثم عبر الممشى، وهناك كان شرطي واقفاً ليعترضه، فأنحرف وجرى بكامل سرعته باتجاه البحيرة حيث قفز إلى قارب قديم متعفن (اهترأ هناك لبقائه سنوات) حيث انحرف. وكان ذلك بالطبع تصرفاً محتوناً لا معنى له، ولكن - كما قلت لك - كان مجرد أرنب صعقه الذعر. وعندما أطلق لويس صرخة مدوية وقال: "ذلك القارب متعفن"، وانطلق إلى البحيرة هو الآخر. غرق المركب، وكان إدغار هناك يصرع الماء؛ إذ لم يكن يعرف السباحة. قفز لويس وسبح إليه، ووصله بالفعل، ولكنهما كليهما كانا في وضع صعب لأنهما علقا بين القصب. وقد رمى أحد رجال الشرطة بنفسه مع حبل لفة حول جسمه، ولكنه علق أيضاً، وقد اضطروا إلى جرّه إلى الشاطئ. صاحبت الخالة ميلدريد: "سيفرقان.. سيفرقان.. سيفرقان كلاهما".

فألت ذلك بطريقة سخيفة، وأكفدت جدتي بالقول: "نعم".  
لا أستطيع أن أصف لك كيف بدا معنى هذه الكلمة  
الوحيدة... مجرد "نعم"، وكان من شأن هذه الكلمة أن  
تخترق المرء مثل... مثل سيف.

هل أتكلم بشكل سخيف وميلودرامي؟ أحسب أنني كذلك،  
ولكن كلمتها بدت كما وصفتها حقاً. وبعدها... عندما  
انتهى الأمر كله وأخرجوهما وحاولوا إخراج نفس صناعي  
(دون أية فائدة) جاء المفتش إلينا وقال لجدتي: "أحسب  
-يا سيده سيروكولد- أنه لا أمل". فأجابته جدتي بكل  
هدوء: "شكراً أيها المفتش".

ثم نظرت إلينا جميعاً: أنا التي كنت أتوق إلى المساعدة  
ولكنني لا أدري كيف، وحولي التي كانت تبدو عابسة  
ورقيقة وجاهزة لمُد يد العون كعادتها، وستيفن وقد مد  
يديه، وإلي العجوز المضحكة الأنسة ماربل التي بدت  
حزينة جداً ومتعبّة، وحتى وولتر بدا متزعجاً. كنا نحسها  
جميعاً ونريد فعل شيء ما لها.

ولكن جدتي اكتفت بالقول: "مبندريد؟" فقالت الخالة  
ميلدريد: "أمي"، ثم مضت معاً إلى المنزل، فيما بدت  
جدتي صغيرة الجسم جداً وضعيفة جداً وهي تتكى على  
الخالة ميلدريد. لم أدرك -حتى ذلك الحين- إلى أي  
مدى كانتا مغرمتين ببعضهما. لم يكن ذلك يظهر كثيراً،  
ولكن الحب كان هناك طوال الوقت...

أما بالنسبة لي ولوولتر، فإننا عائدنا إلى الولايات المتحدة  
بأقصى سرعة ممكنة.

\* \* \*

## الفصل الثالث والعشرون

- ما الذي جعلك تحزين يا جين؟

أخذت الأنسة ماربل وقتها في الإجابة. نظرت -متأملةً-  
إلى جنيسيهيا، كاري لويز (التي أصبحت أنحل وأضعف، ومع  
ذلك غير متأثرة بشكل يدعو للاستغراب)، والرجل العجوز ذي  
الانتسامة العذبة والشعر الأبيض الكثيف، الدكتور غالبرايث.

قال الدكتور غالبرايث: لقد شكل لك ذلك ألماً عظيماً يا  
أيتها المسكينة، وصدمة عظيمة أيضاً.

كاري لويز: ألماً نعم، ولكنه لم يشكل حقاً صدمة.

الآنسة ماربل: صحيح. هذا ما كشفته، أنعلمين ذلك؟  
كان الجميع يرددون كيف أن كاري لويز تعيش في عالم آخر  
غير هذا العالم وأنها فقدت الصلة بالواقع، ولكن -في الحقيقة-  
كان الواقع هو ما بقيت على صلة به يا كاري لويز وليس الوهم.  
إنك لا تتخلعين أبداً بالوهم كما يتخددع أغلبنا. وعندما أدركتُ  
ذلك فجأة علمتُ بأنه ينبغي أن أسترشد بما فكرتُ فيه أنت

بما يمكن تحقيقه... بالمال. لم يكن يريد المال لنفسه (ليس بالمعنى السوقي الجشع على الأفل). كان يريد سلطة المال... وقد أراد السلطة ليستخدمها في تقديم خير كثير.

قال الدكتور غالبرايث: "لقد أراد أن يكون إلهاً"، ثم قسا صوته فجأة وأضاف: وقد نسي بأن الإنسان لا يعدو أن يكون أداة متواضعة لإرادة الله.

الآنسة ماربل: وهكذا اختلس أموال مجلس الوصاية؟

تردد الدكتور غالبرايث وقال: لم يكن ذلك فقط...

كاراي لويز: أخبرها. إنها أقدم صديقة لي.

- لقد كان لويس سيروكولد من يمكن للمرء أن يسميه ساحراً مالياً؛ ففي سنوات دراسته في المحاسبة عالية المستوى كان يسلي نفسه باختراع عدة وسائل للاحتيال كانت -عملياً- من البساطة بحيث لا يفتن لها أبداً. كان ذلك مجرد دراسة أكاديمية، ولكن عندما بدأ ذات يوم يتخيل الإمكانيات والفرص التي يمكن لمبلغ هائل من المال أن يفتحها، وضع تلك الوسائل قيد التطبيق. وأنت ترين أنه كان يملك تحت تصرفه مادة خاماً من الدرجة الأولى، فمن بين الصبية الذين مروا عبر هذا المعهد اختار ثلثاً صغيرة منتخبة تضم صبية كان ميلهم الطبيعي إجرامياً، يحبون الإثارة ويتمتعون بدرجات ذكاء عالية. إننا لم نتوصل إلى كل الحقائق بعد، ولكن يبدو واضحاً أن هذه الدائرة المغلقة كانت سرية ومدبرة بشكل خاص، وقد وُضع أفرادها لاحقاً في

مراكز رئيسة حيث يمكن -تنفيذاً لتوجيهات لويس- تزوير السجلات بطريقة تسمح بتحويل مبالغ هائلة من المال دون إثارة أية شكوك. ولقد فهمت بأن العمليات والتشعبات معقدة إلى حد يتطلب شهوراً طويلة قبل أن يستطيع مدققو الحسابات كشف كل الأمور، ولكن النتيجة النهائية تبدو موحية بأنه تحت أسماء مختلفة وحسابات مصرفية وشركات متنوعة كان من شأن لويس سيروكولد أن يتمكن من التصرف بمبلغ أسطوري كان ينوي أن يؤسس به مستعمرة فيما وراء البحار لإقامة تجربة تعاونية يمكن للمتحرفين الأحداث فيها أن يمتلكوا -في النهاية- تلك الأرض ويديروها. كان من شأن ذلك أن يكون حلماً عظيماً.

كاراي لويز: كان حلماً يمكن له أن يتحقق.

الدكتور غالبرايث: نعم، كان يمكن أن يتحقق، ولكن الوسائل التي اتبعها لويس سيروكولد كانت وسائل غير شريفة، وقد كشف كريستيان غولبراندسن ذلك. وكان منزعاً وقلقاً جداً، وخاصة نتيجة إدراكه لما قد ينطوي عليه كشف لويس واحتمال مقاضاته من انعكاسات عليك أنت يا كاراي لويز.

كاراي لويز: ولذلك سألتني إن كان قلبي قوياً، وكان يبدو قلقاً جداً على صحتي. لم أستطع فهم ذلك.

الدكتور غالبرايث: بعدها وصل لويس سيروكولد عائداً من الشمال، وقابله كريستيان خارج المنزل وأخبره بأنه يعرف ما كان يجري. تقبل لويس الأمر بهدوء كما اعتقد. وقد اتفق



كارى لويز: وقد حزر أليكس ذلك؟

الآنسة ماربل: نعم، ولذلك جَمَعَ قِلامات أطفالك، إذ كان من شأنها أن تُظهر إن كان الزرنيخ قد تم دسه فعلياً ولفترة طويلة.

كارى لويز: أليكس المسكين... وإيرني المسكين!

سادت لحظة صمت فكر فيها الاثنان الآخران بكريستيان غولبراندسن وأليكس ريستاريك وبالصبي إيرني، وبالسرعة التي يمكن لجرائم القتل فيها أن تمارس بشاعتها وتشويهها.

الدكتور غالريث: ولكن من المؤكد أن لويس كان يقدم على محازفة كبيرة في إقناع إدغار بأن يكون شريكه في الجريمة، حتى لو كانت له بعض السيطرة عليه.

هزت كارى لويز رأسها بالنفي وقالت: لم تكن القضية بالضبط قضية سيطرة عليه؛ فقد كان إدغار متعلقاً بلويس مُحباً له.

الآنسة ماربل: نعم، مثل ليونارد وايلي وأبيه. إنني أتساءل إن كان...

ثم سكتت برفق.

كارى لويز: لقد ميزتِ الشبه كما أظن؟

الآنسة ماربل: إذن فأنت كنت تعلمين ذلك طوال الوقت؟

- لقد حزرت. كنت أعرف أن لويس كانت له علاقة عشق قضيصة مع إحدى الممثلات قبل أن يقابلني، وقد أخبرني

الرجلان على أنه ينبغي عنيهما بذل كل ما يستطيعانه لتحسيس المعاناة. وقال كريستيان بأنه سيكتب لي ويطلب مني الحضور إلى هنا - كوصي مشارك- لمناقشة الموقف.

الآنسة ماربل: ولكن لويس سيروكولد كان -بالطبع- قد استعد مسبقاً لهذا الطارئ. كان كل شيء مخططاً... كان قد أحضر الشاب الذي يُفترض فيه أن يمثل دور إدغار لاورسن إلى المنزل، وكان يوجد -بالطبع- شاب حقيقي يحمل اسم إدغار لاورسن تحسباً من أن يبحث الشرطة في سجلاته. وكان «إدغار» المزيف هذا يعرف بالضبط ما ينبغي عليه فعله... أن يمثل دور مصاب بانفصام الشخصية وضحية لعفدة الاضطهاد، وأن يعطي لويس دفعاً بالغياب عن مسرح الجريمة يُبضع دقائق حيوية.

وقد تم التفكير بالخطوة التالية أيضاً، وهي قصة لويس بأنك (أنت يا كارى لويز) كنت تُسممين بشكل بطيء. وعندما يفكر المرء فعلياً في الأمر يجد بأنه لم توجد أبداً إلا رواية لويس عما أخبره به كريستيان. تلك الرواية، بالإضافة إلى بضعة أسطر تضاف على الآلة الكاتبة بينما كان لويس ينتظر الشرطة. كان من السهل إضافة الزرنيخ إلى الشراب المنشط. ولم يكن عليكِ خطر في ذلك، ما دام سيتدخل فوراً لمنعك من شربه. وكانت الشوكولاتة مجرد لمسة إضافية، وبالطبع فإن قطع الشوكولاتة الأصلية لم تكن مسممة، ولم تكن مسممة إلا تلك القطع التي استبدلها هو قبل تسليمها إلى المفتش كيري.

- بلى، لأنني لم أكن أعتقد أن أحداً آخر سوى لويس يمكن أن يجرؤ على ذلك. وبدأت أشعر بالخوف مما يمكن أن يفعله لاحقاً...

ثم ارتحفت قليلاً وقالت: لقد أعجبني لويس. أعجبتني... ماذا أسميها؟ خيريتها؟ ولكنني كنت أرى حقاً بأن المرء إن كان خيراً فعليه أن يكون متواضعاً أيضاً.

قال الدكتور غالبرايت بلطف: ذلك هو ما أعجبني فيك دوماً يا كارى لويز... تواضعك.

انفتحت العينان الزرقاوان الحميلتان دهشةً وقالت: ولكنني لست ذكية ولست خيرةً بشكل متميز. إنني أستطيع - فقط - أن أعجب بالخير لدى الآخرين.

الآنسة ماربل: عزيزتي كارى لويز...

\* \* \*

هو بذلك. لم تكن علاقة جديده؛ فقد كانت من ذلك النوع من النساء اللاتي يسعين وراء المال، ولم تكن تهتم به. ولكن ما من شك لديّ أبداً بأن إدغار كان ابن لويس في الحقيقة.

- نعم... إن ذلك يفسر كل شيء.

قالت كارى لويز: "وقد دفع حياته من أجله في النهاية". ثم نظرت بأسى إلى الدكتور غالبرايت وأضافت: نعم، لقد فعل ذلك.

ساد بعض الصمت، ثم قالت كارى لويز: إنني سعيدة بأن الأمر انتهى على هذا النحو، بتقدمه حياته أملاً في إنقاذ الصبي. إن الناس الذين يوسعهم أن يكونوا طبيين جداً، يوسعهم - أيضاً - أن يكونوا سيئين جداً. لقد عرفت دوماً أن ذلك ينطبق على لويس. ولكنه... أحبني كثيراً، وأنا أحبته.

الآنسة ماربل: هل سبق لك... أن شككت به أبداً؟

- كلا. لأنني كنت حائرة بشأن مسألة التسميم. كنت أعرف أن لويس لم يكن ليسممني أبداً، ومع ذلك فإن رسالة كريستيان تلك قد ذكرت تحديداً أن شخصاً ما كان يسممني، ولذلك فكرت بأن كل ما ظننت أنني عرفته عن الناس لابد أن يكون خاطئاً.

- ولكنك - عندما وجد أليكس وإيرني مقتولين - شككت آنذاك، أليس كذلك؟

## خاتمة

جيناً: أعتقد أن جدتي ستكون بأفضل حال مع الخالة ميلدريد؛ فالخالة ميلدريد تبدو ألطف بكثير الآن، لم تعد غريبة التصرفات إلى ذلك الحد... إن كنت تفهمين ما أعنيه.

الآنسة ماربل: إنني أعرف ما تعنيه.

- وكذلك ستعود، وولتر وأنا، إلى الولايات المتحدة بعد أسبوعين.

ثم رمت نظرة جانبية إلى زوجها وقالت: سأنسى كل شيء عن ستوني غيتس وعن إيطاليا وعن كل ماضي المراهق، وسأصبح أمريكية مئة بالمئة، وسندعو ابناً دوماً «ولتر الصغير». لا يمكن أن أكون أكثر إنصافاً من ذلك، أليس كذلك يا وولتر؟

الآنسة ماربل: لا يمكنك ذلك بالتأكيد يا «كيت»...

صحح لها وولتر بلطف وهو يتسم بمحبة لعجوز تخلط بين الأسماء: جينا، وليس كيت.

جيناً: إنها تعرف ما تقول! ألا ترى: لقد دعنتني باسم أمريكي ولن تلبث - بعد دقيقة - أن تدعوك «بيتروشيو» كإيطالي!

قالت الأنسة ماربل لولتر: أعتقد أنك قد تصرفت بحكمة  
يا فتاي العزيز.

جيناً: إنها تعتقد بأنك تماماً الزوج المناسب لي.

نقلت الأنسة ماربل نظرها بين الاثنين، وفكرت... "من  
الجميل جداً رؤية شابين بحبان بعضهما إلى هذا الحد، وقد  
تحول وولتر هذّاً تماماً من الشاب العابس المقطب الذي التقته  
أول مرة إلى عملاق مرح دائم البسمة". قالت: أنتما الاثنين  
تذكراني بـ...

اندفعت جيناً إلى الأمام ووضعت يدها بإحكام على فم  
الأنسة ماربل هاتفة: لا يا جيبتي... لا تقوليها. إنني أرتاب بهذه  
المقارنات القروية؛ فهي تنتهي -دوماً- بمصيبة. إنك عجوز  
منحوسة بالفعل، هل تعلمين ذلك؟

ثم غامت عيناها وقالت: عندما أفكر فيك وفي الحالة روث  
وفي جدتي، وأنكن كنتن شابات معاً... لكم أتساءل كيف كنتن  
جميعاً! لا أستطيع تخيل ذلك.

الأنسة ماربل: لا أحسب أن يوسعك تخيل ذلك؛ فقد كان  
ذلك كله منذ أمد بعيد...

\* \* \*